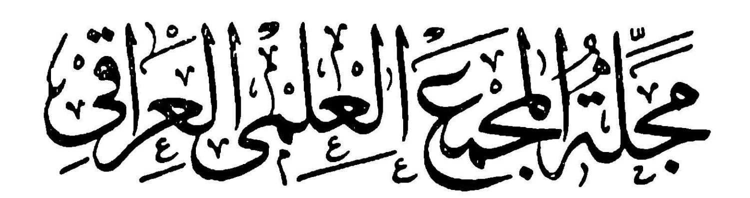
مجلة المجمع العلمي العراقي



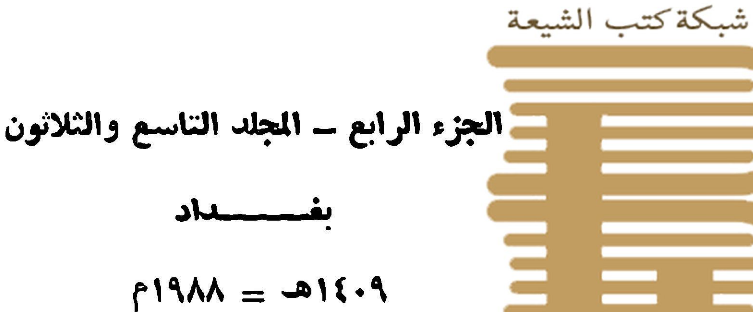
الجزء الرابع ـ المجلد التاسع والثلاثون

بغـــــداد

١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م







الجزء الرابع ـ المجلد التاسع والثلاثون

بغـــداد

١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م



مجلة المجمع العلمي العراقي

مجلة فصلية انشئت سنة ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م

★

توجه الرسائل والبحوث الى مدير التحرير

البحوث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء اصحابها .

المقالات لا ترد الى اصحابها نشرت او لم تنشر .

★

العنوان : الوزيرية/بريد الأعظمية/ص.ب ٤٠٢٣

بغـداد ــ العراق

طارق بن زياد

فاتح شطر الأندلس

اللواء الركن محمود شيت خطاب
(عضو المجمع)

- ٣ -

القائـــد

١ - سماته القيادية عامة :

يتميز طارق على من سبقه من قادة الفتح الإسلامي ، وعلى مَنْ عاصره منهم ، بأنّه أوّل قائد غير عربيّ تولّى منصب القيادة ، في دولة تختار قادتها من العرب المسلمين ، ولا تولّي القيادة مسلماً غير عربيّ ، بل ينبغي أن يكون القائد عربياً مسلماً .

كما تولّى طارق القيادة ، وهو غير عربيّ ، على قادة من العرب ، عملوا بإمرته وتحت لوائه دون تردّد ولا تذمّر .

لقد كان طارق من البربر ، تولّى قيادة جيش من جيوش المسلمين لفتح الأندلس ، على عهد الوليد بن عبدالملك ، أحد خلفاء بني أميّة وأكثرهم فتحا ، وكانت الدولة الأمويّة تلتزم العرب وتتعصّب لهم ، فلا تُولّي القيادة إلاّ مَن كان عربياً أصيلا . ولم يسبق أن تولّى منصب القيادة منذ جاء الإسلام وبدأ الفتح الإسلامي ، إلى أيام طارق ، إلاّ عربيّ مسلم أصيل .

بل لم يتسلم طارق هذا المنصب الرفيع في القيادة حسب ، بالرغم من نسبه إلى غير العرب ، فقد أصبح أيضاً قائداً على عدد من القادة العرب المسلمين

في الأندلس ، كانوا مع المدد البالغ تعداده خمسة آلاف مجاهد ، الذي أمدّ بهم موسى بن نُصَيْرْ طارقاً (١٨٢) ، فعمل هؤلاء القادة العرب بقيادة طارق ، وساروا بإمرته ، وخضعوا لسلطته ، ونفّذوا أوامره ووصاياه دون تردّد .

بل لم يكن العربيّ المسلم ، ليتولّى منصب القيادة ، في عهد الدولة الأُمويّة ، إلاّ إذا كان عربياً أصيلاً لا من قوارير . ذا حَسَب ونسب ، رئيساً على قبيلته ، أو من بين أفراد عائلة ذلك الرئيس . ولكن ليس كلّ رئيس قبيلة يتولّى منصب قيادتها وقيادة غيرها من القبائل والشعوب الإسلامية الأخرى ، ولا كل فرد من أفراد عائلة رئيس القبيلة يتولّى منصب القيادة ، فهذا المنصب يتوّلاه رئيس القبيلة أو أحد أفراد عائلته ، إذا اتّسم بسمات قيادية معيّنة تُؤهّله للقيادة ، أما الذي لا يتّسم بتلك السِّمات ، فلا يتولّى القيادة ، ويتولاّها مَن يتّسم بها من أفراد عائلة رئيس القبيلة ، لأنّ القائد الذي لا كفاية له ، يقود رجاله إلى الموت والهزيمة ، ولا يقودهم إلى السّلامة والنّصر ، ولا أحد يُولّى مَن لا كفاية له ، ولا أحد يتولّى القيادة بلا كفاية ، وبخاصة في أيام الحرب وفي ميادين القتال .

لقد كانت القيادة ، في تلك الأيام ، يتولاّها : العربيّ المسلم أولا ، والعربيّ الأصيل ذو الحسب والنسب ثانيا ، وذو الكفاية العالية في القيادة ثالثاً وأخيراً .

كان خالد بن الوليد — مثلاً — من بني مخزوم ، وهم بطن من عشرة أبطن من قريش ، انتهى إليها الشّرف قبل الإسلام (١٨٣) ، فكان في بني مخزوم القُبَّة وأعِنَّة الخيل ، أما القُبَّة فكانوا يضربونها يجمعون فيها

(١٨٢) أخبار مجموعة (٧) .

(١٨٣) هم : بنو هاشم ، وبنو نوفل ، وبنو أمية ، وبنو عبد الدار ، وبنو تيم ، وبنو أسد ، وبنو مخزوم ، وبنو عدي ، وبنو جمح ، وبنو سهم ، انظر سيرة ابن هشام (١٤٣/١ — ١٤٤) .

ما يجهزون به الجيش ، وأما الأعنة فهي قيادة الفرسان في الحروب (١٨٤) ، وكان أبوه الوليد ذا مكانة مرموقة بين سادات قريش ، فهو عدلها يكسو الكعبة عاماً ، وتكسوها قريش بأجمعها عاماً آخر (١٨٥) ، لشرفه ورجاحة عقله واتزانه ، لذلك تيسرت تلك الشروط لخالد في أنه عربي أصيل ذو كفاية قيادية عالية ، ، فتولى القيادة ، لأنه تميز على آل بيته وأهله بالكفاية القيادية العالية ، فتولاها دونهم ولم يتسنمها غيره من إخوته وذوي قرباه .

وما يقال عن خالد ، يقال عن غيره من القادة ، فكلهم من العرب المسلمين ، ذوي الحسب والنسب والكفاية القيادية المتميزة ؛ حتى جاء طارق، فكان أول قائد من غير العرب ، فما الذي حمله إلى القيادة حملا ولم يكن عربياً أصيلا ؟ ما الذي جعل القيادة تسعى اليه ، وهو من البربر ؟

لابد وأن تكون لديه مزايا قيادية فذة ، مهدت له الطريق لتولي القيادة ، وتغلبت على العقبات التي كانت تحول بينه وبين أمثاله من غير العرب ، لتولي القيادة في تلك الأيام من عهد بني أمية في التاريخ الإسلامي العريق .

فما هي مجمل تلك المزايا ؟

لم يأخذ موسى حشوداً من العرب المسلمين معه إلى إفريقية والمغرب ، فقد سار من مصر مصحوباً ببعض المتطوعين من رجال القبائل العربية هناك (١٨٦)، واعتمد في فتوحه على العرب والبربر الموجودين في إفريقية والمغرب ، ولم يكن تعداد العرب المسلمين بالنسبة إلى تعداد البربر المسلمين الذين يتزايدون يوماً بعد يوماً شيئاً مذكوراً ، فكان العرب المسلمون أقلية والبربر المسلمون أكثرية ، ولا مجال لموسى إلا في التعاون مع البربر المسلمين ، فاستعان بهم ،

---

(١٨٤) أسد الغابة (٢/٩٣) والاستيعاب (/٢٧) .
(١٨٥) أنساب الأشراف (١/٦٠) والسيرة الحلبية (١/٣٤٧) .
(١٨٦) اخبار مجموعة (٣ ـ ٤) ونفح الطيب (١/٢٣٠ و ٢٥٠) .

فتمكّن من توسيع نطاق فتوحاته، لتشمل من القيروان إلى المحيط الأطلسي(١٨٧) :

وبعد أن أخضع موسى القبائل البربريّة في إفريقية ، قرّر أن يبذل جهوداً فعّالة لافتتاح المغرب ، فأرسل ثلاث حملات : قاد الأولى بنفسه(١٨٨)، وقاد الحملتين الثانية والثالثة قائدان مرءوسان من قادته (١٨٩) ، فنجح موسى في محاولاته الثلاث نجاحاً باهراً ، أرضى بها كلاً من عبدالعزيز بن مروان والي مصر ومسئوله المباشر ، والخليفة في دمشق ، اللّذين أبديا إعجابهما بحملاته الناجحة وكثرة ما حمله إليهما من غنائم (١٩٠) .

وفي الحملة الناجحة التي قادها موسى ، من هذه الحملات الثلاث ، زحف موسى مصحوباً بطارق على مقدّمته إلى طَنْجَة ، ففتحها ، ثم توغّل جنوباً ففتح مناطق واسعة جداً ، وكان توغله ناجحاً للغاية . وقد امتازت تلك الحملات التي قام بها موسى وقائداه ، بضراوة شديدة ، ولكن ما إن يعتنق البربر الإسلام ، إلاّ ويُقرّ الفاتحون زعماءهم في الرئاسة ، مقابل مساهمة كلّ قبيلة بربريّة بعدد كاف من المجاهدين ، للانضمام إلى جيش المسلمين ؛ فاستطاع موسى أن يجنّد أعداداً هائلة من مختلف قبائل البربر ، مثل : كُتَامَة ، وهَوَّارة ، وزَنَاتة ، ومَصْمُوْدَة (١٩١) ، فوحّد موسى هؤلاء المجاهدين الجُدد من البربر ، ووضعهم جميعاً في حامية طنجة بقيادة طارق

(١٨٧) cf. p. Guichard, Al-Andalus. p. 284.

(١٨٨) المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب (١١٧ — ١١٨) والبيان المغرب (٤١/١) .

(١٨٩) البيان المغرب (٤١/١ — ٤٢) وابن خلدون (٤٠٢/٤) .

(١٩٠) ابن حبيب (٢٢٤) وفتح مصر والمغرب (٢٠٣ — ٢٠٤) وفتح الاندلس (١٢) والرسالة الشريفية (١٦٥) والنويرى (٢٢/٢٢ — ٢٣) .

(١٩١) البيان المغرب (٤٣/١ — ٤٤) وعبيد الله بن صالح — تحقيق بروفنسال (٢٢٤) .

الذي عينّه حاكماً على هذه المدينة في حدود سنة تسعين الهجرية (٧٠٨ م) ؛ ولم يُبْقِ مع طارق إلاّ القليل من العرب المسلمين ، الذين كانت مهمّتهم نشر تعاليم الإسلام بين البربر (١٩٢) ، وغادر الجيش الإسلامي بقيادة موسى إلى القيروان ، حيث استقرّ موسى ومَن معه هناك ، وبقي طارق وجيشه البربريّ في طنجة قائداً وواليا .

ومنذ ذلك الوقت ، تمت سيطرة موسى بن نُصَيْر على الشّمال الإفريقي أي سيطرة الدولة الإسلاميّة ، على تلك المناطق النائية ، بعد سبعين سنة من الاقتتال بين الفاتحين المسلمين وبين البربر ، وهي المنطقة الكائنة بين بَرْقة(١٩٣) على الحدود اللّيبية المصريّة والمحيط الأطلسي . وما كان موسى ليستطيع تحقيق هذه السيطرة الكاملة ، لولا تطبيق روح الإسلام في السير على سياسة التعاون والاندماج بين العرب المسلمين والبربر المسلمين ، وكان بإمكان أسلاف موسى أن يحققّوا النصر في تلك الأصقاع النائية بوقت أقصر لو اتبعوا منذ البداية سياسة أبي المهاجر (١٩٤) دِينَار الإيجابيّة في هذا المجال (١٩٥) .

ومن الواضح ، أنّ أول مزيّة من مزايا قيادة طارق ، التي أهّلته لتولّي منصبه القيادي ، هي أنّه بربري ، فقد كان السّواد الأعظم من جيشه والأغلبية المطلقة من البربر المسلمين ، وكان العرب المسلمون في طنجة أقليّة

---

(١٩٢) ابن حبيب (٢٢٢) وفتح مصر والمغرب (٢٠٤ ـ ٢٠٥) وذكر بلاد الأندلس (رقم ٨٥ج) ص (٨٣ ـ ٨٤) وابن الأثير (٥٤٠/٤) ووفيات الأعيان (٣٢٠/٥) والبيان المغرب (٤٢/١) والنويرى (٢٢/٢٢) وابن خلدون (٤٠٢/٤) و (٢٢٠/٦ و ٤٣٧) ونفح الطيب (٢٣٩/١) والسلاوى (٩٦/١) .

(١٩٣) برقة : اسم صقع كبير ، يشتمل على مدن وقرى بين الأسكندرية وافريقية ، واسم مدينتها : انطابلس . وتفسيره الخمس مدن ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٣٣/٢) والمسالك والممالك (٣٢) .

(١٩٤) أبو المهاجر دينار : انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح المغرب العربى (١٣٧/١ ـ ١٤٩) .

(١٩٥) الفتح والاستقرار العربى الأسلامى في شمال افريقيا والأندلس (١٤٣) .

مطلقة أيضاً ، يقتصر واجب رجالها على الدعوة إلى الله ، فهم من الدعاة لا من القادة ، فرأى موسى أن يولّي طارقا على قومه البربر المسلمين ، فهو منهم وإليهم ، يعرف آمالهم وآلامهم ، ويستطيع التّفاهم معهم وحلّ مشاكلهم ومعالجة معضلاتهم بسهولة ويسر ، وهو أقدر على قيادتهم وإدارتهم من عربيّ مسلم غريب عنهم ؛ كما أنّه قادر على التأثير في نفوس البربر ، لأنّه ليس غريباً عنهم ، ويتقبّلون التّعامل معه أكثر مما يتقبلون التعامل مع قائد أوإداري غريب عليهم ، يشعرون أنّه سيِّدهم وهم تَبَع ه وأنه مفروض عليهم ، بعكس شعورهم بالنسبة لقائد أو إداري من البربر ، يشعرون أنّهم أنداد له ، وهو ليس مفروضاً عليهم ، بل من أبنائهم .

ولكن مزيته البربرية وحدها لا تكفي لتولّي القيادة ، فيبدو أنه كان مؤمناً صادقاً ، حَسُنَ إسلامُه ، وأصبح ولاؤه للإسلام وتعاليمه ؛ وبذلك رضى الدعاة العرب أن يعملوا معه وبإمرته وإدارته وتوجيهه ، ولولا ذلك لرفضه البربر المسلمون والدّعاة العرب في مثل تلك الأيام في أيام الفتح والجهاد والدّعوة إلى الله .

وقد ولّاه موسى على مقدّمته في حركته لفتح طنجة ، وقد كان موسى من ألمع قادة الفتح الإسلامي ، ولا يمكن أن يولّي على مقدّمته إلاّ مَن كانت له سمات قيادية متميزة ، لأن المقدّمة مسئولة عن أمن سائر الجيش ، ومسئولة عن الحصول على المعلومات عن العدو والأرض . ، وهي التي تُيَسِّر تقدّم الجيش إلى أمام بسهولة وانطلاق ، ومسئولة عن منع العدو من الحصول على المعلومات عن جيش المسلمين ، لئلا يستفيد من تلك المعلومات في ضربه وعرقلة تقـدّمه في المكان والزمان الجازمين ، وهي مسـئولة عن تطهير الطريق ليتقدّمِ الجيش بسرعة واندفاع ، ولا يمكن أن ينهض بهذه المسئوليات إلاّ قائد متميز .

والذي يبدو ، أنّ موسى ، جرّب طارقاً ، في مسيرته الطويلة الشاقة ، من القيروان إلى المحيط الأطلسي . فأثبت طارق أنّه جدير بالثقة ، فولاّه موسى على مقدّمته أولاً . فكانت أوّل الغيث ، ثمّ انهمرت عليه المناصب بعد ذلك (١٩٦) .

وقد كان موسى على صلة وثيقة بطارق ، لأنّ طارقاً هو مولى موسى ، ومن مواليه المقرّبين . ولكنّ موسى لم يُقْدِم على تولية طارق القيادة ، لأنّ طارقاً مولاه، فليس هناك مَن يولّي القيادة في أيام الحرب مَن لا يستحقّها ، حتى ولو كان ابنه أو شقيقه ، ولا يُولّيّ في مثل تلك الظروف غير ذوي الكفاية القيادية العالية من القادرين على تحمّل أعباء القتال وقيادة الرجال ، لأنّ مَن يُولِّي منصباً قيادياً في أيام الحرب مَنْ لا تتوفر فيه الكفاية والمزايا القيادية المطلوبة . تكون العاقبة الوخيمة هزائم واندحاراً وخسائر فادحة عليه ، وعلى جيشه وعلى القائد الذي تولّى القيادة اعتباطاً وعلى الأمة والبلاد ، ولا يمكن أن يقع في مثل هذا الخطأ الشنيع قائد متميِّز مثل موسى ولا أيّ قائد آخر .

إنّ مفتاح مزايا قيادة طارق . هو أنّه كان المثال الشخصيّ لرجاله في الشّجاعة والإقدام ، فهو لا يكتفي بإصدار الأوامر لرجاله ، بل هو أوّل مَن يبدأ بتنفيذها على نفسه . بشكل يكون فيه أسوة حسنة للذين يعملون معه ، إن استطاعوا .

ولم يكن طارق من القادة الذين يقودون رجالهم من الخلف ؛ يُصدر أوامره إليهم . ويطالبهم بتنفيذها . ثم يقبع هو في الخلف آمناً مطمئناً بعيداً عن الخطر . إنّه من القادة الذين يقودون رجالهم من الأمام : يُصدر أوامره إلى رجاله . ويقول لهم اتبعوني . وافعلوا ما تروني أفعل . ثم يكون القدوة لرجاله في الشّجاعة والإقدام . والتّضحية والفداء .

---

(١٩٦) نفح الطيب برواية الرازي (١/٢٥٤) .

كان يُتْعِب نفسه ، أكثر مما يُتعب رجاله ، فكان لا ينام ولا يُنيِم .

ولكي تتّضح سمات طارق القيادية ، لابدّ من ضرب الأمثال ، لكي نستنتج منها تلك السمات بوضوح وجلاء .

حين أصبح المسئول عن فتح الأندلس ، أعدّ خطّة الفتح المفصّلة ، وبدأ بتنفيذ مراحلها في رمضان من سنة إحدى وتسعين الهجرية (آب — أيلول — أغسطس — سبتمبر ٧١٠ م) ، وذلك بإرسال حملة استطلاعيّة بقيادة أبي زَرْعة طريف بن مالك المعافري ، مؤلفة من أربعمائة راجل ومائة فارس .

ونجحت مهمة طريف الاستطلاعية نجاحاً باهراً ، فقرّر طارق أن يقود الحملة المقبلة تنفيذاً لمراحل خطة الفتح .

لقد كان طارق قائداً يبدأ أعماله بالاستطلاع المفصّل ، ليكون على بيِّنةٍ من أمره ، ولا يخطو خطوة إلاّ بعد جمع المعلومات الضرورية : بالاستطلاع ، فلا يضع خطوته إلاّ في موضع أمين ، واضح المعالم غير مجهول التفاصيل ، فهو يعمل دائماً بالنور ، ولا يعمل أبداً في الظلام ، وتلك سمة مهمّة من سمات القائد الحصيف

وفي عملية عبور جيش طارق من مدينة سَبْتَة إلى برّ الأندلس ، برزت ثلاث سمات من سمات قيادته : الأولى : استئثاره بالخطر لحماية رجاله وإيثارهم بالأمن ، والثانية : حرصه الشّديد على أرواح رجاله ، والثالثة : المبالغة في بذل جهده للاطمئنان على سلامة العملية في الأنزال ، والتأكد من إكمال عبور رجاله كافة كما ينبغي دون تخلّف بعضهم عن العبور ، وإنجاز عمليّة العبور بدون خسائر تذكر مادّياً ومعنوياً .

فقد أبحر طارق من سبتة على رأس الوجبة الأولى من رجاله ليلاً ، وجرى إنزال رجاله في مكان وَعْرٍ من الشّاطىء الأندلسي ، وسهّل عملية الإنزال باستخدام المجاذيف وبراذع الخيل التي أُلقيت على الصّخور لتلافي

خطرها على رجاله ، فتمكّن طـارق من إنزال هذه الوجبة من رجاله على الشاطىء بصورة مفاجئة دون أن يراه أحد من العدو (١٩٧) .

ولما اطمأن طارق إلى سلامة هذه الدّفعة من رجاله ، عاد بالسُّفن الفارغة إلى البرّ الإفريقي في سبتة ، وحمل الدّفعة الثانية من رجاله على السفن ، وعاد بهم إلى البرّ الأندلسيّ ، حيث جرى إنزالهم ، حتى قال بعض المؤرخين : إنّ طارقاً كان آخر مَن عبر إلى الأندلس (١٩٨) ، وهذا صحيح ، فقد عبر مع الدفعة الأولى ، ثم عبر مع الدفعة الثانية ، وبذلك اطمأن إلى عبور آخر رجل من رجاله بسلام ، فقد أبحر طارق مع أول جماعة ، وأخفى نفسه في الجبل حتى الليلة التالية ، حيث أرسل المراكب مرة أخرى لكي تعود ببقية رجاله (١٩٩) ، وما أخفى طارق نفسه في الجبل إلى النهاية، بل عاد ليرافق الجماعة الثانية من رجاله ، إذ قاد فعلاً المجموعة الأولى إلى الشاطىء الأندلسيّ ، ولكن ما أن هبطت تلك المجموعة بسلام ، حتى عاد بالمراكب إلى سبتة لكي يُشرف على بقية العمليّة ، ومن ثـمّ أبحر مع المجموعة الأخيرة من الرجال (٢٠٠).

وكان تعداد رجال طارق الذين جرى إنزالهم في هذه المرحلة سبعة آلاف رجل . وهم الذين عبروا المضيق مع طارق . وتضمّ المجموعة الأخرى خمسة آلاف رجل ، وهم الذين أُرسلوا فيما بعد مَدداً لطارق من قِبَل موسى بن نُصَيْر (٢٠١) . وضمّت الحملة سبعمائة رجل من السُّودان (٢٠٢)

(١٩٧) ابن الكردبوس (٤٦) والبيان المغرب (٢/ ٩) .
(١٩٨) ابن الشباط (١٠٦) والبيان المغرب (٢/ ٩) برواية الرازي ، ونفح الطيب (١/ ٢٥٤) .
(١٩٩) فتح مصر والمغرب (٢٠٥ ـ ٢٠٦) .
(٢٠٠) الفتح والاستقرار العربى الأسلامى في شمال افريقيا والأندلس (١٦٤) .
(٢٠١) نفح الطيب برواية ابن حيان (١/ ٢٣١ ـ ٢٣٢) واخبار مجموعة (٧) وابن الأثير (٤/ ٥٦١ ـ ٥٦٣) .
(٢٠٢) ذكر بلاد الأندلس (رقم ٨٥ ج ص ٨٤) وفتح الأندلس (٥) .

وهذا يُظهر لنا ، أنّ طارقاً من أولئك القادة الذين يُقدمون على إنجاز ما يُكلَّفون به من مهمات عسكرية بكلّ عزم وبدون تردّد ، دون خلق المعاذير أو اختلاقها للتملّص من تحمل المسئولية ، والتهرّب من الأخطار المتوقّعة. ومن الواضح ، أنّ تقبّل طارق مهمة العبور للفتح ، بقوّة لا تزيد على سبعة آلاف رجل فقط ، لفتح بلاد واسعة ، لها ملك ونظام راسخ وجيش عريق ، يمكن أن يعدّ من طارق حبّاً للمسئولية ، كما أنّ الإقدام على تنفيذ الأوامر الصّادرة إليه من مرجعه بدون تردّد وبشجاعة ، دليل على تمتّع طارق بحبّ المسئولية ، وهي سمة من سمات القادة الكبار ، ودليل على تمتّعه بالشجاعة ، وبالضبط المتين ، والشجاعة والتحلّي بالضبط المتين من سمات القادة الكبار أيضا .

وبهذه المناسبة ، فإنّ القادة العسكريين ، من ناحية تحمّل المسئولية ، صنفان : صنف يتحمّل المسئولية ، ولا يتردّد في تنفيذ الأوامر الصادرة إليه ، حتى إذا كان التنفيذ صعباً جداً ، فهو يبدأ بالتنفيذ ، ثمّ يطالب بمعاونته ما وجد إلى ذلك سبيلا . وصنف يتهرّب من المسئولية ويتملص منها ، حباً بالعافية والسّلامة ، فيختلق المعاذير أو يخلقها ، فإذا اضطر إلى تنفيذ ما عُهدَ به إليه مانفذّه متذمّرا . والصنف الأول الذي يتحمّل المسئولية من القادة ، هم الذين يُفلحون في أداء واجباتهم ، ويقودون رجالهم إلى النصر . أما الصنف الذي يخاف المسئولية من القادة ، فهم الذين لا يُفلحون أبداً في أداء واجباتهم ، ولا يقودون رجالهم إلّا إلى الهزيمة .

وظهرت سمة جديدة من سمات قيادة طارق ، في تحصين مواضع إنزال قوّاته في جبل طارق ، فمن واجب المقاتل أن يحصِّن موقعه فوراً وبدون تأخير بعد احتلاله مباشرة ، ليستعين بموقعه المحصّن على الثبات أولا .

(٢٠٣) ذكر بلاد الأندلس (رقم ٨٥ ج ص ٨٤ – ٨٥) والبيان المغرب (٢/ ٩) وابن خلدون (٤/ ٢٥٤) ونفح الطيب (١/ ٢٣٢) .

وليحمي نفسه من رصد العدو وسهامه المصوّبة إليه : « فلما حصلوا في الجبل ، بنوا سوراً على أنفسهم يسمى : سور العرب ... الخ ... » (٢٠٤) والحرص على بناء هذا السور الحجري لحماية جيش طــارق ، دليل على تمتّعه بمزية : الأمن ، وهو مبدأ من مبادئ الحرب ، يستحثّ القائد على أمن قواته من نظر العدو ورصده ومن أسلحته المصوّبة إليه ، كما أنّ التحصين يساعد على الثبات.

وظهرت سمة : رفع المعنويات في قيادة طارق ، في معركته الخاطفة على بَنْج (٢٠٥) (Banj) حيث قضى طارق على قوات بنج ، ولم ينج من جندها إلاّ واحد اسمه : بِلْيَاس ، أسرع إلى معسكر لذريق في أقصى شمالي الأندلس (٢٠٦) ، وأخبره بنزول المسلمين البلاد ، وإبادة قوات بنج إبادة كاملة .

ومن الواضح جداً ، أنّ انتصار المسلمين السّاحق ، على قوّات القوط ، وإبادتها عن بكرة أبيها ، أدّى فيما أدّى إليه ، إلى رفع معنويات الفاتحين ، وانهيار معنويات القُوْط ، وارتفاع المعنويات عامل من عوامل النصر ، وانهيارها عامل من عوامل الهزيمة .

وبالرغم من ثقة طارق بنفسه ، وثقته برجاله ، وارتفاع معنويات المسلمين ، ألاّ أن طارقا حين علم باقتراب لذريق وقوّاته المتفوقة الضاربة ، من مواضع المسلمين ، كتب إلى موسى يستنجده ، فأرسل إليه جيشاً قرابة خمسة آلاف مقاتل ، بقيادة طَرِيف بن مالك (٢٠٧) ، فقويت بالمدد نفس طارق ونفوس مَن معه .

---

(٢٠٤) البيان المغرب (٢/٩) .
(٢٠٥) البيان المغرب (٢/١٠) .
(٢٠٦) نفح الطيب (١/١٤٩) .
(٢٠٧) العبر (٤/٢٥٤) ونفح الطيب (١/٢٣٣) .

وتكرّر استنجاد طارق بموسى ، بعد تغلغله بالعمق في الأندلس ، فأصبحت ميمنة المسلمين وميسرتهم مهددّة بالعدو ، كما أصبحت خطوط مواصلاتهم وقواعدها المتقدمة والأمامية مهدّدة بالعدو أيضا ، فكتب طارق إلى موسى : « إنّ الأمم قد تداعت علينا من كلّ ناحية ، فالغوث .... الغوث » (٢٠٨) ، فعبر موسى إلى الأندلس ، باستدعاء طارق إياه (٢٠٩) .

وهذا يظهر مزيتين مهمتين من مزايا طارق القيادية ، هما : تقديره الصّائب للموقف العسكري ، ومطالبته بالمدد في الوقت الذي يحتاج إلى المدد ، دون أن يغترّ بالمعنويات العالية التي يتحلّى بها ويتحلى بها رجاله ، وبالانتصارات المتوالية على العدو القوطيّ . والمزية الثانية ، هي حرصه العظيم على أمن رجاله، فلا يفسح المجال لتعريضهم إلى التّهلكة دون مسوّغ . وهاتان المزيتان من أهمّ المزايا التي يتصف بها القادة العظام في التاريخ ، فإنّ تقدير الموقف الصّائب في الزمان والمكان المناسبين ، يدلّ على تمتع القائد بالذكاء الألمعيّ ، وبمزية سبق النظر ، فيتوقع الأحداث قبل وقوعها ، ويُعدّ لها ما يمكن أن تُعالج به علاجاً ناجعاً . أما الحرص على أمن قوّات القائد ، فهو الذي يحفظ لها معنوياتها من الانهيار ، ويجعلها تثق بالقائد وتنفذ أوامره طوعاً عن طيبة خاطر ، مهما يعترض سبيلها من مصاعب ومعضلات .

وقد ظهرت مزيّة : الشجاعة ، في طارق ، في مواقف كثيرة ، فضرب بشجاعته لرجاله أروع الأمثال ، وكان أسوة حسنة لهم ، حتى كانت خسائر رجاله في معركة لَكّه ، وهي المعركة الحاسمة بين المسلمين بقيادة طارق ، وبين القُوط بقيادة لذريق ، ثلاثة آلاف شهيد ، من مجموع جيش طارق الذي كان اثنى عشر ألف مقاتل ، أي أنّ خمسة وعشرين بالمائة من جيش المسلمين استُشهدوا في هذه المعركة الحاسمة ، فقد قسم طارق الغنائم بعد انتصاره

(٢٠٨) الامامة والسياسة (٢/٧٤ ـ ٧٥) .
(٢٠٩) البيان المغرب (٢/١٩) .

على القوط في هذه المعركة على تسعة آلاف من المسلمين (٢١٠) ، أي أنّ هؤلاء هم الذين سَلِموا ، واستُشهد الباقون .

ويقول طارق في خطبته على رجاله قبل الاشتباك بالقوط في تلك المعركة الحاسمة : « .... ألا وإني عامد إلى طاغيتهم بنفسي ، لا أقصِّر حتى أُخالطه أو أُقتل دونه » (٢١١) ، و : « ما فعلتُ من شيءٍ فافعلوا مثله ، إن حملتُ فاحملوا ، وإن وقفتُ فقفوا ...... ألا وإني عامد إلى طاغيتهم بحيث لا أتهيّبه حتى أُخالطه أو أقتل دونه » (٢١٢) ، فهو لا يريد من رجاله شيئاً أكثر من أن يفعلوا ما يفعل. ويقتفوا آثاره في الشجاعة والإقدام . ومن الواضح، أنّ تأثير طارق في رجاله كان عظيماً ، فقد كان قدوتهم في الشجاعة ، وخير دليل على شجاعتهم ما أنجزوه في الفتوح ، وما أحرزوه من انتصارات ، وما بذلوه من تضحيات .

ومن الأمثلة التي تدلّ على شجاعة طارق النادرة ، أنّ العِلْج صاحب إسْتَجّة خرج إلى النهر وحده لبعض حاجاته ، فصادفه طارق هناك ، وكان طارق قد أتى لمثل ذلك . وطارق لا يعرفه . ووثب طارق على العلج صاحب إسْتَجّة في الماء . وأخذه أخذاً وقاده إلى معسكر المسلمين ، فلما كاشفه اعترف له بأنه أمير المدينة . فصالحه طارق على ما أحبّ ، وضرب عليه الجزية . وخلّى سبيله . وكان طارق يحاصر المدينة ، فاستسلمت للمسلمين ،

---

(٢١٠)نفح الطيب (١٦٣/١) .

(٢١١) مجلة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد (٢٢٢/٥ ــ القسم الفرنجي) وسراج الملك (١٥٩) وتاريخ الاندلس لابن الكردبوس ، ووصفه لابن الشباط (١٥٤ ــ ١٥٥) تحفة الانفس لابن هذيل نقلا عن : دولة الاسلام في الاندلس (٤٦/١) .

(٢١٢) الامامة والسياسة (٧٤/٢) ووفيات الأعيان (٤٠٤/٤ ــ ٤٠٥) وتاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط (١٥٤ ــ ١٥٥) ونفح الطيب (٢٢٥/١ ــ ٢٢٦) .

ووفى العلج أمير المدينة بما عاهد عليه طارقاً (٢١٣) ، ولا يمكن أن يبتعد قائد عن جيشه ، ويخرج وحده بعيداً عن رجاله ، فيصاول رجلاً من الأعداء ويأسره ، ثمّ يظهر أن الأسير أمير المدينة المحاصرة وبيده الحلّ والعقد ومصير المدينة ، فيفتدى نفسه بتسليم المدينة للفاتحين ، بعد أن قاومت مقاومة شديدة مدة طويلة . وطارق في مزّية الشجاعة ، يشابه خالد بن الوليد في هذه المزية ، فقد كان خالد أيضاً يترصّد قائد أعدائه ، فإذا استمكنه هاجمه هجوماً مباشراً ، حتى يقتله أو يأسره ؛ وقتْلُ القائد في تلك الأيام ، يؤدي غالباً إلى انهيار معنويات رجاله ، فلا يبقى أمامهم غير الاستسلام .

ولعلّ مما يدلّ دلالة واضحة ، على تمتّع طارق بالذكاء الخارق ، والكياسة ، وحسن التدبير والسياسة ، والمقدرة على استقطاب ثقة الناس به من رجاله ومن أعدائه ، ما فعله طارق مع يليان صاحب سبتة ، فقد استعصت هذه المدينة على الفاتحين ، ونجحت في صدِّهم عن أسوارها خائبين . وقد تطرقنا بما فيه الكفاية عن أسباب ثبات سبتة أمام الفاتحين ، وأسباب استسلام يليان للمسلمين وتسليم سبتة لهم صلحاً بدون قتال ، وتوطيد صلته المباشرة بالمسلمين في التعاون معهم ومعاونتهم في الفتح . ولكن صلة يليان المباشرة بطارق واتصاله به ، لأنّ طارقاً كان على طنجة التي على حدود سبتة — هو السبب المهم في استسلام يليان للمسلمين ، وتسليم سبتة لهم سلماً بدون قتال .

تلك هي سمات قيادة طارق البارزة : ذكاء خارق ، وكياسة واتزان وحصافة ، وحسن التدبير وحسن السياسة ، والقابلية على استقطاب الثقة به إنساناً وقائدا ، ونسبه البربري الذي آثر عليه نسبه إلى الإسلام ، وإيمانه العميق الرّاسخ بتعاليم الدِّين الحنيف ، وتجربة عمليّة ناجحة في القيادة ، يقود

---

(٢١٣) نفح الطيب (١/٢٦٠) وانظر أخبار مجموعة (٩ — ١٠) وابن الأثير (٥٦٣/٤) والبيان المغرب برواية الرازى (٢/٨ — ٩) .

رجاله من الأمام ، ويكون قدوة حسنة لهم بالأعمال لا بالأقوال ، يستأثر دون رجاله بالخطر ويؤثرهم بالاطمئنان ، يبذل جهداً في جهاده أكثر مما يبذله أيّ رجل من رجاله ، حريص غاية الحرص على أرواح رجاله ، يتحلّى بالضبط المتين ، ويتحمّل المسئولية كاملة ويحبّها ، يبذل قصارى جهده لرفع معنويات رجاله ، ويهتمّ بأمن جيشه كلّ الاهتمام ، يسبق النظر فيُعدّ لكل ما يُحتمل وقوعه من علاج ، لا يجتاحه الغرور ولا يستخذى للأماني ، يقدِّر الموقف العسكري تقديراً واقعياً صائباً ، يتميز بالشجاعة النادرة والإقدام .

تلك هي مجمل سمات قيادة طارق ، التي أهّلته بحق لتولّي منصب القيادة ، على عهد بني أُميّة وعلى قادة من العرب ، رضوا بقيادته ، وتعاونوا معه ، وعاونوه في ميادين القتال (٢١٤) .

وهي سمات تؤهِّل مَن يتحلىّ بها ، أن يتولىّ المناصب القيادية ، إذا استطاع أن يبرز تلك السِّمات عملياً ، للذين بيدهم تولية القادة .

ولعلّ من المفيد تطبيق مزايا قيادة طارق ، على مزايا القادة المعروفة في كتب الدراسات العسكرية المعتمدة ، زيادةً في الإيضاح ، لا زيادة في التّعريف .

٢ ـ طارق ومزايا القيادة العامة .

أ . لقد كان طارق : ذا قرار سريع صحيح ، حاضر البديهة ، يعالج المواقف الحربية المتبدّلة بسرعة وبشكل غير متوقّع ، بإصدار القرار السريع

(٢١٤) مثل طريف بن مالك ، وعبد الملك بن عامر المعافرى الجد الأعلى للمنصور بن أبى عامر وغيرهما ، وهما من أشهر العرب المساهمين في جيش طارق . انظر : ابن بسام ـ الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ـ (١/٠٤) ـ القاهرة ـ ١٩٤٥ ، والحلة السيراء (١/٢٧٥) والبيان المغرب (٢/٢٥٦ ـ ٢٥٧) والاحاطة (٢/١٠٢) وأعمال الأعلام (٥٩) ونفح الطيب (١/٣٩٦ و ٣٩٩) وذكر بلاد الأندلس (رقم ٨٥ ج ص ١٤٧ ـ ١٤٨) و (رقم ٥٥٨ ص ٢٠٥) .

المناسب ، في الوقت المناسب ، دون أن يضيّع الوقت سدى ، فتضيع الفرصة السّانحة التي قد لا تعود من جديد . فقد أقلع طارق على رأس الجماعة الأولى من رجاله ، وكان إقلاعه من سَبْتَة ، بسبب رغبة طارق في إيجاد مكان ملائم للانزال على الشاطىء الأندلسي ، وربما كان المكان الذي قصده أولا منطقة الجزيرة الخضراء التي تقابل سبتة ، ولكن طارقاً قرّر التخلّي عن الإنزال في هذا المكان القريب ، لأنه وجد جماعة من القوط فيه حاولت منعه من الإنزال ، فأبحر منه ليلا إلى مكان وعرٍ من الشّاطىء . وقد حاول تسهيل عمليّة الإنزال ، باستخدام المجاذيف وبراذع الخيل التي أُلقيت على الصّخورِ لتلافي خطرها ، وبهذه الطريقة تمكّن طارق من الإنزال المفاجىء ، من غير أن يراه أحد على الشاطىء (٢١٥) ، فتمّ إنزال جماعته الأولى بسلام دون خسائر تذكر ، وكوّن بإنزالها رأس الجسر الواجب إقامته ، لتأمين عبور المسلمين وإنزالهم على البر الأندلسي بسلام ودون خسائر تذكر .

ومن هذه العمليّة الصغيرة ، المتمثّلة في عبور الوجبة الأولى من رجال طارق إلى الأندلس ، يبدو قراران سريعان صحيحان : الأول : قراره في تبديل مكان الإنزال من الجزيرة الخضراء إلى جبل طارق ، للتخلص من مقاومة القوط للإنزال . والثاني : في استخدام المجاذيف وبراذع الخيل على الصخور لتلافي خطرها على رجاله .

ويمكن استنتاج قراراته السريعة الصحيحة ، في كلّ عملياته الحربية التي استمرت أربع سنوات في الأندلس ، وهي كثيرة جداً لا تحصى ، فلا عمليّة بدون قرار سريع صحيح ، وإلاّ كانت نتيجته الهزيمة ، ولا نعرف هزيمة لطارق في حياته العسكرية ، مما يدل على أنّه كان ذا قرار سريع صحيح على

---

(٢١٥) ابن الكردبوس (٤٦) ، وفي البيان المغرب (٢/٩) يورد رواية مشابهة عن عبور طارق ونزوله على الجبل .

الدوام ، ولعلّ تولية طارق مقدّمة موسى في فتح طنجة ، ومقدّمة موسى بعد عبوره إلى الأندلس ، خير دليل على تمتعه بالقرار السريع الصحيح ، لحاجة قائد المقدمة إلى مثل هذا القرار .

ب . وكان طارق يتحلّى : بالشجاعة الشخصية ، وكل عملياته في فتح الأندلس ، تدل على أنه كان شجاعاً مقداماً ، من الطراز الأول شجاعةً وإقداما ، وقد ذكرنا أمثلة على شجاعته النادرة قبل قليل ، ولعلّ هذه الشّجاعة هي التي لفتت إليه نظر موسى بن نُصَيْر وغيره من المسئولين،ولفتت إليه أنظار رجاله من العرب والبربر ، فكان أسوةً حسنةً لهم في الشّجاعة والإقدام .

ج . وكان طارق يتحلّى : بالإرادة القويّة الثابتة ، فإقدامه على العبور إلى الأندلس لفتحها ، على رأس سبعة آلاف مقاتل فقط ، دليل واضح على قــوة إرادته وثباتها . وإقــدامه على خوض المعركة الحا سمة على رأس اثني عشر ألف مقاتل فقط ، لمصاولة القوط ، وهم أضعاف أضعاف قوته ، بقيادة ملك القوط لذريق وحشد من قادته ، على أرض الأندلس التي يعرفها القوط لأنّـها أرضهم ، ويجهلها المسلمون لأنها ليست بلادهم ، دليل واضح جليّ على قوة إرادة طارق وثباتها . وتغلغل طارق بالعمق في الأندلس ، وهو في نحو تسعة آلاف مقاتل ، دليل واضح على قوّة إرادة طارق وثباتها .

إنّ تمتّع طارق بمزية : الإرادة القوية الثابتة ، قد لا تحتاج إلى دليل .

د . وكان طارق يتمتّع بمزيّة : تحمّل المسئولية ، وكان لا يتحمّلها حسب ، بل يحبّها ، فهو يتحمّل المسئولية ويحبّها ، ولعلّ قبوله فتح الأندلس ، بقوة لا تزيد على سبعة آلاف مقاتل ، خير دليل على تحمّله للمسئولية وحبّها ، وعدم التملّص منها ، والتهرّب من عواقبها .

هـ . وكان طارق يتحلّى بمزيّة تمتّعه : بنفسيّة لاتتبدّل ، في حالتي النّصر والهزيمة ، والسرّاء والضراء ، واليُسر والعُسر .

لقد كان أحد رجال البربر ، فقدّمه جدّه إلى مصاف القادة المرءوسين ، ثم أصبح والياً على منطقة طنجة الواسعة وقائداً على حاميتها من البربر . واستمر نجمه في الصّعود ، فتولّى قيادة مستقلّة ، لها ارتباط مباشر بموسى بن نُصير . وفي الأندلس ، أصبح قائداً فاتحاً ، تخضع البلاد المفتوحة من الأندلس لسلطته المباشرة . وعبر موسى إلى الأندلس ، فأصبح طارق من جديد قائداً مرءوساً ، ثم بدأ نجمه بالهبوط ، حتى سُحب من قيادته بأمر الخليفة الوليد بن عبدالملك بن مروان ، وأصبح رجلاً بلا غد ، لا يعرف مستقبله ولا مصيره . وحلّ في الشّام ، بعد أن قطع المسافة الطويلة الشاسعة بين الأندلس ودمشق ، برفقة مولاه موسى بن نُصَيْر ، فما عرف أحد من المؤرخين وغيرهم ، أنّ نفسية طارق تبدّلت في حالتي العزّ والذل ، والسّلطة وبلا سلطة ، والقيادة وبدون قيادة ، بل بقي نفسيّاً صابراً محتسباً ، لم يغترّ بمظاهر السّلطان ، ولا استكان لمظاهر الخذلان ، لأنه لم يكن يعمل لنفسه في جهاده وجهوده ، بل كان يعمل لله من أجل مصلحة الإسلام والمسلمين العليا ، وليس لمصلحته الشخصية مكانا ولا مكانة حتى يفرح إذا ربحت ، ويحزن إذا خسرت ، وهذا هو سر صبره الجميل وبقاء نفسيّته ثابتة لا تتبدّل .

و . وكان طارق يتمتّع بمزيّة : سبق النّظر ، وهذه المزيّة تجعل القائد يتوقّع ما سيقوم به العدو قبل وقوع الأمر بوقت كافٍ ، ويتّخذ التدابير الضروريّة لإحباط ما يقوم به العدوّ . أي أنّ سبق النظر ، هي عملية اكتشاف نيات العدو المقبلة ، واتخاذ الإجراءات الكفيلة بإحباط النشاط المعادي في الزمان والمكان المناسبين .

وقد ظهرت مزيّة سبق النظر في طارق ، بصورة جليّة وواضحة ، في استنجاد طارق بموسى ، حين علم باقتراب لذريق وقوّاته المتفوّقة من مواضع المسلمين ، قبل اشتباك المسلمين بالقوط في معركة لَكّهْ ، وهي المعركة

الأندلسيّة الحاسمة ، فأرسل موسى إلى طارق خمسة آلاف مقاتل مدداً ، وبهذا المدد قويت نفس طارق ونفوس مَن معه . وبهذه النّجدة التي انضمّت إلى جيش طارق ، استطاع طارق إحراز النصر على القوط .

وتكرّر استنجاد طارق بموسى بعد تغلغله بالعمق في الأندلس ، فعرّض ميمنة المسلمين وميسرتهم وخطوط مواصلاتهم لخطر معادٍ عظيم . وقد سبق طارق النظر ، فاستنجد بموسى ، فبادر موسى إلى نجدته بنفسه ، وعبر إلى الأندلس ، وقضى على الخطر الداهم الذي كان يتهدّد المسلمين قبل عبوره ، وقضى بالتّعاون مع طارق على المقاومات القوطيّة التي أخذت تشتدّ شيئاً فشيئاً بالتدريج .

وما كان بإمكان طارق أن ينتصر على القوط في المعركة الحاسمة ، لو لم يسبق النظر فيستنجد بموسى ، فيصله المدد ، فيقوى المسلمون به مادّياً ومعنوياً ، ويحرزون النصر المؤزّر على القوط .

وماكان بإمكان طارق ، أن ينجو بجيشه المعرّض جناحاه وخطوط مواصلاته إلى تعرّض معادٍ ، لو لم يسبق النظر ، فيستنجد بموسى ، فيعبر موسى بنفسه على رأس قوّاتٍ ضاربة ، يُزيل بها الخطر المحدق بجيش طارق ، ويقضي بالتعاون مع طارق على مراكز المقاومة القوطية ، أو على أخطر مراكزها في جبال الأندلس على أصحّ تعبير .

ز . وكان يتمتّع بمزيّة : معرفة النّفسيّات والقابليات لرجاله ، فأكثرهم من البربر ، عاش معهم ، وعاشوا معه . أما العرب الذين كانوا في جيشه ، فقد كان أكثرهم معه في طنجة يعمل في مجال الدّعوة ، فلما عبر إلى الأندلس ، استمروا على عملهم في مجال الدّعوة ، وتحمّلوا أعباء الجهاد بالإضافة إلى واجبهم الأصلي ، فكانوا كالمجاهدين الآخرين ، إن لم يتفوّقوا عليهم في طلب الشّهادة والاستقتال في سبيل الله . وبهذه المناسبة ، فقد كان علماء

السّلف الصالح ، وهم الدعاة إلى الله ، لا يتخلّفون عن تحمّل أعباء الجيش بأمانة وإخلاص ، وكانوا حين يذكرون : أنّ الجهاد فرض ، لا يكتفون بهذا الكلام ، بل يطبّقونه عملياً على أنفسهم ، وليس سراً أنّ نسبة القراء من شهداء معركة اليَمَامة بين المسلمين بقيادة خالد بن الوليد وبين بني حَنيفة المرتدين بقيادة مُسَيْلَمَة الكذّاب ، كانت أعلى من نسبة شهداء المسلمين الآخرين ، فقد شهد المعركة من المسلمين نحو ثلاثة عشر ألف مقاتل (٢١٦) ، فاستشهد من المسلمين ألف ومائتا شهيد(٢١٧) ، منهم خمسمائة من القراء(٢١٨) وحدهم ، أي أنّ خمسة وأربعين بالمئة من الشهداء كان من القراء ، وهم علماء المسلمين ، بينما كان تعدادهم بالنسبة للمسلمين الآخرين قليلا (٢١٩)، وهكذا كان علماء المسلمين يُقرنون الأقوال بالأفعال ، بل كانوا يقولون قايلاً ، ويفعلون كثيراً ، وهذا هو سرّ استجابة الناس لهم وإقبالهم عليهم .

وبالإضافة إلى معرفة طارق لرجاله في أيام السّلم ، فقد تضاعفت معرفته بهم في أيام الحرب ، فليس كأيام الحرب تربط المقاتلين وتعمّق تعارفهم وتكشفهم على حقيقتهم ، إذ يستمر الاتّصال المباشر بينهم ليلاً ونهاراً في تعاون وثيق ، فتنكشف نفسياتهم وقابلياتهم ، ويُعرف الشجاع من الجبان ، والصادق من الكاذب ، والمستقيم من المنحرف ، لأنّ التعامل بين المقاتلين يزداد ، والميدان يُظهر الشّجاع ويكشف الجبان .

(٢١٦) جاء في كتاب : فضائل القرآن لابن كثير ص (١٢) ملحق بالجزء التاسع من تفسير ابن كثير مايلى : « التف حول مسيلمة من المرتدين قريب من مائة الف ، فجهز الصديق أبو بكر لقتاله خالد بن الوليد في ثلاثة عشر الفاً » .

(٢١٧) الطبرى (٥١٩/٢) .

(٢١٨) الطبرى (٥١٦/٢) وابن الأثير (١٤٠/٢) .

(٢١٩) انظر التفاصيل في كتابنا : بين العقيدة والقيادة (٢١٢ ــ ٢١٣) .

وقد كان طارق بما عُرف عنه ، من اتّصال وثيق بالبربر والعرب ، الذين يعملون معه . على معرفة بنفسيّات رجاله وقابلياتهم ، لا تكاد تخفى عليه من أمرهم خافية ، فيستخدم الرجل المناسب للواجب المناسب استناداً على نفسيته وقابليته . ولا يكلّف رجلاً يجهل طوايا نفسه وخبايا قابليته ، إلاّ بعد اختباره ، لمعرفة الواجب الذي يستطيع النّهوض به ، رغبة لا رهبة ، وطوعاً لا كرهاً ، وباقتدار لا بعجز ، لذلك استطاع طارق أن يحقّق النصر بقوّاته القليلة ، على القوط بقواتهم المتفوّقة ، لأنّه يستخدم الرّجل المناسب للواجب المناسب بموجب نفسيته وقابليته لا بموجب عوامل أخرى .

ح . وكان يتحلّى بمزية : الثّقة المتبادلة ، فقد كان رجلاً مستقيماً صادقاً أميناً ، مجاهدا حقّاً . شجاعاً مقداما ، آلفاً مألوفاً ، يطبّق أوامره على نفسه . كما يطبّقها على رجاله . إن لم يكن يحرص على تطبيقها على نفسه أكثر من حرص أيّ رجل من رجاله . وقد كان يردّد دائماً : اعملوا ما أعمل ، فلا يطالب أحداً من رجاله أن يعمل غير ما يعمل هو شخصياً ، إذ يبدأ بالعمل أولاً . ثم يطالب الآخرين أن يقتفوا آثاره في عمله لا في قوله ، فإذا كان الهجوم ، كان أوّل المهاجمين ، أمام رجال الصّوْلة في الهجوم ، مستهدفاً قائد العدو بالذات ، غير مكترث بما حول ذلك القائد من حُماة وحماية .

لقد كان في مزاياه يستحق أن يثق به رجاله ، فأولوه ثقتهم الكاملة ، واستحقّ أن يثق به رئيسه المباشر . وهو موسى بن نُصَيْر ، ورئيسه الأعلى ، وهو الخليفة في دمشق . فأولوه ثقتهم الكاملة ، وجعلوه قائداً من قادة الفتح ، وكلّفوه بمهمّة فتح الأندلس ، وكان ذلك المنصب القيادي وتلك المهمّة في الفتح . بالنسبة لطارق باعتباره من البربر لا من العرب ، وبالنسبة للنّظام الحاكم يومذاك . من الغرائب المستحدثة التي لا سابقة لها ، ولكن مزايا طارق جعلته موضع ثقة رؤسائه ، كما جعلته موضع ثقة مرءوسيه .

وكان طارق ، يبادل رجاله ثقة بثقة ، والثقة المتبادلة هي العمود الفقري لكلِّ نصر ، وانتصارات طارق وفتوحه دليل على ثقته برجاله ، ودليل على أنّهم كانوا يستحقّون تلك الثقة .

ط . وكان يتحلّى بمزية : المحبّة المتبادلة ، فقد كانت مزاياه تجعله محبوباً من رجاله ، كما انّه كان يبادلهم حباً بحب ، كما كان يبادلهم ثقةً بثقة .

وكان طارق محبوباً من رؤسائه أيضاً ، ولولا ذلك لنحّوه عن منصبه القياديّ ، وولّوا مكانه مَن يُحبّون .

ولعلّ أحسن دليل على حبّ رجال طارق لطارق ، ما وصف به مُغيث الرُّوميّ طارقاً ، فقد ذكروا أنّ سليمان بن عبدالملك أراد أن يولّي طارقاً على الأندلس ، فاستشار سليمان مُغيثاً في تولية طارق ، وقال له : « كيف أمره بالأندلس ؟ » ، فقال : « لو أمر أهلها بالصّلاة إلى أي قِبْلَة شاءها ، لتبعوه ولم يروا أنّهم كفروا (٢٢٠) » .

لقد كان طارق يحبّ رجاله ، ويحبّ رؤساءه ، وكان رؤساؤه ورجاله يبادلونه حبّاً بحب ، مما جعل التعاون بين القيادة والرجال تعاوناً وثيقاً ، لأنّه نابع من القلب ، وليس بسبب إغراء ووعيد وضغط وإكراه .

ي . وكان يتمتّع بمزيّة : الشّخصية القويّة النافذة ، فما كان لمثله ، أن يخترق الحدود والقيود ، المؤدية إلى منصب القيادة ، لو لم يكن ذا شخصية قويّة نافذة .

وقد كان موسى بن نُصَيْر الذي ولّى طارقاً القيادة ، مُلتَزَماً من عبدالعزيز بن مروان الذي كان على مصر ، وكان موسى معنياً بإقناع الخليفة وعبدالعزيز بن مروان بقابليته قائداً ، وأنه قادر على فتح مناطق شاسعة .

---

(٢٢٠) نفح الطيب (١٣/٣) .

وتزويد الخلافة ومصر بالمغانم ، محاولاً تخفيف الانطباع السّيِّئ الذي كوّنه عنه الخليفة بسبب العمل الذي اتُّهم به في البصرة . لذلك كان موسى معنيّاً باختيار القادة القادرين من ذوي الكفاية العالية ، ومنهم طارق ، لتحقيق ما يصبو اليه من فتوح ومغانم ، ولا يكون القائد القادر إلاّ ذا شخصيّة قويّة نافذة ، لأنّها إحدى مزايا كفاية القائد العالية ، أما القائد الإمعَّة المتردِّد الذي يخاف المسئولية ، فلا مكان له بين قادة الفتح في تلك الأيام .

ك . وكان طارق يتمتّع بمزيّة : القابليّة البدنية ، ولا نصوص تشير إلى ذلك في المصادر المعتمدة ، ولكن يمكن استنتاج أنّ طارقاً كان يتحلّى بهذه المزيّة ، من سير أعمال طارق في ميادين القتال .

فقد ولاّه موسى على مقدِّمته في مسيرة فتح طنجة ، وولاّه على مقدَّمته أيضاً بعد عبور موسى إلى الأندلس ، ولا يُولّى قيادة المقدَّمة إلاّ قائد يتّسم بالنّشاط وسرعة الحركة والتنقل من مكان إلى آخر على عجل ، ولا يكون ذلك كما ينبغي إلاّ لقائد ذي قابليّة بدنيّة متميزة .

كما أنّ تولية طارق على جيش من جيوش المسلمين ، متوجِّه لفتح الأندلس ، بما في ذلك من مصاعب ومشاق ، دليل على أنّه كان يتمتّع بقابليّة بدنية متميزة .

وتحمّل أعباء الحرب ، من حركة مستمرّة وتنقل مستمر ، وقتال بما فيه من صولات وجولات ، في مختلف فصول السنة بما فيها من حرّ وبرد وأمطار ، لا ينهض بأعبائها إلاّ مَن كان ذا قابلية بدنية متميزة .

وإقدام طارق على ممارسة القتال في مقدّمة الصفوف الأولى ، ومهاجمة قادة القوط قبل غيرهم ، وانقضاض طارق على أمير إسْتَجَة وهو في ماء النهر ، وأخذه أخذاً بالقوة ، وحمله قسراً إلى معسكر المسلمين ، أدلّة واضحة على تمتّع طارق بمزيّة القابلية البدنّية المتميزة .

وأكاد أتبيّن بوضوح ، أنّ قابليته البدنية الخارقة ، كانت من أسباب إقدام موسى على توليته منصب القيادة المرموق .

ل . الماضي الناصع المجيد ، من سمات القائد الناجح المنتصر ، ولاشيء عن ماضي طارق في المصادر المعتمدة التي بين أيدينا . فقد برز طارق لأول مرة سنة تسعين الهجرية (٧٠٨ م) حين تولى مهمة قيادة مقدّمة موسى في مسيرته لفتح طنجة ، ثم ولّاه على طنجة بعد فتحها وجعله قائداً لحاميتها من البربر ، ولم يبق مع طارق إلّا القليل من العرب الذين كانت مهمتهم نشر تعاليم الإسلام بين البربر (٢٢١) . ومن الواضح أنّ ماضيه المجيد مرتكز على سجاياه إنساناً وقائداً ، فقد تقدّم بتلك السّجايا لا بحسبه ونسبه ، فهو قائد عصامي بحق . ولا يبدو أنّه كان من أشراف البربر أو رؤسائهم وملوكهم ، فقد كان مع موسى أبناء كسيلة وملك السّوس الأقصى ، فولّى طارقاً القيادة دونهم ، فلو كان موسى يُولي ذوي الحسب والنسب من البربر ، لولّى هؤلاء دون طارق ، ويبدو أنّ سجايا طارق ومزاياه قدّمته ، حين أخّرت سادة البربر وأشرافها .

إنّ طارقاً كان أول جدّ لِعَقِبِهِ في الأندلس ، فكان موضع فخرهم واعتزازهم ، كما كان موضع فخر المسلمين وتاريخهم .

والإسلام كان أباه ، وَحَسْبه بالإسلام فخراً وماضياً مجيداً ، وحاضراً حميداً .

---

(٢٢١) ابن حبيب (٢٢٢) وفتح مصر والمغرب (٢٠٤ ـ ٢٠٥) وذكر بلاد الأندلس (رقم ٨٥ ج ص ٨٣ ـ ٨٤) وابن الأثير (٤/٥٤٠) ووفيات الأعيان (٥/٣٢٠) والبيان المغرب (١/٤٢) والنويري (٢٢/٢٢) وابن خلدون (٤/٤٠٢) و (٦/٢٢٠ و ٤٣٧) ونفح الطيب (١/٢٣٩) والسلاوى (١/٩٦).

٣ ـ في تطبيق مبادىء الحرب(٢٢٢) :

أ . اختيار المقصد وإدامته (٢٢٣) :

كان مقصد طارق في عملية الإنزال ، ثم الانطلاق شمالاً في الجزيرة الأندلسيّة ، واضحاً جلياً هو : فتح الأندلس ، والبقاء فيها ، أسوةً بالبلاد التي فتحها المسلمون قبل الأندلس . وقد كان هذا المقصد ، من اختيار موسى ، وكان على طارق مهمة وضعه في حيِّز التنفيذ العملي ، وإدامة تحقيقه بمراحل متعاقبة ، تبدأ : بحشد القوّة الكافية للإنزال ، وإعداد وسائل نقل الجيش الإسلامي من البرّ الإفريقي إلى البر الأندلسيّ ، وإجراء عمليّة العبور ، وإنزال الجيش الإسلامي إلى البر الأندلسي ، واتخاذ رأس جسر من القوّة الإسلامية النازلة . وتأمين حماية رأس الجسر وتطويره ليصبح قاعدة أمامية متقدمة للمسلمين . وتحصين تلك القاعدة وحمايتها ، والانطلاق منها انسياحاً في البلاد للفتح .... الخ ... كما جرى عملياً في الفتح .

ومن الواضح . أنّ الفتح هو المقصد الذي جرى اختياره ، ولكنّ إدامة هذا المقصد يجري بمراحل . لكلّ مرحلة من مراحله مقصد واضح أيضاً ، كالرافد يصبّ في النهر الكبير . والرافد يمثّل مقصد كلّ مرحلة ، والنهر الكبير يمثل المقصد الرئيس وهو : الفتح . وتلك الروافد ، تديم النّهر الكبير . الذي هو المقصد الرئيس . وهو الفتح . لهذا فإن مقاصد مراحل

---

(٢٢٢) مبادىء الحرب : هى المبادىء الجوهرية التى تنشىء في القائد السجية السليمة في تصرفاته الحربية . وهى العناصر الأساسية التى يتكون منها مسلك القائد في أعماله القيادية بصورة طبيعية وغير متكلفة .

(٢٢٣) اختيار المقصد وادامته : في كل حركة حربية ، من اللازم اختيار المقصد وتعريفه بوضوح . والمقصد النهائى هو تحطيم ارادة العدو على القتال . ويجب أن توجه كل صفحة من صفحات الحرب نحو هذا المقصد الأعلى ، ولكن لكل صفحة من تلك الصفحات مقصد محدود ، يجب أن يعرف بوضوح .

عملية الفتح بمجموعها تتّفق مع المقصد الرئيس وتديمه ، ولا تتناقض معه وتضعفه في حال من الأحوال .

لقد كان طارق يعرف حقّ المعرفة مقصده ، وقد بذل قصارى جهده لتحقيقه ، وسهر بدأب وعزم على إدامته ، بما عُرف عنه من أمانة وإخلاص .

ب . التّعرض (٢٢٤) :

كان طارق قائداً تعرّضياً في كلّ عملياته القتالية التي خاضها في الأندلس ولا نعلم أنّه خاض معركة دفاعيّة واحدة في الأندلس ، منذ حلّ فيها إلى أن غادرها .

وكان في اتّخاذه مبدأ : التعرّض ، مَسْلَكاً له في قيادة رجاله ، موفقاً ناجحاً ، فقد انتصر على القُوط ، ولم يُهزم في أيّة معركة خاضها ، وأجبر القوط على الرغم من تفوّقهم العَدَدّي والعُدَدِيّ على المسلمين ، على اتخاذ مسلك الدفاع ، فلم يُفلحوا حتى في مسلك الدفاع الذي اتّخذوه ، ودأبوا على الانسحاب من مواضعهم الدفاعيّة إلى مواضع دفاعية جديدة ، لأنهم لم يستطيعوا الثبات أبداً أمام زخم تعرّض المسلمين .

ج : المباغتة (٢٢٥) :

(٢٢٤) التعرض : هو الهجوم على العدو لسحقه ، ولايتم الحصول على النصر الا بالتعرض وحده ، أما الدفاع فلا يؤدى الى النصر .

(٢٢٥) المباغتة : أهم مبادىء الحرب وأبعدها اثراً في الحرب ، وتأثيرها المعنوى عظيم جداً ، وتأثيرها من الناحية النفسية يكمن فيما تحدثه من شلل متوقع في تفكير القائد الخصم . وهذه هى بعض الوسائل التى يمكن بها الحصول على المباغتة : أ ــ بكتمان الاستعددات للخطط الحربية ، وبكتمان جسامة القوات الاحتياطية ب ــ بالتنقل السريع للقوات من مكان الى آخر ، تمهيداً لأنزال الضربة على موضع لايتوقعه العدو جـ ــ باستخدام الأرض التى يصعب استخدامها لوعورتها مثلا أو لأنها مغمورة بالمياه ، أو بعبور الموانع التى تعتبر غير قابلة للعبور . د ــ باستخدام اسلحة جديدة غير متوقعة أو اساليب تعبوية جديدة .

المباغتة ، هي إحداث موقف لا يكون العدوّ مستعدّاً له ، والكتمان من أهمّ الوسائل التي تؤدّي إلى المباغتة .

لقد طبقّ طارق مبدأ المباغتة ، في كثير من عملياته العسكرّية ، فقد عبر من سَبْتَة ، وفيها كثير من عيون القوط وعملائهم ، ولم يعبر من ميناء إسلامي معروف مثل طنجة ، لأنّ القوط كانوا يتوقعون عبور المسلمين من طنجة ، باعتبار أنّ المسلمين طهروا المنطقة من عيون القوط وعملائهم ، ولم يكونوا يتوقعون عبور المسلمين من سَبْتَة ، لأنها كانت تعجّ بالرَّتَل الخامس (٢٢٦) من عملاء القوط وعيونهم ، فاستطاع طارق كتمان حركة عبوره ، فباغت القوط بهذا العبور .

كما جرى عبور المسلمين ليلا ، فكان الظلام الدامس ، حجاباً ساتراً للمراكب والقوارب التي استخدمها المسلمون في العبور .

وحين وجد طارق ، أنّ الجزيرة الخضراء ، لا تخلو من مقاومة قوطية ، وقد تعرقل إنزال قواته على البر الأندلسي ، وتكبّدها خسائر في الأرواح ، مما قد يؤدي إلى إخفاق عمليّة الإنزال دون مسوّغ منطقي معقول ، أقدم طارق فوراً على توجيه رجاله بوسائل نقلهم البحري إلى منطقة جبل طارق ، وأجرى إنزال قواته هناك بدون أية مقاومة قوطية تذكر ، لأنّ تلك المنطقة كانت خالية تماماً من القوط ، وكان القوط يفكّرون أنّ المسلمين لا ينزلون قواتهم في تلك المنطقة الوعرة ، لصعوبة الإنزال عليها ، لأنها صخرية شديدة الوعورة ، تعرقل الإنزال ، وتؤذي النازلين عليها من الرجال .

وتطبيق طارق لمبدأ المباغتة كثير جداً ، نكتفي بالأمثلة التي أوردناها ، خشية أن يطول الحديث .

---

(٢٢٦) الرتل الخامس : كناية عن الجواسيس والوكلاء والعيون والأرصاد والموالين واصحاب المصالح الشخصية ، واصحاب العلاقة الدينية والعنصرية والمذهبية .... الخ ....

د . تحشيد القوة (٢٢٧) :

عبر طارق على رأس سبعة آلاف مجاهد ، وقبل المعركة الحاسمة التي خاضها على القوط بقيادة لذريق ، أمدّه موسى بخمسة آلاف مجاهد ، فخاض المعركة الحاسمة باثني عشر الف مجاهد . ولما أكمل طارق فتح طليطلة ، أصبحت قوات المسلمين في خطر محدق ، لتزايد وطأة المقاومة القوطية ، ولانكشاف جناحيها الأيمن والأيسر ، ولتعرض خطوط مواصلاتها للانقطاع ؛ فقدم موسى على رأس قوات ضاربة من المسلمين ، لترصين موقف قوات طارق في الأندلس ، واستئناف الفتح ، وهكذا اهتم طارق بتطبيق مبدأ : الحشد ، بما يناسب ظروفه الراهنة (٢٢٨) .

وإذا نوقش أسلوب تطبيق طارق ، لمبدأ : تحشيد القوّة ، على الطريقة العسكرية الحديثة ، من عسكري مختص بمثل هذه البحوث والدراسات ، فربما يتورّط بإصدار استنتاجات خاطئة ، وبخاصة إذا نوقش أسلوب طارق لهذا المبدأ ، اعتماداً على الناحية المادية من التحشّد حسب ، إذ أنّ حشد سبعة آلاف مجاهد للعبور من أجل تحقيق الفتح ، وحشد اثني عشر ألف مجاهد للمعركة الحاسمة التي خاضها طارق على القوط بقيادة لذريق ، حشد قليل لايناسب الموقف الراهن ، إذ ما جدوى حشد سبعة آلاف مجاهد لمواجهة مملكة وشعب وبلاد شاسعة ، وما جدوى حشد اثني عشر ألف مجاهد لمواجهة مائة ألف قوطيّ أو ثمانين ألف قوطيّ ، وكيف يمكن أن ينتصر واحد في

(٢٢٧) تحشيد القوة : هو حشد اكبر قوة أدبية وبدنية ، وأعظم قوة معنوية ومادية ، لاستخدامها في المكان والزمان الجازمين .

(٢٢٨) كان تطبيق مبدأ : تحشيد القوة ، بالنسبة للمسلمين ، قياساً على الناحية المادية في القوة وحدها ، غير كاف ، لأن التفوق المادى كان دوماً الى جانب القوط ، ولكن التفوق المعنوي كان الى جانب المسلمين ، فانتصرت الفئة القليلة على الكبيرة بأذن الله .

الهجوم على سبعة في الدفاع عن بلده ؟ والمعروف أن المهاجم ينبغي أنّ يكون خمسة أمثال المدافع على الأقل ، ليمكن أن يكون الهجوم ناجحا ! .

لقد كان تفوّق القوط على المسلمين (مادياً) فواقاً ساحقا ، فكان المسلمون مقصرّين في تطبيق مبدأ ، تحشيد القوّة ، من الناحية المادّية . ولكنّ المسلمين كانوا متفوّقين على القوط (معنويا) فواقاً ساحقا .

وكان نابليون يقول : « إنّ الجيش يتألّف من ٧٥٪ معنوياً ، ومن ٢٥ ٪ مادياً » ، وآخر ما استقر عليه آراء الخبراء العسكريين العالميين ، بعد تطور الأسلحة وظهور الأسلحة النوويّة ، هو : « إنّ الجيش يتألّف من ٥٠ ٪ مادياً و٥٠ ٪ معنوياً » ، فلايزال للمعنويات وزن مرموق حتى في العصر الحديث ، الذي يمكن أن نطلق عليه : العصر الماديّ ،لأنّ اهتمام الناس عامةً بالناحية الروحية المتمثلة بالدين ، في هذا العصر ، أقل بكثير من اهتمامهم بهذه الناحية في القرون الخالية .

وقد كان اهتمام المسلمين بالدين الحنيف عظيماً ، في القرن الأول الهجري ، الذي كان خير القرون بلا مراء ، من ناحية التمسك بالدين والاهتمام به : « خير الناس قَرْني ، ثمّ الذين يَلُوْنَهُمْ ، ثمّ الذين يَلُوْنهُم ، ثمّ يجيءُ أقوام تَسْبِقُ شهادةُ أحدهم يمينَهُ ، ويمينُه شهادَتَه » ، كما قال عليه الصّلاةوالسّلام (٢٢٩) . واهتمام المسلمين بالدين ، رفع معنوياتهم ، لأنّ أحدهم كان يحرص على الموت ، كما كان يحرص غيرهم على الحياة ، وكان كلّ فرد منهم يتمنىّ أن يموت قبل صاحبه لينال الشهادة ، وكان كلّ فرد من غيرهم يتمنّى أن يموت صاحبه قبله ، كما قال خالد بن الوليد لأحد

(٢٢٩) رواه عن ابن مسعود ، الشيخان البخارى ومسلم ، والأمام الترمذى ، والأمام احمد بن حنبل في مسنده ، انظر مختصر شرح الجامع الصغير للمناوى (١٣/٢) .

قادة الرومّ في معركة اليرموك الحاسمة ، لذلك كانت معنويات المسلمين عالية جداً في ذلك القرن ، وهذه المعنويات اكتسحت أمامهم عدوّهم المادي ، وقادتهم إلى النصر .

إنّ تطبيق المقاييس الماديّة الشائعة في هذا العصر كثيراً ، على أسلوب تطبيق طارق وأمثاله من القادة المسلمين مبدأ : تحشيد القوة ، لا يخلو من محاذير تؤدي إلى استنتاجات خاطئة . ومن المهم في هذا المجال ، أن لاننسى القرن الذي حارب فيه طارق ، والمعنويات العالية التي كان يتحلّى بها المسلمون المجاهدون يومذاك ، وأثر المعنويات العالية في إحراز النّصر .

وصدق الله العظيم : ﴿ كَم مِن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ ، والله مع الصَّابِرِيْن ﴾ (٢٣٠) .

ولعلَّ انتصار المسلمين شرقاً وغربا ، بالرغم من تفوق عدوهم عليم مادياً ، في القرن الأول الهجري ، خير دليل على أنّ المقاييس المادية وحدها ، لا تصلح في التطبيق على المسلمين ، في ذلك القرن بالذات ، للحكم لهم أو عليهم في تطبيق مبدأ : تحشيد القوة . وإلاّ فكيف نعلِّل انتصارهم بالقِلّة القليلة في الأندلس ، على الكثرة الكثيرة ، في القرن الأول الهجري ؛ فلما أصبحوا كثرة كثيرة بعد قرون من فتح الأندلس واستيطانهم في ربوعها ، هزموا وخسروا ما فتحه أجدادهم ، وطُرد مَن طُرد منهم ، وشُرِّد مَن شُرِّد ، وقُتل مَن قُتل ، ونُصِّر مَن نُصِّر منهم قسراً ؟

إنّ انتصار المسلمين في القرن الأول الهجري ، قرن الفتوح والانتصارات كان انتصار عقيدة بلا براء .

---

(٢٣٠) الآية الكريمة من سورة البقرة (٢ : ٢٤٩) .

هـ . الاقتصادة في المجهود (٢٣١) :

إذا كان بالإمكان حدوث اختلاف بين الباحثين ، حول تطبيق طارق مبدأ : تحشيد القوة ، فليس بالإمكان حدوث مثل هذا الاختلاف في تطبيق طارق مبدأ : الاقتصاد في المجهود ، إذ أنّ تطبيقه كان مثالياً حقاً ، وكيف لا يكون كذلك ، وقد تمّ الإنزال بسبعة آلاف مجاهد ، وتم بهذه القوة الصغيرة نسبيّاً بالنسبة للقوات القوطية المتفوقة على قوّات المسَلمين فواقاً بعيداً : تأسيس رأس جسر للمسلمين في البرّ الأندلسي ، وتكوين قاعدة أماميّة متقدمة للمسلمين في منطقة جبل طارق وحمايتها ، والانطلاق شمالا ، وفتح المنطقة الشاسعة بين جبل طارق ووادي لَكُّة ، كلّ ذلك جرى بسبعة آلاف مجاهد حسب .

وجاء المدد من موسى إلى طارق قبل خوض المسلمين معركة وادي لَكُّة، وهي المعركة الأندلسيّة الحاسمة ، وكان المدد خمسة آلاف مجاهد فقط ، فخاض طارق المعركة الحاسمة باثني عشر ألف مجاهد ، وانتصر على القوط انتصاراً حاسماً ، بعد أن تكبّد المسلمون ثلاثة آلاف شهيد .

وانطلق جيش طارق شمالاً ، من وادي لَكُّة ، حتى تمّ فتح طُليطلة وعدد كبير من المدن الأندلسيّة الكبرى ، بقوات إسلاميّة لاتزيد على تسعة آلاف مجاهد .

وتحقيق هذه الانتصارات المتعاقبة للمسلمين والفتوح ، بمثل قوّاته القليلة في عَدَدِها وعُدَدها . الكثيرة بمعنوياتها ومَددها ، يمكن اعتباره مثالاً

(٢٣١) الاقتصاد بالمجهود : هو استخدام اصغر القوات للأمن أو لتحويل انتباه العدو الى محل آخر ، أو مد قوة معادية اكبر منها ، مع بلوغ الغاية المتوخاة .
ان الاقتصاد بالمجهود ، يدل على الاستخدام المتوازن للقوى ، والتصرف الحكيم بجميع المواد لفرض الحصول على التحشد المؤثر في الزمان والمكان الحاسمين .

رفيعاً لتطبيق مبدأ : الاقتصاد في المجهود ، ينبغي أن يكون أسوة حسنة في هذا المجال .

و . الأمن : (٢٣٢)

أمّنَ طارق حماية قوّاته في مراحل عملياته للفتح كافة ، وبذل جهده لمنع العدو من الحصول على المعلومات عن قواته ، واستطاع الحصول على المعلومات الضرورية عن القوط عَدَداً وعُدَداً وتنظيماً وقيادة ، مستفيداً من شتى المصادر لجمع تلك المعلومات ، وبذلك طبق مبدأ الأمن .

وهناك أمثلة كثيرة على تطبيق مبدأ : الأمن ، عملياً ، في عمليّات طارق العسكرية ، تحقيقاً لمقصده الرئيس في فتح الأندلس ، فعمليّة طريف بن مالك المعافري الاستطلاعيّة إلى بَرّ الأندلس ، هي في جوهرها لجمع المعلومات المفصّلة عن القوط ، وطبيعة أرض الأندلس ؛ وكان طارق يبدأ أعماله العسكرية بالإستطلاع ، ليكون على بيّنة من أمره ، ولا يخطو خطوة إلّا في موضع أمين ، فهو دائماً يعمل في النّور لا في الظلام .

وقد ولّاه موسى على مقدّمته في عملية فتح طنجة ، وولّاه على مقدّمته بعد عبوره إلى الأندلس ، ومعنى ذلك أنّ طارقاً خبير جداً : بجمع المعلومات عن العدو ، وبحرمان العدو من جمع المعلومات عن قوات المسلمين ، وبحماية المسلمين من مباغتة العدو لها بالمكان أو الزمان أو الأسلوب .

إنّ تَعداد الأمثلة العمليّة ، على تطبيق مبدأ : الأمن ، في عمليات طارق الحربية ، قد يطول بدون جدوى ، إذ أنّ تطبيقه لهذا المبدأ ، لايحتاج إلى

---

(٢٣٢) الأمن : هو توفير الحماية للقوة ومواصلاتها ، لوقايتها من المباغتة ، ومنع العدو من الحصول على المعلومات عن القوة وتسليحها وتنظيمها وتعدادها وقيادتها ، وعن الأرض التي ستجرى عليها المعارك القادمة .

دليل ، ويكفي أن نتذكّر أنّه استطاع مباغتة القوط في كثير من المواقف ، دون أن يستطيع القوط مباغتته في موقف واحد .

ز . المرونة (٢٣٣) :

كانت قوّات طارق ، تتحرّك إلى أهدافها ، بكفاية وسرعة ، بل كانت سرعتها في بعض الأحيان تخرج عن حدودها ، فتُصبح اندفاعاً لاحركة سريعة ، كما جرى في حركة قوّات طارق بعد المعركة الحاسمة ، حتى تمّ لها فتح طُليطلة ، حيث كان اندفاعها سريعاً ، وكان سببه : الحرص على تشتيت تجمّعات القوط ، لكي لاتُصبح قوّات ضاربة موثّرة من جهة ، ومطاردة فلول القوط لإجبارها على الاستسلام من جهة ثانية .

وكانت عقلية طارق متفتحة مرنة ، فإذا أعدّ خطّة من الخطط ، فرأى الموقف الراهن يقتضي تبديلها أو تحويرها ، لم يتأخرّ أبداً عن التبديل أو التحوير ، لتلائم خطته الموقف الراهن الجديد ، ولا يبقى مُصِرّاً على خطّته الأولى ، لسبب أو لآخر ، دون مسوّغ مقبول .

فقد أبحر طارق من سَبْتَة ، بسبب رغبته في إيجاد مكان ملائم للإنزال في منطقة الجزيرة الخضراء على السّاحل الأندلسيّ ، ولكنّ طارقاً تخلّى عن الإنزال في ذلك المكان ، حين وجد جماعة من القوط حاولت منعه من الإنزال ، فأبحر منه ليلاً إلى مكان وعر على الشّاطئ ، هو جبل طارق ، وتمكّن

(٢٣٣) المرونة : ان المبدا الذى كان يسمى قبل الحرب العالمية الثانية مبدا : قابلية الحركة ، اصبح يسمى في الوقت الحاضر مبدا : المرونة . ذلك لأن : قابلية الحركة ، تدل على الحركة المادية ، وهى عملية نسبية ، لا يعبر عنها تعبيرا صحيحا ، الا بالمقارنة مع قابلية حركة العدو .
ان المرونة ، تعنى اكثر من ذلك ، انها لاتتضمن قوة الحركة حسب ، بل قوة العمل السريع كذلك ، فعلى القائد أن يكون مرن الفكر ، وعليه أن يطبق تلك المرونة عند وضع الخطط لحملته ، وأن تكون خططه بشكل يمكنه من أن يعدل بسرعة عمليات قواته ، حين تضطره الظروف غير المتطورة الى هذا التعديل .

من الإنزال المفاجئ في المكان الجديد ، دون أن يراه أحد على الشاطئ (٢٣٤) .

وهكذا استبدل طارق خطّة جديدة بخطّته الأولى ، فنجح في إنزال رجاله بدون مقاومة معادية تذكر ، ونجح في مباغتة العدو بهذا الإنزال .

والأمثلة على تبديل خطط طارق أو تحويرها ، يغني عنها المثال السابق ، للدلالة على تمتّع عقلية طارق بالمرونة المطلوبة .

ح . إدامة المعنويات (٢٣٥) :

كانت الثقة والمحبّة متبادلتين بين طارق ورجاله ، ليس بالنسبة لرجاله من البربر ، بل بالنسبة لرجاله من العرب أيضاً قادةً وجنوداً ، فقد كانت لطارق مزايا إنساناً وقائداً ، تجعله موضع ثقة رجاله ومحبّتهم ، كما كان يبادلهم ثقةً بثقة ومحبة بمحبّة ، لذلك كان التعاون بين القيادة والرجال وثيقا .

وكانت عوامل رفع المعنويات لجيش المسلمين عامة ، متيسِّرة إلى أبعد الحدود في القرن الهجري الأول ، وهي : العقيدة الراسخة أولاً ، والقيادة القادرة ذات الكفاية العالية ثانياً ، والانتصارات الباهرة ثالثاً وأخيرا .

لقد كان المسلمون متمسكين بالإسلام ، وأثر الإسلام في رفع المعنويات معروف ، ومنه : الحياة المستمرّة للشهداء ، والأجر العظيم للمجاهدين . وكان المسلمون يومئذ يقودهم : أكثرهم تديّناً وأعظمهم كفاية ، وأفضلهم سجايا ، وأحمدهم سيرة ، لذلك كانت الثقة بين الرئيس والمرءوس متبادلة ، والتعاون بين القادة والجنود وثيقاً . وكانت الانتصارات باهرة ، بفضل العقيدة

---

(٢٣٤) ابن الكردبوس (٤٦) ، وانظر البيان المغرب (٩/٢) الذى يذكر ان طارقاً اجرى انزال رجاله في منطقة جبل طارق .

(٢٣٥) المعنويات : الصفات التى تميز الجيش المدرب عن العصابات غير المدربة : بها تظهر الطاعة القائمة على الحب ، وتبرز الشجاعة في القتال ، والصبر على تحمل المشاق ، وتبرز كل المزايا التى تجعل المقاتل مطيعاً باسلا صبورا .

المنشئة البناءة والقيادة الرصينة القادرة . لذلك كانت عوامل تيسّر المعنويات العالية بين جيوش المسلمين واضحة للعيان ، وهي التي يسّرت النصر لطارق منذ إنزال قوّاته على البر الأندلسيّ ، إلى قبل المعركة الحاسمة ، بسبعة آلاف مجاهد فقط ، ويسرت له النصر على لذريق ومَن معه في المعركة الحاسمة ، وكانوا في نحو مائة ألف مقاتل إلى ثمانين ألف مقاتل ، بجيش من المسلمين تعداده اثنا عشر ألفاً ، ويسّرت له فتح المنطقة الأندلسية الممتدة من منطقة وادي لَكُّة إلى طليطلة بقواته التي تبلغ تسعة آلاف مجاهد ، وكان لمعنويات المسلمين وإدامتها أثر حاسم في إحراز هذه الانتصارات (٢٣٦) .

ط . الأمور الإداريّة (٢٣٧) :

مهما تكن خطّة العمليّات دقيقة مرنة معقولة ، فلا تؤتي ثمراتها المرتقبة إذا تعذّر تنفيذها من الوجهة الإدارية ، بل يمكن أن نذهب إلى أبعد من ذلك بالقول : إنّ نجاح كلّ خطّة من خطط العمليات مرهون بنجاح خطتها الإدارية .

والواقع أنّ القوط كانوا متفوّقين إدارياً على المسلمين ، فأرزاقهم وكساؤهم ومساكنهم متيسّرة لهم بشكل أفضل مما هي متيسّرة لدى المسلمين ، لأن القوط يقاتلون في بلادهم ، والمسلمين يقاتلون بعيداً عن بلادهم ، وكانت وسائط تنقل القوط أفضل مما كان بحوزة المسلمين منها ، وبخاصة قبل خوض المسلمين معركة الأندلس الحاسمة في وادي لَكُّه ، فاستعان المسلمون بمراكب يليان للعبور ، وغنم المسلمون خيول القوط ، فأصبحوا فرساناً بعد المعركة الحاسمة ، وكان أكثرهم قبلها من المشاة . كما استغنى المسلمون في عبور

(٢٣٦) انظر التفاصيل في بحث المعنويات (١٣ ــ ٢٨) ــ في كتابنا : الأسلام والنصر ــ بيروت ــ دار الفكر ــ ١٣٩٢هـ .

(٢٣٧) الأمور الأدارية : الغذاء ، الكساء ، السكن ، الطبابة ، البيطرة ، التنقل ، السلاح ، التجهيزات .... الــــخ ....

المدد الذي بعث به موسى إلى طارق ، بدلاً من سفن يليان ، وعبروا بالسُّفن التي صنعها لهم موسى في مصانع السُّفن بتُونس .

وكان كلّ مجاهد يتسلّح بأسلحته الخاصة به التي تعود إليه ملكيّتها ، كما كان يتجهّز بالملابس الخاصة به أيضاً . ومع ذلك كان لدى كلّ قائد مستودع للسّلاح والتجهيزات ، يُسلِّح بها مَنْ لايستطيع أن يسلِّح نفسه ، ويجهّز بها مَن لايستطيع أن يجهِّز نفسه بما يحتاج من تجهيزات ، وغالباً ما يكون هؤلاء من فقراء المسلمين المعْدَمين ، الذين لم يسلِّحهم ويجهِّزهم أغنياء المسلمين ، فقد كان الأغنياء يجاهدون بأموالهم كما يجاهدون بأنفسهم ، ومن الجهاد بالأموال تسليح الغُزاة وتجهيزهم وحملهم أيضاً .

وكانت مشكلة الغذاء بالنسبة للمسلمين غير معقّدة ، فقد كانوا يكتفون بأبسط الغذاء كالتمر والسَّوِيْق (٢٣٨) ، فإذا غنموا ما يُؤكل نَعموا به ، وإلاّ صبروا . أما السّكن ، فكانت الخيمة كافية لهم ، فهي مسكنهم في الصحراء وفي التنقّل من مرحلة إلى أخرى ، فإذا وجدوا سكناً مريحاً آووا إليه ، وإذا لم يجدوا كانت الخيام هي المأوى .

وكان في جيش المسلمين عامة مَنْ يداوي الجرحى ويسهر على شفائهم ، وبخاصة من نساء المجاهدين . وكان هناك مَن يداوي حيوانات المجاهدين من البياطرة ، الذين مارسوا معالجة الحيوانات مدة من الزمن وراثياً مع آبائهم وأجدادهم ، أو بالتعلّم من الذين يمتهنون البيطرة .

لقد كانت الأمور الإدارية بصورة عامة ، في جيش المسلمين ، أقلّ كفاية وإتقانا ، مما هي عليه في جيش القوط ، ولكنها لم تكن مهملة في جيش المسلمين . ولعلّ طبيعة المسلمين زُهداً وتقشّفا ، في أيام الفتوح ، هي التي

(٢٣٨) السويق : طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير ، سمي بذلك لانسياقه في الحلق . (ج) : اسوقة .

سّهلت عليهم نواقص الأمور الإدارية ، وزادت من صبرهم عليها ، إذ لم يكونوا قد اعتادوا ترف العيش ولاتعوّدوا عليه .

ي . التّعاون (٢٣٩) :

كان التعاون وثيقاً بين طارق ورجاله في عمليات الفتح ، منذ بدايتها إلى أن سُحب طارق من جبهة القتال في الأندلس إلى دمشق ، فقد كان طارق كما ذكرنا يثق برجاله ويثقون به ، وكان يحبّهم ويحبّونه ، وكان يتمتع بمزايا قيادية تجعله قريباً من قلوب رجاله أثيراً عليهم ، لذلك كان التعاون وثيقاً بين القيادة ورجالها ، لأنه ينطلق من أسس رصينة ، ولا ينطلق من خوف أو رغبة ، ولا من سلطة أو رهبة .

وكان التعاون وثيقاً أيضاً ، بين طارق ومسئوله المباشر موسى بن نُصَير ، فقد لَبّى موسى كلّ مطالب طارق ، فبادر إلى إرسال المدد إليه فوراً بعد طلبه . فوصل المدد ، إلى طارق في المكان والزمان المناسبين ، أي في ساحة القتال . قبل الاشتباك في المعركة الحاسمة – معركة وادي لَكّهْ . ولما استنجد طارق بموسى ثانية بعد فتح طليطلة وتعرّض قوّات المسلمين إلى خطر محدق ، من جرّاء تغلغها بالعمق في الأندلس ، بادر موسى بالعبور على رأس المدد ، وبذل قصارى جهده للقضاء على مواطن الخطر الذي كان محدقاً بقوّات طارق في الأندلس ، ولم يتأخر موسى عن معاونة طارق والتعاون معه ، تحقيقاً للفتح .

كما صنّع موسى السّفن محلياً . فأنشأ مصنعاً حربيّاً لصنع السّفن ، واستطاع أن يحمل المدد على سفنه لا على سفن يليان ، كما جرى في عبور جيش طارق إلى البر الأندلسيّ ، في بداية الفتح .

---

(٢٣٩) التعاون : توحيد الطاقات المادية والمعنوية كافة ، لبلوغ الغرض ، وهو احراز النصر على العدو واجباره على الاستسلام دون قيد ولاشرط .

ولم يقتصر طارق ، على وضع مبدأ : التعاون ، في حيِّز التّطبيق العمليّ ، بينه وبين رجاله ، وبينه وبين رئيسه المباشر موسى بن نُصَيْر ، بل وضع هذا المبدأ في حيِّز التّطبيق العمليّ ، بينه وبين يليان ومَنْ معه ، فاستفاد من سفنهم في العبور ، وسخّرهم عيوناً وأرصاداً ومصدراً لاستقطاب المعلومات الضرورية عن القوط وعن طبيعة الأرض في الأندلس ، واستفاد منهم أولاً في مسيرته عبر الأندلس ، كما كان طارق يستشير يليان ويتقبّل آراءه ، وبخاصة بعد نجاح يليان في اجتياز تجربة إخلاصه لطارق ، وثبات إخلاصه ، وقناعة طارق بذلك : « ..... فهربوا إلى طليطلة – يريد القوط – وغلقوا مدائن الأندلس . وأقبل يليان إلى طارق ، فقال له : قد فرغت بالأندلس ، وهؤلاء أدلاء من أصحابي ، فرِّق معهم جيوشك ، وخذ أنت إلى طليطلة . ففرّق جيوشه من إسْتِجَّة ..... » (٢٤٠) ، فقبل طارق نصيحة يليان ، وأرسل جيوشه إلى مَالَقَة وإلْبِيرَة ومُرْسِيَة وقُرْطُبَة (٢٤١) .

كما تعاون طارق مع يهود الأندلس ، الذين كانوا متذمِّرين من القوط وملكهم تذمراً شديداً ، فأنصفهم المسلمون بما عرف عنهم من عدل وتسامح ، وأزاحوا عنهم ما كانوا يعانونه من اضطهاد الملك والقوط ، فاستفاد منهم طارق عيوناً وأرصاداً ، ينقلون له الأخبار عن القوط ونواياهم ، ويكشفون له ما يبيِّته القوط للمسلمين ، وقد تطرّقنا إلى ذلك ، وكان يهود الأندلس متطوعين في نقل تلك المعلومات عن القوط للمسلمين ، ولم يثبت لديّ أنّهم عاونوا في القتال ، بل اقتصر تعاونهم على جمع المعلومات عن القوط ، ونقلها للمسلمين نكاية بالقوط وتقرّباً من المسلمين .

---

(٢٤٠) أخبار مجموعة (٩ – ١٠) .

(٢٤١) الرازي نشر جاينجوس (٦٩) وأخبار مجموعة (٩ – ١٠) وفتح الأندلس (٩) وابن الأثير (٥٦٣/٤) والبيان المغرب (٩/٢ و ١١) والنويري (٢٧/٢٢) ونفح الطيب برواية الرازي (٢٦٠/١ – ٢٦١) .

لقد طبّق طارق مبدأ : التعاون ، تطبيقاً سليماً .

ع . نقطة الضّعف :

تغلغل طارق بقواته القليلة نسبياً تغلغلاً بالعمق في الأندلس ، امتدّ من جبل طارق حتى طُليطلة ، فعرّض بحقّ تلك القوّات إلى خطر عظيم ، لأنّه كشف جناحيها : الأيمن والأيسر ، وعرّض خطوط مواصلاتها للانقطاع فأصبح خطر القوط يهدّد قوات طارق ، ليس من أمام ، باعتبار أنّ العدو في الجبهة أمام المسلمين . بل من يمين الجيش الإسلامي ، ومن يساره ، ومن خلفه ، وأصبح مهدّداً بقطع خطوط مواصلاته ، التي تربطه بقاعدة المسلمين الأمامية المتقدمة في جبل طارق ، وقاعدة المسلمين الأمامية في سَبْتَة وطنجة ، وقاعدة المسلمين الرئيسة في القيروان .

لذلك قرّر موسى بن نُصَيْر ، أن يتولىّ تلافي الأمر بنفسه ، بالعبور على رأس قوات المدد . وبذل قصارى جهده بما عرف به من سمات قياديّة متميزّة ، للقضاء قضاء مبرماً على مواطن الخطر التي كانت محدقةً بقوات طارق في الأندلس . وحماية جناحيهما الأيمن والأيسر حماية كافية ، وتأمين خطوط مواصلاتها بقاعدتها الأمامية المتقدمة ، وبقواعدها الأمامية على البر الإفريقي القريب من الشّواطىء الأندلسيّة ، وبقاعدة المسلمين الرئيسة في إفريقية والمغرب في القيروان .

وأسرع موسى بإنزال قواته على البر الأندلسي في منطقة جبل طارق ، ثم دخل الجزيرة الخضراء وأقام فيها أياماً للراحة .

وكان مجرّد وصول موسى على رأس قوّاته إلى البر الأندلسيّ ، قد أثّر في معنويات المقاومة القوطيّة . وجعلها تحسب حساب هذه القوّات الإسلامية الجديدة . وتتريّث في التعرّض بقوات طارق . ريثما ينكشف الموقف وتتّضح الأمور .

وزحف موسى إلى شَذُونَة ، فاستعاد فتحها ، وكان طارق قد فتحها بعد المعركة الحاسمة مباشرة ، ويبدو أنّ القوط استعادوها من المسلمين .

وتحرّك موسى من شَذُونَة إلى قَرْمُونَة ورعواق ، ففتحهما أيضاً ، وبذلك أُمِّنت خطوط مواصلات المسلمين من الجزيرة الخضراء وجبل طارق إلى قُرطبة ، وكان طارق قد فتح قَرْمُونَة ، ويبدو أنّ المقاومة القوطيّة استعادتها من المسلمين ، ففتحها موسى ثانية .

ومن الواضح ، أنّ سقوط شذونة وقرمونة بعد فتحها من طارق لأول مرة ، عرّض خطوط مواصلات طارق للانقطاع ، مما يكبِّدها خسائر فادحة بالأرواح ويجبرها على الاستسلام ، فكان من أول ثمرات عبور موسى إلى البرّ الأندلسي ، استعادة فتح هاتين المدينتين من جديد ، تأميناً لخطوط مواصلات قوات طارق في الأمام ، وترصيناً لموقفها في الثبات ، وقضاء على مراكز المقاومة القوطية في مؤخرة قوات المسلمين .

واتّجه موسى نحو الغرب، ليفتح مدينة إشْبِيلِيّة كبيرة مدائن الأندلس بعد طليطلة إذ ذاك ، ففتحها موسى بعد بضعة أشهر من الحصار ، وكان طارق قد فتح هذه المدينة لأول مرة ، ويبدو أنّ القوط استعادوها من المسلمين ، فاستعادها طارق إلى المسلمين بعد قتال مرير .

وسار موسى على رأس قواته إلى مارِدَة ، وكان الهاربون من فلول القوط قد تجمّعوا فيها ، لأنها بلد بعيد صعب المنال وعر المسالك ، فبقي موسى محاصراً البلد بقية الصيف والشتاء التالي ، ولم يسلِّم البلد إلا بعد عشرة أشهر من الحصار الصّعب المديد ، مما يدل على صلابة عود المقاومة القوطية في هذا البلد المنيع .

وكان الطريق بين ماردة إلى طليطلة جبلياً وعراً ، وكان ملغوماً بالمقاومة القوطية المتنامية ، فتوجّه موسى إلى طليطلة ، وتوجّه طارق من طليطلة باتجاه

ماردة ، فالتقى القائدان في وسط الطريق بين طليطلة وماردة ، بعد مقاومة شديدة وقتال متواصل ، فقد كانت المقاومة القوطية قد اتّخذت من المواقع الجليّة جيوباً للمقاومة ، وساعدت وعورة المنطقة على نجاح هذه المقاومة ؛ ولكنّ قوات طارق وموسى كبّدوا المقاومة القوطية خسائر فادحة ، دون أن يستطيعوا استئصال شأفتها من الجذور .

وكانت المعركة التي شهدها موسى وطارق في طريق ماردة – طليطلة معركة قاسية ، أُطلق عليها معركة : السَّواقي ، ثبت المسلمون لهجوم القوط ثباتاً راسخاً ، وصبروا على مقاومة الهجوم صبراً جميلا ، ثمّ ردّوا على هجوم القوط بهجوم مُقابل ، فانتصر المسلمون على القوط .

ويبدو أنّ اشتباك المسلمين بالقوط في معركة السَّواقي ، شجّع نفراً من بقايا القوط وأنصارهم في طليطلة على نقض طاعة المسلمين ، فانتهزوا فرصة خروج طارق وجنده منها ، ووثبوا بها ، وسيطروا على مقاليدها ، فاضطر موسى على استعادة فتحها من جديد ، ودخولها دخول المنتصر .

وحين كان موسى محاصراً ماردة انتقضت إشبيلية من جديد ، فوجّه موسى ابنه إلى إشبيلية ففتحها للمرّة الثالثة ، ثم نهض إلى لَبْلَة (٢٤٢) وباجَة ، ففتحهما أيضاً . وقد سار عبدالعزيز بن موسى بعد ذلك على رأس جيشه لاستكمال فتح الأندلس غرباً : البرتغال حاليا ، فكانت له فتوح في غربي الأندلس(٢٤٣)

(٢٤٢) لبلة : قصبة كورة بالأندلس كبيرة ، يتصل عملها بعمل اكشونية ، وهي شرق من اكشونية وغرب من قرطبة ، بينها وبين قرطبة على طريق اشبيلية خمسة ايام اربعةواربعون فرسخاً ، وبينها وبين اشبيلية اثنان واربعون ميلا ، وهي برية بحرية غزيرة الفضائل والثمر والزروع والشجر ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣١٩/١) .

(٢٤٣) عبدالعزيز بن موسى بن نصير ترجمته المفصلة في كتابنا : قادة فتح الأندلس والبحار ، وفيه تفاصيل فتوح عبدالعزيز .

وبذلك أبعد موسى الخطر الذي يهدد جناح قوات طارق الأيسر ، بفتوح عبدالعزيز بن موسى .

كما بعث موسى ابنه عبدالأعلى (٢٤٤) إلى جنوبي الأندلس وجنوب شرقي الأندلس ، وكان ذلك بعد استعادة فتح إشبيلية للمرة الثانية ، فاستطاع عبدالأعلى أن يستعيد فتح مالَقَة وإلْبِيرَة ، وكان التعاون بين الأخوين في الفتح وثيقاً .

وكما أبعد موسى الخطر الذي يُهدِّد جناح قوات طارق الأيسر بفتوح عبدالعزيز بن موسى ، أبعد موسى الخطر الذي يُهدد جناح قوات طارق الأيمن بفتوح عبدالأعلى بن موسى ، وبهذه الجهود المكثفة التي بذلها موسى بمعاونة طارق الذي ثبت في طليطلة بالرغم من إحاطة القوط به إحاطة السِّوار بالمعصم ، وبمعاونة ولدي موسى اللذين فتحا غرباً وشرقا ، فأمّنا جناحي قوات طارق المكشوفين : الأيمن ، والأيسر ، كما أصبحت خطوط مواصلات قوات طارق آمنة أيضاً ، وأصبح المسلمون الفاتحون في الأندلس بعيدين عن الخطر ، قريبين من الأمن ، وبذلك استطاع موسى بمعاونة طارق ، الانطلاق شمالاً لاستكمال الفتح .

أليس هذا الذي حدث في معركة السَّواقي ، بين فلول القوط وقوات موسى بن نُصير ، بمعاونة طارق ، وفتحُ موسى ثانية المدن الأندلسيّة التي فتحها طارق قبله ثم انتقضت ، وفتحُ موسى طليطلة ثانية بعد انتقاضها منتهزة فرصة مغادرتها من طارق بوقت قليل ، دليلاً قاطعاً على أنّ المسلمين بقيادة طارق قد تغلغلوا في الأندلس بالعمق أكثر مما ينبغي ، وأنّهم بعد

(٢٤٤) عبد الأعلى بن موسى بن نصير : ترد ترجمته المفصلة في كتابنا : قادة فتح الأندلس والبحار ، وفيه تفاصيل فتوح عبد الأعلى .

تغلغلهم الذي لا يتناسب مع حجم قوّاتهم ، أصبحوا في خطر محدق جسيم ، فكان عبور موسى هو لدرء هذا الخطر المحدق الجسيم ؟

ثمّ أليس بقاء طارق في طُليطلة دون التحرّك لفتح جديد ، ودون التوجّه للقاء موسى ، بالرغم من مرور مدة طويلة من الزّمن على عبور موسى إلى الأندلس ، هو لتثبيت حشود المقاومة القوطيّة في أماكنها ، دون التعرّض بقوات موسى وقوات طارق لأطول مدّة ممكنة ، ولحماية طليطلة بالذات من هجمات المقاومة القوطية واحتمال استعادتها من المسلمين ؟

ثمّ أليس حركة طارق للقاء موسى ، في طريقه إلى طليطلة ، وهو طريق جبليّ وعر ، فيه حشود المقاومة القوطية المتربصة بالمسلمين ، كان لمعاونة قوّات موسى ، على اجتياز هذا الطريق المحفوف بالمخاطر بأمن وسلامة ، وضمان إحراز النّصر على القوط إذا اشتبكوا بالمسلمين ، لأنّ اشتباكهم بقوات موسى وقوات طارق ، أصعب عليهم بكثير من اشتباكهم بقوات موسى وحدها ؟

لقد كان تغلغل طارق بقواته القليلة نسبياً ، بالعمق في الأندلس ، هو نقطة الضعف ، في قيادة طارق ، فقد كان تغلغل قواته عمقاً لا يتناسب مع حجمها في حال من الأحوال .

ولا يمكن أن تخفى نقطة الضعف هذه على طارق ، بما عرف عنه من سجايا قيادية عملية لا تتكرر إلاّ نادرا . ويمكن تعليل أسباب وقوع طارق في هذا الخلل الذي كان يمكن أن يأتي على فتوحه ويكبِّد قواته خسائر فادحة مادياً ومعنوياً، بأنه لم يكن يعمل وحده في الأندلس ، ولا كان فتحها يهمه وحده ، فقد كان موسى بن نُصَيْر مسئوله المباشر إنساناً وقائدا ، مطلعاً على موقف طارق اطلاعاً مفصلا ، فكان لا يتهاون في إمداد قواته بالرجال ، ويحرص على مصير قوات طارق حرص طارق عليها . كما كان مصير فتوح

طارق لا تهم طارقاً وحده ، بل تهم موسى بالدرجة التي تهم طارقاً ، إن لم يكن مصيرها يهم موسى أكثر مما يهم طارقاً ، وبخاصة وأنّ الخليفة يحاسب موسى على مصير قوات طارق ومصير فتوحه ، لو لحق بقوات طارق وفتوحه ضرر من جراء إهمال موسى في المدد أو تقصيره ، لذلك بادر موسى إلى قيادة المدد بنفسه رغم شيخوخته ، مبالغة في حرصه على معاونة طارق والتعاون معه ، وقطع دابر الخطر الذي تعانيه قواته ، والعمل على إكمال الفتوح إلى نهايتها المرجّوة ، التي يتمناها موسى كما يتمناها طارق . ومن الواضح جداً ، أنّ موسى ، كان بإمكانه أن يوّلي أحد أبنائه قيادة المدد ، أو يوّلي هذا المدد أحد قادته المرءوسين ، وكان أولاد موسى قادرين على تحمل أعباء قيادة المدد عن أبيهم الشيخ ، وكان قادة موسى المرءوسون مجربين في الفتوح والمعارك وقادرين على تحمل اعباء قيادة المدد ايضاً ، ولكنّ موسى قرر أن يتحمل مسئوليته كاملة ، بعد أن وجد مبلغ ما يحيق بقوات طارق من أخطار جسيمة فزج نفسه في معارك واضحة المخاطر ، ولكن حرصه على مصير المسلمين والفتح غطى على ما توقعه من مشقات وأخطار ، فآثر سلامة المسلمين وراحتهم على سلامته وراحته .

لقد كان طارق ، يستند على ركن ركين في قيادته ، فقد كانت الثقة متبادلة إلى أبعد الحدود ، بين طارق وموسى رئيسه المباشر في القيادة ، لذلك كان يُقْدم على النهوض بواجبه قائداً ، حتى إذا كان النهوض به لا يخلو من الأخطار ، لأنه كان يعلم علم اليقين ، أنّ هناك مَن يشاركه في تحمل تلك الأخطار مشاركة تبددها تبديداً ، وتجعلها أثراً بعد عَيْن .

ولو أنّ الثقة لم تكن متبادلة بين طارق وموسى ، لا ختلف الأمر اختلافاً جذرياً ، ولما أقدم طارق على مجازفة عسكرية دون مسوّغ ، ولكنه كان يعلم أنّ موسى لايمكن أن يتخلّى عنه ، وأنّ المدد سيجعل من المجازفة نصراً لامعاً .

وكان هناك ما يسوّغ لطارق اندفاعه في العمق الأندلسي ، من الناحية العسكريّة الفنية البحت ، فبعد خروج طارق من المعركة الحاسمة ، معركة وادي لَكُهْ ، منتصراً على القُوط بقيادة ملكهم لذريق انتصاراً حاسماً ، كان عليه أن يطارد فلول القوط بتماس شديد ، وألاّ يفسح لهم المجال للتجمع تحت لواء واحد بقيادة واحدة من جديد ، لذلك طارد فلولهم حول ساحة المعركة الحاسمة ، وكبّدهم خسائر فادحة بالأرواح في مطاردته التي نهضت بها سراياه نهوضاً موفّقا . وقد لجأ قسم من القوط إلى مدينة شذونة القريبة جداً من ساحة المعركة الحاسمة ، فاقتضى الموقف العسكري ، أن يفتح طارق هذه المدينة ، ليُطهّرها من فلول القوط الذين احتموا بها . وكان فلول القوط قد انسحبوا إلى إسْتِجَّة . فطاردهم طارق إلى هذه المدينة ، وفتحها ،وبدّد فلول القوط التي لجأت إليها .

وبعد فتح إسْتِجَّة ، انسحب القسم الأكبر من فلول القوط إلى طُليطلة ، باعتبارها أكبر مدنهم وعاصمة ملكهم : للدفاع عنها ، والاحتماء بها ، والتعاون مع حاميتها المحلية في صد المسلمين عن فتحها . كما انسحب بعض فلول القوط ، إلى المدن المجاورة لمدينة إستجة ، بأعداد أقلّ من الأعداد التي أخذت طريقها إلى طليطلة . فكان على طارق أن يطارد الفلول في معاقلها الجديد ، وعلى رأسها مدينة طليطلة ، فتوجّه على رأس القسم الأكبر من رجاله إلى طليطلة ، وفرّق السرايا إلى المدن المجاورة لأستجة ، عاملاً بنصيحه يليان ، لأنها تحقق هدفه الحيوي في مطاردة فلول القوط أينما وجدوا وحيثما اتجهوا ، كما تحقق هدفه في الفتح ؛ وهكذا فرض الموقف الراهن نفسه على طارق ، فازداد تغلغه في عمق البلاد ، وتوسّعت جبهته ، وكان هذا التغلغل والتوسّع في الجبهة لا مفر منه ، بالنظر للموقف العسكري الراهن ، على الرغم من خطره الداهم على قوات المسلمين .

لقد اضطرّ طارق على اتّخاذ هذا المسلك اضطراراً ، وهو يعلم حقّ العلم محاذيره . ومن الواضح ، أنّ طارقاً ، بعد انتصاره على القوط في المعركة الجاسمة ، وكانت قوات القوط متفوّقة على قوّات المسلمين تفوّقاً ساحقاً في تلك المعـركة ، كما ظهر لنا من دراسة المعركة وهـو يرى انسحاب فلول القوط بأعداد ضخمة من ساحة المعركة في اتّجاهات مختلفة ، على غير هدى وبصيرة غالباً ، وعلى هدى وبصيرة نادراً ، فكان الموقف الراهن ، يقضي عليه أن يطارد الفلول القوطية ، مستفيداً من حالة انهيارها المادي والمعنويّ نتيجةً لقتل ملكها أولاً ، ولهزيمتها ميدانياً ثانياً ، إذ لايمكن أن يستمر هذا الانهيـار طويلاً ، فمن الواجب استغـلاله بأقصى ما يمكن في مطـاردة سريعة مدبّرة ، خوفاً من أن يستعيد القوط تماسكهم الماديّ والمعنويّ ، ويتجاوزوا مدّة الانهيار الذي يعانونه ، والذي لايمكن إدامته وتعميق آثاره ، إلاّ بالمطاردة الفوريّة ، وهذا ما طبّقه طارق عملياً ، فقاده إلى التغلغل عمقاً ، وإلى توسيع جبهة المسلمين ، بدون أن يزداد تَعداد المسلمين في حينه .

والواقع أنّ طارقاً كان أمامه مسلكان لاثالث لهما : أن يكتفي بانتصاره في المعركة الحاسمة ، ويتّخذ موضعاً دفاعيّاً مناسبا ، ريثما تصل إليه الامدادات ، ثمّ يستأنف مسيرته لاستكمال ما بدأه من فتوح .

ومحذور هذا المسلك ، أن تستعيد فلول القوط رشدهم ، الذي فقدوه من جراء هزيمتهم وقتل ملكهم ، وجسامة خسائرهم بالأرواح والأموال ، وحينذاك يمكن أن يهاجموا قوّات طارق في مواضعها الدفاعيّة ، ويمكن أن يستعيدوا ما فقدوه من مدن أندلسية من المسلمين ، وبخاصة وأنّ التفوّق العَدَدِيّ والعُدَدي مع القوط على المسلمين . وحتى في حالة وصول المدد إلى المسلمين ، وهم بهذه الحالة ، من تجمّع القوط واستعادة معنوياتهم ، فإنّ انتصار المسلمين عليهم يكون أصعب بكثير من حالتهم في تفرّقهم وانهيار معنوياتهم ،

مما يجعل اتّخاذ هذا المسلك من طارق ، غيرمأمون العواقب ، ولا مضمون النتائج .

والمسلك الثاني الذي كان أمام طارق ، هو مطاردة فلول القوط بسرعة وبتماس شديد ، وهذا المسلك هو الذي اتّخذه طارق ، وطبقه عملياً في مسيرة الفتح .

لقد كان أمام طارق مسلكان صعبان ، أحلاهما مُرّ ، فاختار المسلك الذي يناسب المجاهدين الصّادقين في القرن الأول الهجري ، خير القرون ، وقرن الفتوح الإسلامية المجيدة . وما كان بإمكانه أن يختار المسلك الأول ، مسلك الدفاع ، لأنّه كان قائداً تعرّضيّاً لاقائداً دفاعيّاً ، ولا تنطبق مقاييس طارق على مقاييس القادة في العصر الحديث ، فقد كانت أسبقيّة المقاييس بالنسبة لطارق وقادة الفتح الاسلامي قاطبة ، للمقياس الروحي ، فأصبحت أسبقية المقاييس اليوم للمقياس المادّي ، وشتّان بين المقياسين .

ولكل عصر مقاييسه المعتبرة . ولكل زمان دولة ورجال .

٥ ـ مجمل السمات :

(ا) سماته الخاصة :

ذكاء خارق . وكياسة واتّزان وحصافة وحسن التّدبير وحسن السياسة ، والقابليّة على استقطاب الثّقة به إنساناً وقائداً . ونسبه البربري الذي آثر عليه نسبه إلى الإسلام ، فهو طارق بن الإسلام بحق لاطارق بن البربر نسباً ، وإيمانه الرّاسخ العميق بتعاليم الدّين الحنيف . وتجربة عمليّة ناجحة في القيادة ، يقود رجاله من الأمام ويكون قدوة حسنة لهم بالأعمال لا بالأقوال ، يستأثر دون رجاله بالخطر ويؤثرهم بالاطمئنان ، يبذل جهداً في جهاده أكثر من أيّ رجل من رجاله ، حريص غاية الحرص على أرواح رجاله ، يتحلّى بالضبط المتين ، ويتحمّل المسئولية كاملة ويحبّها ، ويبذل قصارى جهده في رفع

معنويات رجاله ، يهتمّ بأمن جيشه كلّ الاهتمام ، يسبق النظر ويُعِـدّ لكلّ ما يُحتمل وقوعه ما يناسبه من حلول ، لايجتاحه الغرور في حالة النّصر ولايستخذي في حالة الاندحار ، يُقَدِّر المواقفالعسكريّ تقديراً واقعيّاً صائباً، يتميّز بالشجاعة النادرة والإقدام .

(ب) سماته العامة :

كان ذا قرار سريع صحيح ، يتميز بالشجاعة الشخصيّة ، وكان ذا إرادة قويّة ثابتة ، له نفسيّة رصينة لاتتبدّل في حالتي النّصر والهزيمة ، يتحمّل المسئولية ويحبّها ولا يتهرّب منها ويلقيها على كواهل الآخرين ، يتمتّع بمزية سبق النظر ، وعلى معرفة مفصّلة بنفسيّات رجاله وقابلياتهم ، يثق برجاله ويثقون به ويثق برؤسائه ويثقون به ، يحب رجاله ويحبونه ، وكان ذا شخصيّة قويّة نافذة ، يتمتّع بالقابليّة البدنيّة المتميزّة ، وله ماضٍ ناصع مجيد في ميدان الجهاد .

وكان يعرف مبادئ الحرب بالفطرة ، ويطبّقها في عملياته العسكرية تطبيقاً ناجحاً ، ومن المعلوم أنّ مبادئ الحرب لاتتغير ، ولكن أساليب الحرب هي التي تتغيّر .

تلك هي سمات طارق الخاصة والعامة ، التي قدّمته لتسنّم منصب القيادة، ثمّ جعلت منه قائداً لامعاً من أبرز قادة الفتح الإسلاميّ ، لايُذكرون إلّا ويذكر معهم .

وسمات قيادة طارق تشابه إلى حدّ بعيد سمات قيادة خالد بن الوليد ، فإذا كان خالد بطل فتوح المشرق ، فطارق ، بطل فتوح المغرب . وإذا كان خالد بطل العرب المسلمين ، فطارق بطل البربر المسلمين .

وإذا كان خالد من بني مخزوم من قريش ، فإنّ طارقاً لم يكن من بني مخزوم ولا من قريش ، وإذا كان لنسب خالد أثر في تسنّمه القيادة ، فلا أثر لنسب طارق في تسنمه القيادة ، وهو بحق القائد العصاميّ الذي بنى مجده بمزاياه وكفاياته ، وهو الجدّ الأول لعَقبِه وعَقِب عَقبه ، يعتزّون بالانتساب إليه ، ويفخرون بسجاياه وفتوحه .

تلك هي مجمل سماته الخاصة والعامة، ولعلّها تفيد الذين يؤثرون الإيجاز على الإطناب ، ولعلّها تفيد الذين لايتّسع وقتهم لدراسة الشروح والتفصيلات .



طارق في التاريخ

يذكر التاريخ لطارق ، أنّه فتح شطر الأندلس ، وكان أوّل قائد بدأ بفتح الأندلس فتحاً مستداما .

ويذكر له ، أنّه شارك موسى بن نُصير في فتح ولاية طَنْجَة الواسعة الأرجاء من المغرب .

ويذكر له ، أنّه فتح مدينة سبْتَة المغربيّة سلماً ، بعد أن استعصى فتحها على الفاتحين عَنْوَة .

ويذكر له ، أنّه كان إدارياً لامعاً ، برز في إدارته الحازمة على ولاية طنجة المغربية .

ويذكر له ، أنّه كان سياسياً حصيفاً ، استمال يُلْيَان بالحسنى ، حيث عجز السيف عن استمالته .

ويذكر له ، أنّه أوّل قائد غير عربي ، تسنّم منصباً قيادياً كبيرا ، بمجهوده وجهاده ومزاياه ، لابنسبه وحسبه وكفاياته حسب .

ويذكر له أنّه كان قائداً لامعاً ، من ألمع قادة الفتح الإسلامي ، في القرن الأول الهجري ، قرن الفتوح والانتصارات .

ويذكر له ، أنّه أوّل مَن نشر العربية لغةً والإسلام ديناً ، في الفردوس العربيّ المفقود .

ويذكر له ، أنّه كان من أشجع الشجعان ، لايبالى أوقع الموت عليه ، أو وقع هو على الموت .

ويذكر له ، أنّه في سماته القيادية يشابه خالد بن الوليد ، فهو خالد فتوح المغرب ، كما كان خالد بن الوليد قائد فتوح المشرق ، وكان طارق بطل غير العرب المسلمين ، كما كان خالد بطل العرب المسلمين .

ويذكر ، أنه في مزاياه القيادية ، يشابه المثنّى بن حارثة الشيباني ، فهو بطل فتوح الأندلس ، كما كان المثنى بطل فتوح العراق .

ويذكر له ، أنّه غنم مغانم جسيمة في الأندلس ، ولكنه لم يخلّف إرضاً ولا دارا ، ولم يُورث درهما ولا دينارا .

ويذكر له ، أنّه كان محبوباً من البربر ، تتوجّه حشودهم بأمره إلى الجهاد ، بدون سؤال ولا جواب .

ويذكر له ، أنّه لمع سنوات معدودات فاتحا ، ثم سطع حتى بهر الناس شرقاً وغربا، ولكنّه انطفأ فجأة كما لمع فجأة ، فاندثر إنساناً ، وبقيت فتوحه لا تندثر أبدا .

ويذكر ، أنه بقدر حديث المؤرخين عنه قائداً ، بقدر إغفال الحديث عنه إنسانا ، فطارق القائد معروف جداً ، وطارق الإنسان مجهول جدا .

ويذكر له ، أنّ فتوحه الأندلسية ، قوبلت بالعقوق ، وقضى أيامه بعد رحيله من الأندلس إلى دمشق ، مغموراً مجهول المكانة والمكان .

ويذكر له ، أنّه احترق بنار مولاه موسى ، فتحمّل ما تحمله موسى ثابتاً صابراً محتسبا ، دون أن يقترف ما يستحق عليه العقاب .

ويذكر له ، أنّه لم يُحاسب كما حوسب غيره في تصرفه بالأموال ، بل كانت جريمته الأولى والأخيرة ، أنه ذو شعبية طاغية في المغرب والأندلس، فيُخشى على السّلطة من شعبيته وعواقبها ، ويُخشى من الناس أن يستغلّوه في مصاولة السّلطة ، ويُخشى من استجابته للناس ، فيضع السّلطة في اختبار عسير.

ويذكر له ، أن الخروج على السلطة ، كان يدور في خلد حاسديه من الطّامعين في ولاية الأندلس ، ولا يدور في خلده طرفة عيْن ، لأنّه كان أكبر من المناصب ، تسعى إليه ولا يسعى إليها ، ويعتبرها تكليفاً لا تشريفا .

ويذكر له ، أنّ السُّلطة أقصته عن القيادة ، اعتماداً على ما سمعته عنه لا على ما تحققته منه ، فذهب ضحية الوشاية والافتراء ، لا ضحية الواقع واليقين ، وخسر الفتح بإقصائه قائداً لا يتكرر إلاّ نادرا ، وكانت الخسارة بإقصائه قائداً وإنساناً لا تعوض .

رحم الله القائد الفاتح ، البطل المجاهد ، الإداري الحازم ، السياسي البارع ، التّقي ، النقّي ، الذكيّ الألمعيّ ، طارق بن زياد فاتح شطر الأندلس .



مسائل لغوية في مذكرات مجمعية

الشيخ محمد حسن آل ياسين

(عضـــو المجمع)

« القســـم الثاني »

(تعقيب على قرارَيْنِ لمجمع القاهرة)(*)

في السنة المجمعيَّة ١٩٨٠ – ١٩٨١ م ناقشت لجنة اللغة العربية في المجمع العلمي العراقي مجموعة القرارات العلميَّة التي أقرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، من الدورة الاولى الى الدورة الثامنة والعشرين . وكان من جملة تلك القرارات : (ثامنها) المعنيُّ بكيفية كتابة ماسمّاه « الأعلام الأجنبية (كذا) النصرانية الواردة في كتب التاريخ » مثل بطرس وبقطر وبولس ويعقوب وأيّوب . والقرار (التاسع) الذي أعلن فيه المجمع المذكور الموافقة على « إدخال أربعة حروف الى العربية » هي پ و چ و ژ و گ

وقد حررتُ المذكرة الآتية تعقيباً على هذين القرارين :



(*) مذكرة مقدمة الى لجنة اللغة العربية بتاريخ ١١/٤/١٩٨١م .

بعد الاطلاع على محضر جلسة يوم ٢٨ – ٣ – ١٩٨١ م والمشاركة في مناقشات جلسة يوم ٤ – ٤ – ١٩٨١ م ، رأيت من الراجح أن أضع أمام أنظار الزملاء المحترمين أعضاء اللجنة مقتطفات مما دوّنه السلف في بيان الطريقة التي درجوا عليها في كتابة الكلمات الأعجمية بالعربية ؛ وفي تحديد موقفهم من الأصوات التي لايوجد في الحروف العربية مايدل عليها دلالة تامة ، عسى أن يكون في ذلك ماينير النهج ويوضح السبيل .
والله ولي التوفيق

قال سيبويه :

« أصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً . . . . وتكون خمسة وثلاثين حرفاً بحروفٍ هُنَّ فروع ؛ وأصلها من التسعة والعشرين ، وهي كثيرة يؤخَذ بها وتُستَحْسَن في قراءة القرآن والأشعار ، وهي : النون الخفيفة ؛ والهمزة التي بَيْنَ بَيْنَ ؛ والألف التي تُمال إمالةً شديدة ؛ والشين التي كالجيم ؛ والصاد التي تكون كالزاي ؛ وألف التفخيم — يعني بلغة أهل الحجاز — في قولهم : الصلاة والزكاة والحياة .

« وتكون اثنين واربعين حرفاً بحروفٍ غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة مَنْ تُرْتَضى عربيتُه ، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر ، وهي : الكاف التي بين الجيم والكاف ؛ والجيم التي كالكاف ؛ والجيم التي كالشين ؛ والضاد الضعيفة ؛ والصاد التي كالسين ؛ والطاء التي كالتاء ؛ والظاء التي كالثاء ؛ والباء التي كالفاء

« وهذه الحروف التي تممتُهـا اثنين وأربعين(١) — جيِّدها ورَديئها — أصلها التسعة والعشرون ، لاتتبيَّن الاّ بالمشافهة »(٢) .

(١) كذا في الأصل المنقول منه ، وهي (٤٣) .
(٢) الكتاب : ٢/٤٠٤ — طبعة بولاق — .

وقال ابن دريـد :

« اعلم ان الحروف التي استعملتها العرب في كلامها في الأسماء والأفعال والحركات والأصوات تسعة وعشرون حرفاً ؛ مرجعهن الى ثمانية وعشرين حرفاً .... وهذه الحروف تزيد على هذا العدد اذا استُعْمِلتْ فيها حروف لا تتكلّم بها العرب الاّ ضرورةً ، فاذا اضطرّوا اليها حوّلوها عند التكلّم بها الى أقرب الحروف من مخارجها . فمن تلك الحروف : الحرف الذي بين الباء والفاء مثل (پور) اذا اضطروا اليه قالوا : (فور) ، ومثل الحرف الذي بين القاف والكاف والجيم والكاف – وهي لغة سائرة في اليمن – مثل (جمل) اذا اضطروا إليه قالوا : (كمل) بين الجيم والكاف ، ومثل الحرف الذي بين الياء والجيم وبين الياء والشين مثل (غلامي) فاذا اضطروا قالوا : (غلامج) ... (غلامش) . وكذلك ما أشبه هذا من الحروف المرغوب عنها .

« فأمّا بنو تميم فانهم يلحقون القاف بالكاف فتغلظ جدّاً ؛ فيقولون : (الكوم) يريدون (القوم) ؛ فتكون القاف بين الكاف والقاف ، وهذه لغة معروفة في بني تميم ، قال الشاعر :

ولا أكول لكدر الكوم كد نضجتْ ولا أكول لباب الدار مكفولُ(٣)

وقال حمزة بن الحسن :

« ومنها اربعة احرف جارية في العربية على ألسُن أهلها ولم يخصّوها بصور . وهي : النون الغنّاء ، والهمزة ؛ والواو والياء الليّنتان .

(٣) الجمهرة : ١/٤ ـ ٥ ـ طبعة الهند ـ .

« فالنون الغنّاء هي التي تخرج من الغنّة ، وهي مثل نون (مُنْذِر) ، لأنها ليست من مخرج نون (رَسَن) .

« والهمزة مثل (قرأ) و (رفأ) ومثل أول حرف من (أحمد) ، لأنها ليست من مخرج ألف (حامد) .

« والواو والياء في (عمُود) و (بعِير) ، لأنهما ليستا من مخرج ياء (بُرَيْد) و (زَيْد) وواو (واصِل) و (صواب) » (٤) .

وقال الجواليقي :

« اعلمْ أنهم كثيراً ما يجترئون على تغيير الأسماء الأعجمية اذا استعملوها. فيبدلون الحروف التي ليست من حروفهم الى أقربها مخرجاً ، وربما أبدلوا ما بعُدَ مخرجُه أيضاً . والإبدال لازم ، لئلاّ يُدخِلوا في كلامهم ما ليس من حروفهم ....

« فممّا غيّروه من الحروف : ما كان بين الجيم والكاف ، وربما جعلوه جيماً ؛ وربما جعلوه كافاً ؛ وربما جعلوه قافاً لقرب القاف من الكاف ، قالوا : (كُرْبَجٌ) ؛ وبعضهم يقول : (قُرْبَقٌ) .

« وأبدلوا الحرف الذي بين الباء والفاء فاءً ، وربما أبدلوه باءً ، قالوا : (فالُوذٌ) و (فِرِنْد) ، وقال بعضهم : (بِرِنْد) .

« وأبدلوا السين من الشين ؛ فقالوا للصحراء : (دَسْت) .... وقالوا : (سَراويل) و (اسماعيل) وأصلهما (شروال) و (اشماويل) ، وذلك لقرب السين من الشين في الهمس » (٥) .

★ ★ ★

(٤) التنبيه على حدوث التصحيف : ٨٢ ـ طبعة بغداد ـ .
(٥) المعرّب : ٦ ـ ٧ طبعة دار الكتب المصرية ـ .

وبعد :

هذه مقتطفات ممّا كتبه الأقدمون في هذا الموضوع ، وقد تضمنت النصّ الصريح على أن الحروف التسعة والعشرين هي الاصول الراسخة الثابتة التي لا يُسْمح فيها بالعبث والتلاعب بزيادة أو نقصان ، على الرغم من اعتراف الجميع واقرارهم بوجود أصواتٍ في العربية نفسها لم يخصّها العرب بحرفٍ دالّ عليها . مع أن بعضها مما « يستحسن في قراءة القرآن والأشعار » كما يقول سيبويه ، وعلى الرغم من اعترافهم أيضاً بوجود اصواتٍ في غير العربية حوّلها العرب عند التكلّم بها الى أقرب الحروف من مخارجها ولم يضعوا لها حرفاً معيناً ، بل ربما أبدلوا ما بَعُدَ مخرجه أيضاً كما يقول الجواليقي . وكان هذا الابدال ضرورياً لازماً ، لضمان حماية العربية من أن يدخل فيها ما ليس من حروفها الأصيلة المقرَّرة .

ولم أجد في كل تلك النصوص ؛ وفي استقراء السلوك العملي للسلف في التعريب ، ما يبيح لنا إضافة حرفٍ او حروف الى العربية ، أيّاً ما كانت الحجج المدّعاة . وليس من العناد أو التزمّت الذميم أن نقول : إن ما جاء في قرارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة (الفقرة ٩) من قبول إدخال حروفٍ في العربية مما ينبغي رفضه جملة وتفصيلاً .

كما أننا نرفض — أيضاً — إقحام اسمي (يعقوب) و (أيوب) في عداد الأعلام الأجنبية — نصرانية او غير نصرانية — (الفقرة ٨) ، لأنهما من الأعلام التي ورد ذكرها في القرآن الكريم ، ولم يقم دليل قاطع على كونهما غير عربيين في نجارهما العريق ونسبهما البعيد .

أمّا ما يقال من حاجة البحث العلمي المعاصر الى استعمال أصواتٍ غير عربية فيما يُترجَم اليها من اللغات الاخرى ؛ فيكفي في سَدّ ذلك اختيار رموزٍ لتلك الأصوات تكون على شاكلة الرموز المستعملة في الحساب والهندسة والكيمياء ، على أنْ تظل رموزاً وعلامات — كـ (الأكسانات) في داخل اللغة الفرنسية — ولا تعدُّ حروفاً بأي وجه من الوجوه .

والله تعالى من وراء القصد .



« من معاني الباء »(*)

قدَّم أحد الزملاء في لجنة الاصول مذكرةً أورد فيها عبارات فشا استعمالها في هذه الأيام ؛ على غرار : اتخذوا القرار بالاجماع ؛ وحرسوا المبنى بالتناوب ؛ وجاء إليَّ بسرعة ؛ وخرج من الغرفة بهدوء ، وقال : انهم يريدون بذلك معنى الحال ، أي « مُجمعِين » و « متناوبين » و « مُسرِعاً » و « هادئاً » . وعلى غرار : ضربه بشدَّة ؛ ودفع الباب بعنف ؛ وربت على كتفه بلطف ؛ وانتهره بقسوة ، وقال : انهم يريدون بذلك معنى المفعول المطلق ، أي « ضرباً شديداً » و « دفعاً عنيفاً »و « رَبْتاً لطيفاً » و « انتهار أقاسياً » .

وختم مذكرته قائلاً : « ولا يبدو أن هذا الوجه من استعمال الباء من صميم ماجرى عليه أسلافنا في أساليبهم ، وهو لايكاد يُشبِه أيّاً من الوجوه الأربعة عشر التي عدَّدها النحاة لمعاني الباء وما قدَّموه من أمثلة لها ؛ وإن يكن هو الأقرب من مدلول المصاحبة . ولكنه لايشبهه تمام الشبه » .

وقد حررتُ هذه المذكرة تعقيباً على ذلك .

★ ★ ★

تحدَّثتْ مذكرة الزميل الفاضل عن مسألة الاستعمالات الجديدة للباء ، بما يراد به معنى الحال تارة ومعنى المفعول المطلق تارة اخرى . وهي استعمالات رأى الزميل الكريم انها من المستحدَثات الجديدة التي لاتتفق مع « صميم ماجرى عليه أسلافنا في أساليبهم » . وطلب من لجنة الاصول دراسة هذا الموضوع لإثبات رأيٍ فيه :

ان استقراء تراثنا اللغوي الأصيل يرشدنا بجزمٍ ويقينٍ الى أن هذا النحو

(*) مذكرة مقدمة الى لجنة الاصول في يوم ٢٠/١٠/١٩٨١م .

من الاستعمال ليس جديداً في العربية ؛ ولاينبغي أن يعدَّ من مستحدَثات المعاصرين ، وحسبنا أن نعلم ورود مثله مكرَّراً في القرآن الكريم وهو أفصح الكلام وأصدق الحديث :

١ – قال تعالى : (واذا جاؤكم قالوا آمنّا ، وقد دخلوا بالكفروهم قد خرج جوابه) (١) . وقد ذهب كلٌّ من ابن فارس(٢) والرضيِّ الاسترابادي(٣) والزَّبيدي (٤) الى أن الباء في قوله : (بالكفر) للمصاحبة .

٢ – وقال تعالى : (ومَنْ يُرِدْ فيه بالحادٍ بظلمٍ نُذِقْه من عذابٍ أليم) (٥) . واختلف المفسِّرون واللغويون في قوله : (بالحادٍ) ، فذهب الزمخشري(٦) والفخر الرازي(٧) الى كونه حالاً ؛ أي مُراداً مّا عادلاً عن القصْد ، وذهب ابو عبيدة(٨) ومكي بن ابي طالب(٩) الى زيادة البـاء هنا ؛ أي إلحاداً بظلمٍ . ولكنهم اتفقوا على أن باء (بظُلْم) بمعنى مَعَ .

٣ – وقال تعالى : (قيل يانوحُ اهْبِط بسلام منّا وبركات) (١٠) : أي مَعَ سلامٍ (١١) .

٤ – وقال تعالى : (ادْخُلوها بسلامٍ آمنين) (١٢) : أي « مع السلامة من كل الآفات » (١٣) .

---

(١) سورة المائدة/٦١ . (٢) الصاحبي : ٧٧ .
(٣) شرح الكافية : ٣٢٧/٢ .
(٤) تاج العروس / باب الألف الليّنة : الباء .
(٥) سورة الحج/٢٥ . (٦) الكشاف : ١٠/٣ .
(٧) تفسير الرازي : ٢٥/٢٣ . (٨) مجاز القرآن : ٤٨/٢ .
(٩) مشكل اعراب القرآن : ٤٩١/٢ .
(١٠) سورة هود/٤٨ .
(١١) تاج العروس/باب الألف اللينة : الباء .
(١٢) سورة الحجر/٤٦ .
(١٣) تفسير الرازي : ١٩٢/١٩ .

٥ ــ وقال تعالى : ـ(ادْخُلوها بسلامٍ ذلك يوم الخلود)ـ (١٤) : أي مَعَ سلامٍ (١٥) .

٦ ــ وقال تعالى : ـ(خذوا ما آتيناكم بقُوَّة)ـ (١٦) . ـ(فخُذْها بقُوَّة)ـ (١٧) ، ـ(يايحيى خُذِ الكتابَ بقوَّة)ـ (١٨) . وقد اتفق المفسِّرون على أن المراد بذلك هو الأخذ بجدٍ واجتهاد وطاعة ونشاط وعزيمة قوية ونية صادقة(١٩) . وزاد بعضهم الأمر ايضاحاً فصرَّح بأن الباء في قوله : (بقوة) « في موضع الحال : أي خذ الكتاب مجدّاً مجتهداً » (٢٠) أي وأنتم قادرون على أخْذِه أقوياء على العمل به(٢١) .

٧ ــ وقال تعالى : ـ(والذين آمنوا واتَّبعَتْهم ذريتهم بايمان) ـ (٢٢). وقد شرح الطبرسي ذلك بجلاء فقال : « الذرية تقع على الصغير والكبير . . . . فان حُمِلت الذرية في الآية على الصغار كان قوله : (بايمان) في موضع نصبٍ على الحال من المفعولين ، أي اتَّبعتْهم بايمانٍ من الآباء ذريتُهم ألحقنا الذرية بهم في أحكام الاسلام . . . . وإن جُعِلت الذرية للكبار كان قوله : (بايمان) حالاً من الفاعلين الذين هم ذريتهم ، أي ألحقنا بهم ذريتهم في أحكام الدنيا والثواب في الآخرة » (٢٣) .

★ ★ ★

(١٤) سورة ق/٣٤ .
(١٥) تفسير الرازي : ١٧٩/٢٨ .
(١٦) سورة البقرة/٦٣ و ٩٣ . وسورة الأعراف/١٧١ .
(١٧) سورة الأعراف/١٤٥ .
(١٨) سورة مريم/١٢ .
(١٩) تفسير الطبري : ٣٢٦/١ و ٤٢٢ ، و ٥٨/٩ و ١١٠ ، و ٥٤/١٦ وتفسير الرازي : ١٠٨/٣ ، و ٢٣٧/١٤ و ٤٥/١٥ و ١٩١/٢١ والكشاف : ٢٨٦/١ و ١١٦/٢ و ١٢٩ و ٥٠٤ ومجمع البيان : ١٢٨/١ ، و ٤٧٧/٢ و ٤٩٦ و ٥٠٦/٣ .
(٢٠) مجمع البيان : ٥٠٦/٣ .
(٢١) مجمع البيان : ١٢٨/١ ، و ٥٠٦/٣ .
(٢٢) سورة الطور /٢١ .
(٢٣) مجمع البيان : ١٦٤/٥ ــ ١٦٥ .

وهكذا يتجلى بوضوح ان قول القائل : دفع الباب بعنفٍ ؛ وخرج من المكان بهدوء ؛ وضرب بشدّة ، داخل في هذا الاطار الكبير من استعمالات الباء.

ولعل تشكيك زميلنا الكريم في فهم معنى المصاحبة من ذلك راجع الى كونه يريد من المصاحبة معناها الحسيّ الذي يعْني مصاحبة جسمٍ لجسم ، كقول القائل : دخل عليه بثياب السَّفر ؛ وخرج بعشيرته ؛ واشترى الفرسَ بسرجه ولجامه ؛ كما مثّل الزمخشري (٢٤) ، إذ تكون مصاحبة الدفع للعنف والضرب للشدة والخروج للهدوء ؛ خارجةً عن صميم هذا المعنى المحدّد الدقيق .

ولكننا إن فهمنا المصاحبة بنحوٍ أعمق وأوسع ، أي بمايشمل الجواهر والأعراض أو الأعيان والصفات ــ سواء أكان ذلك كلّه استعمالاً للّفظ في معناه حقيقة أم كان بعضه من المجاز ــ أصبح دخول تلك الأمثلة بأجمعها في باب المصاحبة مقبولاً ومستساغاً وجارياً على سنن العربية .

إن فهم المصاحبة بمعناها الواسع الذي أشرنا اليه هو الذي حمل بعض اللغويين على عدّ الباء في الآيات الكريمة التي سبق ذكرها ؛ في معنى الحال ، كما صرّح به مكي بن ابي طالب(٢٥) والزمخشري(٢٦) في تفسير قوله تعالى : (بالكفر) و(به) في الآية الاولى ، أي دخلوا كافرين وخرجوا كافرين ، وتقديره : متلبّسين بالكفر . وكما ذهب إليه الزمخشري (٢٧) والفخر الرازي (٢٨) من أن (بالحادٍ) و (بظلمٍ) في الآية الثانية حالان . وكما

(٢٤) المفصل : ٢٨٥ .
(٢٥) مشكل اعراب القرآن : ٢٣١/١ .
(٢٦) الكشاف : ٦٢٦/١ .
(٢٧) الكشاف : ١٠/٣ .
(٢٨) تفسير الرازي : ٢٥/٢٣ .

ذهب إليه الزمخشري أيضاً في تفسير (بسلامٍ) في الآيات ٣ و ٤ و ٥ من كونها بمعنى « سالمين »(٢٩) ، وأيّد ذلك الرازي قائلاً : « الباء للمصاحبة في معنى الحال ، أي سالمين مقرونين بالسلامة » (٣٠) .

ومن أصرح شواهد ذلك قول الزّبيدي : ان الباء « للمصاحبة في نحو : رجع بخفّيْ حُنيْن ويسمى الحال » (٣١) .

ولعلّ من جملة شواهد هذه الحقيقة ذهاب مَنْ ذهب الى عدّ الالتباس والمخالطة من معاني الباء . وفي ذلك يقول ابن منظور :

« وفي التنزيل العزيز : (فسبّح بحمْد ربّك) الباء هاهُنا للالتباس والمخالطة ، كقوله عزوجل : -(تَنْبُت بالدُّهْن)- أي مُختلِطةً مُلتبسة به . ومعناه : اجعلْ تسبيحَ الله مختلِطاً ومُلتبِساً بحمده » (٣٢) .

والمستفاد من كل ما تقدّم ان الحاليّة في أمثال هذه الموارد داخلة في صميم معنى المصاحبة ، بل هي جزء أصيل من معناها الواسع ، سواء أكانت وصفاً مباشراً للفاعل أم له ولما فعل . وربما كان هذا هو السبب في إهمال النحاة النصّ على باء الحال كما نصوا على واو الحال .

أمّا موضوع المفعول المطلق فيما جاء على غرار : ضربه بشدّة ودفع البابَ بعنف وانتهره بقسوة . فهو من قبيل : إرادة الالحاد بظلمٍ وأخْذ الكتاب بقوّةٍ ، مما ورد في التنزيل الحكيم . أي ارادة ظالمة وأخذاً قوياً ، إذ كان وصفاً للفعل أو تبييناً له . وربما يرجع إهمال المعجميين والمفسرين

(٢٩) الكشاف : ٣٩٢/٢ ، و ١١/٤ .
(٣٠) تفسير الرازي : ٢٥/٢٣ .
(٣١) تاج العروس/باب الألف اللينة : الباء .
(٣٢) لسان العرب : با .

والنحاة لذكر المفعول المطلق باسمه – هنا – كما ذكروا الحال ؛ الى الاكتفاء بذكر المعيّة والمصاحبة والالتباس والمخالطة .



وخلاصة القول :

ان الأمثلة التي اوردها الزميل الفاضل في مذكرته لم تخرج على حدود معنى المصاحبة المنصوص عليه ؛ وأعني به ذلك المدلول الشامل للحال والمعيّة والالتباس والمخالطة ، وقد جرى قائلوها في استعمالاتهم هذه على ما ثبتت سلامته من أساليب العربية وتراكيبها الصحيحة المليحة .

وفوق كلِّ ذي علمٍ عليم .



«في الاشتقاق والقياس»(*)

لابدَّ لي بادىء بدءٍ من الاعتراف الصريح بأن هذا الحديث الذي تستمعون اليه اليوم ليس مؤهَّلاً لأن يُسمّى بحثاً او دراسة او محاضرة ، بل لا يستحق في حقيقته أكثر من اسم « مذكرة » .

وإذا كنّا قد سرنا في عملنا المجمعي على نظام أو تقليد متفق عليه ؛ هو تقديم المذكرات الى اللجان المختصة والهيئات المعنيَّة في المجمع ، وقيام تلك اللجنة او الهيئة بدراسة كل مذكرةٍ منها ؛ ومناقشتها باسهاب ؛ وتحديد الموقف من مضمونها او المُقترح الذي تحمله بقرارٍ يُتَّخَذ بالاجماع أو الأكثرية . فاني قد أجزتُ لنفسي الخروج على هذا التقليد المتَّبع ؛ والتوجُّه بهذه المذكرة الى مجلس المجمع ، لأنها تحمل افكاراً او ملاحظات لا تختص في جانبها العمليّ التطبيقي بلجنة معينَّة من تلك اللجان العاملة ، ولأن هذه الأفكار او الملاحظات — بعد استيفاء مناقشتها والوصول الى الصحيح فيها او الراجح — بحاجة الى قرارات مُلزمة يخضع لها الجميع . وليس لنا في كل هذه الأحوال الا هذا المجلس الموقّر للبحث والحسم والإلزام .

وقبل الدخول في غمرة الموضوع لابدَّ من التمهيد له بالاشارة الى ما تعلمونه جميعاً من أن بناء اللغة العربية وصرحها الشامخ الضخم ؛ قد قام ـ ومازال قائماً ـ على دعامتين رئيستين رُبَّما لا يكون لهما ثالث ، وربَّما كان ولكنه ليس بمستواهما ودرجتهما من الناحية العملية . وهاتان الدعامتان هما : الاشتقاق والقياس ؛ اللذان يرجع اليهما فضلُ ما نشاهده في العربية من سعةٍ ومرونةٍ ونموّ وتطوُّر مستمر .

(*) مذكرة مقدمة الى مجلس المجمع العلمي العراقي بتاريخ ١٩٨٨/٥/٢٤م .

ولكن هاتين الدعامتين – لكونهما الأساس والقاعدة – لم يُتْرَكا كما يتوهم البعض عرضةً للرغبات الفردية والاستحسانات الذوقية او ما نسمِّيه في أحسن الفروض الاجتهادات المتضاربة . بل كان الاشتقاق – ويجب أن يظلّ – خاضعاً كل الخضوع لمقاييسه المقرَّرة وموازينه الثابتة ، وكان القياس – ويجب أن يظلّ أيضاً – مقيَّداً كل التقييد بضوابطه الخاصة ومعاييره الأصيلة .

ولا أُريد أن أُثقل عليكم فأحدِّثكم عمّا أورده السلف في معاني الاشتقاق ؛ وتقسيمه الى صغير وكبير ؛ او أصغر وأكبر ؛ او صغيرٍ وكبير وأكبر ، لأن ذلك بعيدٌ كلَّ البُعد عما نُعنى به اليوم من شؤون وشجون ترتبط بقضايا الترجمة ووضع المصطلح وسلامة الاستعمال وصحته .

ولكن الشيء الذي يجب ذكره وتأكيده والنصُّ عليه بكل صراحة ووضوح : ان دائرة الاشتقاق في سلبه وايجابه محدودة حصراً فيما ورد له أصل في اللغة ، ولا يشمل ما لم يكن له أصل . وهذا ممّا أجمعتْ عليه الكلمة وأُغلق فيه باب النقاش والجدل والاجتهاد .

وكان الخليل بن أحمد – لمّا أبدع نظام التراكيب العربية على أدق وجهٍ وأثبتِه – قد جعل للثنائي المضاعف وجهين ، وللثلاثي الصحيح ستة وجوه ، وللرباعي الصحيح اربعةً وعشرين وجهاً ، وللخماسي الصحيح مائة وعشرين وجهاً . ثم قرر بعد وضع هذا النظام في ضوء جميع الاحتمالات الممكنة لكل واحدٍ منها ؛ أن اللفظ العربي ينقسم الى مهمل ومستعمل ؛ وأن بعض تلك التقليباتِ والوجوه مهملٌ وبعضه مستعمل ، وأن المرادبا لاهمال والاستعمال ما أُثِر عن العرب استعمالهم اياه وما لم يُؤْثر . فكان ذلك هو الحجر الأساس لوضع ضوابط اللغة وحمايتها من الفوضى والعبث والتخريب .

وجاء اللغويون بعد الخليل فتلقوا ما قاله ورتَّبه ووضع قواعدَه وأُصوله بالقبول التام والتسليم المطلق ، ولكنهم رأوا أن بعض ما افترضه الخليل مهملاً

قد ثبت استعمالُه ؛ فأضافوه الى المستعمل واستدركوا ذلك عليه ، فاتَّسعتْ دائرة الاستعمال وزاد عددُ تراكيبه . وكان منشأ تلك الاضافة والاستدراك ما سُمِع من أفواه عرب البادية وما أُثِرَ من مثَلٍ سائر او بيت شعرٍ لأحد الشعراء الذين يصح الاستشهاد بشعرهم ؛ ممّا فات الخليلَ سماعُه فظنَّه مهملاً . وأسفرتْ حصيلةُ ذلك عمّا نراه ماثلا من زيادةٍ ضَمَّتها المعجمات المتأخرة عن العين في عدد التراكيب المستعملة ، كما أسفرتْ أيضاً عن الاتفاق على اهمال مجموعة من التراكيب لم يُؤْثر عن العرب استعمالُها مطلقاً .

ومَنَحَتْنا هذه الغربلة الكبرى وتلك الجهود العظيمة نتيجةً مسلَّمة لاخلاف فيها ولا جدال ؛ هي أن المستعمل من الألفاظ هو الذي يصح اخضاعه للاشتقاق والتفريع ، وان المهمل منها لايجوز استعماله بأي وجهٍ من الوجوه ، بل ان استعماله خطأ صرف وغلط محض .

وقد وقع بعض المتحدثين في اللغة من المعاصرين في وهمٍ كبير عندما دعا الى إثراء اللغة العربية وتوسيعها من طريق الارتجال ، ظاناً أن الارتجال الذي ذكره علماء اللغة والنحو هو استعمال التراكيب المهملة التي أجمعت المعجمات على إهمالها، ومتصوِّراً أن المنقول هو المستعمل والمرتجلَ هو المهمل ، وأن العرب ماداموا قد أجازوا لأنفسهم الارتجال ؛ فلماذا لا نجيز لأنفسنا اليوم أن نفعل مثل ذلك فنرتجل ما نشاء .

والحقيقة أن المنقول والمرتجل شيءٌ ؛ والمهمل والمستعمل شيءٌ آخر .

قال ابن مالك في رجز الألفيَّة :

ومنه منقولٌ كفضلٍ وأسدْ ‏ ‏ وذو ارتجالٍ كسُعادَ وأُدَدْ

وقال ابن عقيل في شرح البيت :

« ينقسم العَلَمُ الى مرتجل والى منقول . فالمرتجل : هو مالم يسبق له

استعمالٌ قبل العَلَمِيَّة في غيرها كسُعَاد وأُدد . والمنقول : ما سبق له استعمالٌ في غير العلَميَّة . والنقل إمّا من صفة كحارِث ؛ او من مصدرٍ كفَضْل ؛ أو من اسم جنسٍ كأسَد » (١) .

ويتضح من ذلك ان الارتجال انما يصح في دائرةٍ ضيقة جداً هي أسماء الأعلام خاصةً ، وان المراد به صوغُ اللفظ ذي الجذر المستعمل المأثورِ على بناءٍ لم تستعمله العربُ قبل العَلَميَّة ، كسُعَادَ من سَعِدَ يَسْعَدُ ؛ وأُدَد من أدَّ يَؤُدُّ .

ونعود الآن الى لُبِّ الموضوع بعد الفراغ من مسألة التراكيب المهملة وعدم جواز استعمالها على كلٍّ حال ؛ فنذكر أن المستعمل من تلك التراكيب لم يُترك هملاً ولم يُلْقَ حبلُه على غارب مستعمِليه وفيهم الجهلة باللغة وأنصاف المتعلِّمين ، بل كان له من قيود الضبط بالأوزان والصِّيَغ ما يُعَيِّن مواردَ الاستعمال بدقةٍ ويُرشِد الى الحروف الأصلية والزائدة في كل بناء ووزن . وقد دلَّتنا النتائج التي كشف عنها الاستقراءُ والاحصاء والتتبُّع على أنَّ من تلك الأبنية ما هوشاذٌ أونادر ، ومنها ما هو قليل ، ومنها ما هو كثير شائع وإن اختلفتْ هذه الكثرة في مراتبها ودرجاتها .

وكان لهذا الاستقراء والتتبُّع للشذوذ والندرة والقلَّة والكثرة ؛ دَوْرُه المهم والفعّال في وضع قواعد القياس وتعيين مجالات الرجوع اليه والحكم بصحته ، وربط كل ذلك بمقدار الاستعمال ومداه ؛ في ضوء ما بلغ خبرُه من شواهد الاستعمال في كلام العرب الأقدمين .

ولكننا اليوم وبعد هذه القرون المتمادية الحافلة بالدرس والمتابعة ، عندما نواجه مسألة القياس وضوابطه لغرض الاعتماد عليه والافادة منه في انطلاقتنا

(١) شرح ابن عقيل : ١٢٥/١ .

المعاصرة ، تصدمنا الخلافات العنيفة في هذا الموضوع ، فتقعد بنا عن المضيّ في طريق التطور اللغوي المنشـود ، إذ نجد أنّ بعض المعنيين قـد ضيّق دائرة القياس الى حدّ التزمّت الخانق ؛ بدعوى أن الكثرة لم تثبت الاّ في عددٍ محدود جداً من تلك الصيغ المأثورة ، وأن آخرين قد فتحوا الباب على مصراعيه الى حدّ التحلّل والانفلات ؛ بدعوى ان القياس هو أساس اللغة وقانونها العام .

والحقيقة أن هذين المنهجين كليهما غير سليمَيْن من الشّوائب ، وأن الافراط والتفريط في ذلك موقفان بعيدان عن الموضوعية ، وأن الصواب انما هو في الالتزام بالمنهج الوسط الرافض لكلاهذين الطرفين او التطرُّفيْن .

ومن المستحسن هنا أن أروي لكم بعض أقوال السلف في القياس ليزداد الأمر وضوحاً وجلاءً ؛ ونكون على علمٍ تامّ بنظرة اولئك العلماء الروّاد وموقفهم من هذه المسألة :

١ ـ قال سيبويه :

« اعلم أنه ليس كلُّ حرفٍ يظهر بعده الفعلُ يُحذَف فيه الفعلُ ، ولكنك تُضمِر بعده ما أضمَرَتْ فيه العربُ من الحروف والمواضع ؛ وتُظهِر ما أظهروا . وتُجْري هذه الأشياءَ .... على ما أجْرَوا .... فقف على هذه الأشياء حيث وقفوا . ثم قِسْ بعْدُ » (٢) .

وقال في موضع آخر من كتابه :

« فاستعمل من هذا ما استعملت العربُ ، وأجِزْ منه ما أجازوا » (٣) .

وقال في موضع آخر :

---

(٢) الكتاب ـ طبعة بولاق ـ : ١/١٣٤ .

(٣) الكتاب : ١/٢٠٦ .

« كان عيسى بن عمر يقول : يا مطراً ؛ يشبّهه بقوله يارجلاً .... ولم نسمع عربيا يقوله ، وله وجهٌ من القياس » (٤) .

وقال في موضع آخر : « فلا ينبغي لك أن تقيس على الشاذّ المُنكَر في القياس » (٥) .

وروى عن الخليل قوله : « كلُّ شيءٍ من ذلك عدلَتْه العربُ تركتَه على ما عدلَتْه عليه ، وما جاء تامّاً لم تُحدِث العربُ فيه شيئاً فهو على القياس » (٦) .

وقال في موضع آخر من كتابه :

« واذا جاء شيءٌ مثل بُرَةٍ لم تجمعه العربُ ثم قستَ ألحقتَ التاءَ والواوَ والنونَ ، لأن الأكثر مّما فيه هاء التأنيث من الأسماء التي على حرفين جُمِعَ بالتاء والواو والنون ، ولم يُكَسَّر على الأصل » (٧) .

وقال في موضع آخر : « فعليه تقيس على الأكثر » (٨) .

وقال أيضاً : « وقالوا الحِجَار ، فجاؤا به على الأكثر والأقيس »(٩) .

وقال أيضاً : « هذا الأقلُّ نوادِرُ تُحفَظ عن العرب ولا يُقاس عليها ، ولكنّ الأكثر يُقاس عليه » (١٠) .

وقال في موضع آخر : « وهذا من الشواذّ ، وليس مّما يُقاس عليه ويطّرِد » (١١) .

(٤) الكتاب : ٣١٣/١ .
(٥) الكتاب : ٣٩٨/١ .
(٦) الكتاب : ٦٩/٢ .
(٧) الكتاب : ١٠٠/٢ .
(٨) الكتاب : ١٠١/٢ .
(٩) الكتاب : ١٧٨/٢ .
(١٠) الكتاب : ٢١٥/٢ ـ ٢١٦ .
(١١) الكتاب : ٣٩٢/٢ .

٢ ـ قال ابن فارس :

« أجمع أهل اللغة ـ الاّ مَنْ شَذَّ منهم ـ أن لِلُغَةَ العرب قياساً ؛ وأن العرب تشتق بعضَ الكلام من بعض » .

« وليس لنا اليوم أن نَخترعَ ولا أن نقول غير ما قالوه ولا أن نقيس قياساً لم يقيسوه ، لأن في ذلك فساد اللغة وبطلان حقائقها » (١٢) .

٣ ـ قال ابن جنّي :

« اعلم أنَّ من قوة القياس عندهم اعتقادَ النحويين أنَّ ما قِيس على كلام العرب فهو عندهم من كلام العرب ، نحو قولك في قوله : كيف تبني من ضَرَب مِثلَ جعفرٍ : ضَرْبَب ؛ هذا من كلام العرب ، ولو بنيتَ مثلَه ضَيْرَب أو ضَوْرَب أو ضَرْوَب او نحوَ ذلك لم يُعْتَقَدْ من كلام العرب ، لأنه قياس على الأقل استعمالا والأضْعَف قياساً » (١٣) .

وقال في موضع آخر من كتابه :

« اعلمْ انك اذا أدّاك القياسُ الى شيءٍ مّا ثم سمعتَ العربَ قد نطقتْ فيه بشيءٍ آخر على قياسٍ غيره ؛ فَدَعْ ما كنت عليه الى ما هم عليه . فإنْ سمعتَ من آخر مثلَ ما أجزْتَه فأنت فيه مُخَيَّرٌ تستعمِل أيَّهما شئتَ . فإنْ صحَّ عندك أن العرب لم تنطق بقياسك أنتَ كنتَ على ما أجمعوا عليه»(١٤).

وقال أيضاً :

« ألا ترى أنك لم تسمع أنتَ ولا غيرك اسمَ كلِّ فاعلٍ ولا مفعول ،

(١٢) الصاحبي : ٣٣ ـ طبعة السلفية ـ .
(١٣) الخصائص : ١/١١٤ .
(١٤) الخصائص : ١/١٢٥ ـ ١٢٦ .

وانما سمعتَ البعضَ فقستَ عليه غيره ، فاذا سمعتَ قام زيدٌ أجزْتَ ظَرُف بِشْرٌ وكرُمَ خالدٌ » (١٥) .

وروى عن المازني قوله : « ما قيس على كلام العرب فهـو من كلام العرب » (١٦)

وقال ابن جني أيضاً : « ان الشاعر اذا اضْطُرَّ جاز له أن ينطق بما يُبيحه القياسُ وإنْ لم يَرِدْ به سماع » (١٧) .

وقال في الباب الذي سَمّاه « اللغة المأخوذة قياساً » :

« ألا ترى أنهم يقولون في وصايا الجمع : إن ما كان من الكلام على فَعْلٍ فتكسيره على أفْعُلٍ ككلْبٍ وأكْلُب وكعْبٍ وأكْعُب وفَرْخٍ وأفْرُخ . وماكان على غير ذلك من أبنية الثلاثي فتكسيره في القلّة على أفْعَال نحو جَبَلٍ وأجْبَال وعُنُقٍ وأعناق وإبِلٍ وآبال وعجُزٍ وأعجاز ورُبَعٍ وأرباع وضِلَعٍ وأضلاع وكَبِدٍ وأكباد وقُفْلٍ وأقفال وحِمْلٍ وأحمال . فليت شعري هل قالوا هذا ليُعْرَف وحده او ليُعْرَف هو ويُقاس عليه غيرُه ، ألا تراك لو لم تسمع تكسيرَ واحدٍ من هذه الأمثلة بل سمعتَه منفرداً أكنتَ تحتشم من تكسيره على ما كُسِّرَ عليه نظيرُه ؟ لا ؛ بل كنتَ تحمله عليه .... وذلك كأنْ تحتاج الى تكسير الرِّجْز الذي هو العذاب فكنتَ قائلاً لا محالة : أرْجاز ؛ قياساً على أحمال ، وإنْ لم تسمع ارجازاً في هذا المعنى .... ولا يحتاج أن يتوقّف الى أن يسمعه ، لأنه لوكان محتاجاً الى ذلك لَمَا كان لهذه الحدود والقوانين التي وضعها المتقدمون وتقبّلوها وعمل بها المتأخّرون معنىً يُفاد .... ولَمَا أقْنَعهم أن يقولوا : اذا كان الماضي كذا وجب أن يكون مضـارعُه كذا واسمُ فاعِله كذا واسم مفعوله كذا واسمُ مكانِه

---

(١٥) و (١٦) الخصائص : ١/٣٥٧ .

(١٧) الخصائص : ١/٣٦٦ .

كذا واسمُ زمانِه كذا ، ولاقالوا : اذا كان المُكبَّر كذا فتصغيره كذا ، واذا كان الواحدُ كذا فتكسيره كذا ، دون أنْ يستوفوا كلَّ شيء من ذلك فيوردوه لفظاً منصوصاً معيَّناً لا مقيساً ولا مستنبطاً ... لكنَّ القوم بحكمتهم وزنوا كلام العرب فوجدوه على ضربَيْن : أحدهما مالابدَّ من تقبُّله كهيئته لا بوصيَّةٍ فيه ولا تنبيهٍ عليه نحو حجَرٍ ودار .... ومنه ما وجدوه يُتَدارَك بالقياس وتَخفُّ الكلفةُ في علمه على الناس فقنَّنوه وفصَّلوه » .

« فلمّا رأى القومُ كثيراً من اللغة مقيساً منقاداً وَسَموه بمواسمه وغنُوا بذلك عن الإطالة والإسهاب فيما ينوب عنه الاختصار والايجاز . ثم لمّا تجاوزوا ذلك الى مالابدَّ من ايراده ونصِّ ألفاظه التزموا والزموا كُلفته إذْ لم يجدوا منها بُدّاً ولا عنها مُنصَرَفاً . ومعاذ الله أنْ ندَّعي أن جميع اللغة تُستَدرَك بالأدلَّة قياساً ، لكنْ ما أمْكن ذلك فيه قلنا به ونبَّهنا عليه »(١٨).

والخلاصة المستفادة من مجموع هذه النصوص ان القياس دعامة رئيسة لهذا الكيان اللغوي الضخم . وان ما استعمله العرب وكان غير شاذٍّ او نادر في كلامهم جاز القياس عليه . وأننا لسنا بحاجةٍ الى تقديم جداول إحصائية تنظِّم (النسبة المئوية) لكل بناءٍ ووزن لنحدِّد في ضوء تلك النسبة موقفنا من صحة القياس وبطلانه في كل واحدٍ منها . لأن الكثرة المرادة في كلامهم هي المقابلة للندرة والشذوذ كما هو صريح الفقرات ٤ و٩ و١٠ من أقوال سيبويه الواردة فيما تقدَّم نقله من كتابه .

★ ★ ★

وعندما تصبح مسألة القياس قانونا ثابتاً وأصلا مسلماً من أُصول اللغة ، يحين وقت ايراد السؤال الرئيسي المترتّب على ذلك فنقول :

---

(١٨) الخصائص : ٢/٤٠ — ٤٣ .

ما هي الأبنية والأوزان التي يجوز القياس عليها وما هي الاخرى التي لا يُسْمح بذلك فيها ؟

إنّ الجواب الشافي على هذا السؤال المهم هو الذي ينير معالمَ الطريق اللاحب الذي يجب أن يسير عليه العاملون في حقول التعريب والترجمة ووضع المصطلحات وتأليف المعجمات ، بما يمنحهم من قدرةٍ على الانتقاء الجيد والاختيار الصحيح للألفاظ ، وبما يمنح اللغة العربية نفسها من إثراء وتطوير ورفدٍ لدفق الحياة والنمو فيها ..

واذا كانت بعض الصيغ والأبنية لأسماء الفاعل والمفعول والمكان والزمان والمصادر والجموع مما اتُّفِق على قياسيَّة معظمها في القديم والحديث ، فان أكثر الأبنية المأثورة عن العــرب لم يُبتّ فيها بعْدُ ولم يُحْسم النزاعُ بشأنها حتى اليوم ، فظلَّت خاضعة للاجتهادات الفرديَّة والآراء الشخصية ؛ بل مثاراً للخلاف والجدل وربما يكون حادّاً وعنيفاً بين المعنيين .

وهنا نصل الى بيت القصيد وقلب المشكلة . اذ لابدَّ من حسم النزاع والوصول الى الرأي القاطع او الراجح في كل ذلك ، بعد الوقوف على تلك الاجتهادات المختلفة ونخاها بدقَّةٍ وتمحيص ، وليس من سبيلٍ الى تحقيق هذا الأمل الاّ قيام المجلس الموقَّر بأعضائه الأفاضل ولجانه المعنيَّة ؛ ببحث كل بناء من تلك الأبنية وصيغةٍ من تلك الصيغ ، تمهيداً لإصدار قرارٍ ثابت وصريح بشأن كل واحدٍ منها

ومن المستحسن — هنا — أن أضربَ بعض الأمثلة على ما أعنيه فأقول :

١ — تحديد الموقف من الفعل الثلاثي اللازم الذي نريد تعديته ، هل يجوز لنا أن نزيده لنجعله متعدياً ؟ ، وهل تكون هذه الزيادة بالهمزة في أوَّله أو بتضعيف عينه أو بكليهما ؟ ، وما هي الضوابط لذلك ؟ .

٢ – تحديد الموقف من الفعل الثلاثي عندما نريد التكثير به ، هل نصوغه على مثال فعَّلَ المضعَّف إن كان متعدياً وافْعَوْعلَ إن كان لازماً او على مثالٍ آخر ؟ ، وما هي الضوابط لذلك ؟ .

٣ – تحديد الموقف من اشتقاق الأفعال من أسماء الأعيان ، هل يجوز ذلك ؟ وما هي ضوابطه ؟ .

٤ – تحديد الموقف من صيغ الكثرة في اسم الفاعل : كفعّال ومِفْعَال وفِعِّيل وفَعُول ومِفْعَل وفَيْعِل وفُعَال وفُعّال وغيرها . ما هو القياسيُّ منها ؟ وما هي ضوابط ذلك ؟ .

٥ – تحديد الموقف من أسماء المكان وخصوصاً المكان الذي يكثر فيه الشيء ، هل ذلك قياسي ؟ وما هي ضوابطه ؟

٦ – تحديد الموقف من المصادر وما يُراد به الكثرة منها خاصة ، ما هو القياسي منها ؟ وما هي ضوابطه ؟

٧ – تحديد الموقف من الصيغة التي طرحها أحد الزملاء في هذا المجلس وهي صيغة فَعْلُون ، فقد تحمَّس لها مَنْ تحمس ورفضها مَنْ رفض ، ولم نسمع رأياً قاطعا في ذلك .

٨ – تحديد الموقف من الكلمات التي ارتأى بعضُ زملائنا أن تُرَكَّب من جزئين عربيّ وأعجميّ : كنويده وجَزَرين وجُبْنين ، هل يصح ذلك أو لا يصح ؟ .

٩ – وأخيراً ، تحديد الموقف من مسألةٍ مهمة وخطيرة من مسائل اللغة الأساسية ، لِمَا لها من علاقة وثيقة جداً بالمصطلحات عامةً وبما يتألَّف منها من أكثر من كلمة واحدة بالخصوص ، وأعني بها مسألةَ النَّحْت التي أعرض عنها المجمع إعراضاً تامّاً وطوى عنها كشحاً ، في حين أن

العرب القدامى قد أجازوا لأنفسهم ذلك واستعملوه – وإن يكن على نطاق ضيق – منذ أقدم العصور ؛ منحوتاً من كلمتين ومن جملة أيضاً .

ولا أُريد في هذه العجالة أن أغوص في أعماق هذا الموضوع او ادخل في تفاصيله ، ولكني أود أن اروي لكم نَصَّيْن أصيليَن فيه لتقفوا على حقيقة أمره :

قال الخليل بن أحمد :

« يُشْتَقُّ فِعْلٌ من جَمْعٍ بين كلمتين مثل حَيَّ على ... تقول منه : حَيْعَلَ يُحَيْعِلُ حَيْعَلَةً ؛ وقد أكثرتَ من الحَيْعَلة أي من قولك حَيَّ على . وهذا يُشبه قولهم : تَعَبْشَمَ الرَّجلُ وتَعَبْقَسَ ؛ ورَجُلٌ عَبْشَميٌّ [وعَبْقَسِيٌّ] اذا كان من عَبْدِ شَمْس أو من عَبْدِ قَيْس ، فأخذوا من كلمتين مُتَعاقِبَتَيْن كلمةً واشتقوا فِعْلاً ... اخذ العين والباء من عَبْد واخذ الشين والميم من شمس واسقط الدال والسين فبنى من الكلمتين كلمة ، فهذا من النَّحْت ، وهذا من الحُجَّة في قولهم : حَيْعل حَيْعَلَةً »(١٩)

وقال ابن فارس :

« اعلمْ أنَّ للرُّباعي والخُماسيِّ مذهباً في القياس يستنبِطه النظرُ الدقيق ، وذلك أن اكثر ماتراه منه منْحُوت . ومعنى النَّحْت أنْ تُؤخذ كلمتان وتُنحت منهما كلمةٌ تكون آخِذةً منهما جميعاً بحظّ . والأصل في ذلك ماذكره الخليل من قولهم : حَيْعَلَ الرَّجُلُ اذا قال حَيَّ على ، ومن الشيء الذي كأنَّه مُتَّفَق عليه قولهم عَبْشَميّ . . . فعلى هذا الأصل بَنَيْنا ماذكرناه من مقاييس الرباعي فنقول : إنَّ ذلك على ضَرْبيْن : أحدهما المنحوت الذي ذكرناه ، والضرب الآخر : الموضوع وضعاً لا مجال له في طرق القياس » (٢٠) .

---

(١٩) العين : ١/٦٠ – ٦١ .

(٢٠) مقاييس اللغة : ١/٣٢٩ .

والمستفاد من هذين النصّيْن أن النَّحت تركيب عربي أصيل لا تشوبه شائبة ولا يعتريه ريب ، وان بالإمكان الاعتماد عليه واللجوء اليه عندما تمسُّ الحاجة ويقتضي الموقف ذلك ، على أن تُوضَع له من الحدود والقيود ما يجعله بمنأى عن عبث العابثين وإساءة المسيئين من جهلة او متجاهلين .

وحسبنا أن نقف في المعجمات على الكلمات الآتية — وهي أمثلة لم تبلغ حدَّ الاستقصاء — ليتضح لنا براعة السلف وإجادتهم في الاستفادة من النَّحت :

لقد قالوا :

البَسْمَلَة . وهي منحوتة من بسم الله ، والفعل منها بسْمَلَ يُبَسْمِل .

الحمْدَلة . وهي منحوتة من الحمد لله، والفعل منها حمْدَلَ يُحَمْدِل .

السَّبْحَلَة . وهي منحوتة من سبحان الله ، والفعل منها سَبْحَلَ يُسَبْحِل.

الهَيْلَلَةُ أو التهليل . وهي منحوتة من لا إلَه الاّ الله ، والفعل منها هَلَّلَ وهَيْلَلَ .

الحَوْلَقَة أو الحَوْقلة . وهي منحوتة من لا حول ولا قوة الا بالله ، والفعل منها حَوْلَقَ وحَوْقَلَ .

الحَسْبَلَة . وهي منحوتة من حسبي الله ، والفعل منها حَسْبَلَ .

الحَيْعَلَة ، وهي منحوتة من حيَّ على الصلاة ، والفعل منها حيْعَلَ .

البرْقَلَة . وهي منحوتة من البرق الذي لا مطر معه ، والفعل منها بَرْقَلَ .

التَّكْبير . وهي منحوتة من الله أكبر ، والفعل منها كبَّرَ .

التَّعقير . وهي منحوتة من عقرك الله ، والفعل منها عقَّرَ .

التَّغويث ، وهي منحوتة من واغَوْثاه ، والفعل منها غَوَّث .

العَبْدَريُّ ، وهي منحوتة من عَبْدِ الدّار ؛ اسم قبيلة .

ويحضرني الآن من استعمالات المعاصرين : (البرمائيّ) و (الدّرْعَمِيّ) .



وفي الختام اكرِّر دعوة الزملاء الأفاضل كافةً – أفراداً ولجاناً – الى حشد الطاقات وبذل الجهود لدراسة هذه الموضوعات بشمول واستيعاب ؛ وعرض ذلك بعد الفراغ منه على المجلس الموقر ليبتَّ في كل موضوع منها بقرارٍ صريح مُلزِم يخضع له الجميع ، يوحِّدهم بعد اختلاف ، ويجمع آراءهم بعد تشتُّت ، ويوفِّر الكثير من الوقت والجهد لكل العاملين في هذا الميدان .

والله تعالى هو الموفِّق والمسدِّد والهادي الى سواء السبيل .



« صيغة فَعْلان والنسبة اليها »(*)

بتاريخ ٢٠ - ٦ - ١٩٨٨ م قدَّم أحد الزملاء مذكرة الى مجلس المجمع بشأن الكلمات التي يُزَاد في آخرها ألف ونون وياء نسبة ، كـ « رَقَبَاني » و« شَعراني » و « رَبّاني » و« رُوحاني » . وقد رأى الزميل الفاضل ان هذه الصيغة قياسيَّة ، ودعا المجلس الموقَّر الى إقرار ذلك ، مستدلاً عليه بما ورد على هذه الزِّنة في كتاب المقتضب للمبرّد وكتاب المخصَّص لابن سيدة ، وبقرار مجمع اللغة المصري في هذا الموضوع وإنْ لم نقف على نصِّه .

ولمّا كان الزميل الكريم قد خاطب بمذكرته مجلسَ المجمع ، رأيت من المفيد أن اعقِّب على ذلك وأن اخاطب بتعقيبي المجلسَ الموقَّر أيضاً ، لكي يتضح الأمر للزملاء الأفاضل على نحو أجلى وأشمل وأكثر تفصيلاً والله ولي التوفيق .

★ ★ ★

ان هذه الصيغة التي نُعْنى بأمرها في هذه المذكره تتضمن حروفاً أصلية واخرى زائدة ، والزائد فيها - كما أسلفنا - هو الألف والنون والياء المشدَّدة في آخرها . ومن المفروض - بل المسلّم القطعي - أن تكون هذه الحروف قد زِيدتْ لغرض معيَّن . إذ لازيادة في اللغة بلاغرض ، وقديماً قالوا في هذه الزيادات : « انَّ قوة اللفظ تؤذن بقوة المعنى »(١) .

ولذلك كان من اللازم أن نُعنى - أوّلاً - بالسؤال عن سبب زيادة هذه الحروف . وان نُعنى - ثانياً - بالجواب الشافي المحدَّد على هذا السؤال

(*) مذكرة مقدمة الى مجلس المجمع العلمي العراقي بتاريخ ٦/١٠/١٩٨٨م .

(١) شرح المفصل لابن يعيش : ٥٦/٦ .

في ضوء الموارد التي استعمل العرب فيها هذا البناء ، ثم نبحث في المرحلة الثالثة قياسيَّة الصيغة أو عدم قياسيَّتها .

وخلاصة مايستفاد من المصادر الأصيلة في بيان الغرض من ذلك ان الألف والنون قد زيدت في هذه الكلمات وما شاكلها للدلالة على المبالغة والتأكيد ، وان الياء التي تلي الألف والنون هي ياء النَّسَب . وقد نصَّ على ذلك عدد من اللغويين الذين عُني ابن منظور بنقل آرائهم وأقوالهم في معجمه ؛ كما توضحه المقتطفات الآتية :

أ ـ قال في لسان العرب (ركب) :

« وفي الحديث : أبْغِني ناقةً حَلْبانة ركبانة . أي تصلح للحَلب والركوب ، الألف والنون زائدتان للمبالغة ، ولتُعطيا معنى النَّسَب الى الحلب والركوب » .

ب ـ وقال في تركيب (ربب) :

« الربّاني : الذي يعبد الربَّ ، زيدت الألف والنون للمبالغة في النسب » .

ج ـ وقال في تركيب (روح) :

« وفي الحديث : الملائكة الرُّوحانيون ، يروى بضمِّ الراء وفتحها ، كأنه نُسِب الى الرُّوح أو الرَّوح وهو نسيم الريح . والألف والنون من زيادات النسب » .

د ـ وقال في تركيب (وحد) :

« الوَحْدَانيّ . . . منسوب الى الوَحدة والانفراد ، بزيادة الألف والنون للمبالغة » .

هـ – وقال في تركيب (برر) :

« وورد : مَنْ أصْلَحَ جوّانِيَّه أصلح اللهُ برّانِيَّه ، قالوا : البَرّانيّ العَلانية ، والالف والنون من زيادات النَّسَب » .

و– وقال في تركيب (بحر) :

« دَمٌ بَحْرانيّ : شديد الحمرة ؛ كأنه قد نُسِب الى البحر وهو اسم قعر الرَّحم . . . وزادوه في النسب ألفاً ونوناً للمبالغة » .

ز – وقال في تركيب (حرر) :

« الحَرّى – فَعْلى – من الحَرّ ، وهي تأنيث حَرّان ، وهما للمبالغة » .

ح – وقال في تركيب (شعر) :

« شَعْرَان : اسم جَبَلٍ بالموصل ، سُمّيَ بذلك لكثرة شجره » .

ط – وقال في تركيب (رحم) :

« الرَّحْمن . . . بُنيت الصفة على فَعْلان لأن معناه الكثرة » ، وهو « بناء من أبنية المبالغة » .

ي – وقال في تركيب (فلم) :

« الفَيْلَمانيّ : منسوب بزيادة الألف والنون للمبالغة » ، والفَيْلَم : الأمر العظيم .

ك – وقال في تركيب (كلم) :

« رجلٌ كِلِّمَانيّ : كثير الكلام ، فعُبِّر عنه بالكثرة » .

ل – وقال في تركيب (جوا) :

جَوّانيّ : « منسوب الى جَوِّ البيت وهو داخله ، وزيادة الألف والنون للتأكيد » .

وهكذا يتّضح بما يكفي ويقنع ان زيادة الألف والنون في هذه الموارد انما يراد بهـا الكثرة والمبالغة والتأكيد ؛ وان الياء التي تلي ذلك انمـا هي ياء النسبة الى هذا المزيد .

★ ★ ★

أمّا موضوع قياسيَّة هذه الصيغة — وهو الذي يهمنا كثيراً في عملنا المجمعي لارتباطه المباشر بشؤون التعريب والمصطلحات — فلم تتفق كلمة اللغويين عليه ، بل صرَّح بعضهم بشذوذه ، وذهب بعضهم الى القول بندرته . ونورد فيما يأتي تلك الأقوال لنكون على بيِّنةٍ تامة من الأمر :

١ — ان سيبويه — وهو أول من بحث هذا البناء — لم يشر الى قياسيته بنفي أو ايجاب ، وانما اكتفى بقوله :

« فمن ذلك قولهم في الطَّويل الجُمَّة : جُمّانيّ ؛ وفي الطويل اللحية : اللِّحْيَانيّ ؛ وفي الغليظ الرَّقَبَة : الرَّقَبَانيّ . فإنْ سَمَّيْتَ برَقَبَةٍ أو جُمَّةٍ أو لِحْيَةٍ قلتَ : رَقَبيّ ولِحْيِيّ وجُمِّيّ ولِحَوِيّ ، وذلك ان المعنى قد تحوّل . انما أردتَ حيثُ قلت جُمّانيّ : الطويل الجُمَّة ؛ وحيث قلتَ اللِّحْيَانيّ : الطويل اللِّحية ، فلما لم تعنِ ذلك أُجْرِيَ مجرى نظائره التي ليس فيها ذلك المعنى » (٢) .

٢ — وذكر المبرّد هذه الصيغة في جملة صيغ النسب ولكنَّه لم يشر الى القياس وعدمه ، قال :

(٢) كتاب سيبويه : ٢/٨٩ .

« باب ما يقع في النسب بزيادة لما فيه من المعنى الزائد على معنى النسب : وذلك قولك في الرجل تنسبه الى أنه طويل اللحية : لِحْيَانيّ ؛ وفي طويل الجُمَّة : جُمّانيّ ؛ وفي طويل الرَّقَبَة : رَقَبانيّ ؛ وفي كثير الشَّعر شَعرانيّ . فانما زِدْتَ لما أخبرتُكَ به من المعنى ، فإنْ نسبتَ رجلاً الى رقبةٍ أو شَعرٍ أو جُمَّةٍ قلتَ : جُمّيٌّ وشَعريٌّ ورَقَبِيٌّ ، لأنك تزيد فيه ما تزيد في النَّسَب الى زيدٍ وعمرو » (٣) .

٣ — أمّا ابن سيدة فقد تردَّد في الأمر ولم يجزم بموقف معيَّن منه ، فذكر أولاً ان هذه الصيغة ممّا شَذَّ من قوانين النسب ، ثم روى بعد ذلك اطراد هذا البناء في بعض الحالات ، قال :

« وليست قوانينُ النسب ممّا نعترضه في كتابنا هذا ، غير أني أذكر منه ما شَذَّ . . . فممّا شَذَّ . . . . قولهم في النسب . . . . الى العظيم الفخذ : فُخَاذيّ ، والى عظيم الرأس : رُؤاسي ، والى الجُمَّة : جُمّاني ، والى الرقبة : رَقَبَانيّ ، والى الأنف : أُنَافيّ ، والى اللحية : لحيانيّ ، والى العَضُد : عُضَاديّ وعضاديّ . . . . وقد حكى بعضُ اللغويين ان الاضافة الى عِظَمِ كلِّ عضوٍ على هذا مُطَّرِد ، أعني فُعَاليّاً . وقالوا في النسب الى البلغم : بَلْغَمانيّ »(٤) .

٤ — وأمّا ابن يعيش فقد ذهب بقطعٍ ويقين الى شذوذ هذا البناء وعدم جواز القياس عليه ، وفي ذلك يقول :

« وقالوا في الطويل الجمَّة وهو الشَّعر : جُمّانيّ ، وفي الطويل اللحية : لحيانيّ . . . . وقالوا في الغليظ الرقبة : رَقَبانيّ ، زادوا الألف والنون للمبالغة دلالةً على هذا المعنى ، وهو خارج عن قياس النسبة ، ولذلك لايستعمل

---

(٣) المقتضب : ٣/١٤٤ .
(٤) المخصص : ١٣/٢٤١ — ٢٤٢ .

إلاّ فيما استعملَتْه العرب ، ولو نسبتَ الى نفس الرقبة لم تقل فيه الاّ رَقَبِيّ . واعلم ان هذه الأسماء التي ذكرنا شذوذَها اذا نسبتَ اليها في غير هذا الموضع الذي شَذَّتْ فيه أجْرَيْتَها على القياس ولم تستعمل فيه الشذوذ » (٥) .

٥ ــ وأمّا الصَّغَاني فقد أعلن بضرس قاطع : أنه « من شَواذّ النسب »(٦) .

٦ ــ وتعددت روايات ابن منظور بهذا الشأن ، ولكنها لا تخرج عن دائرة « على غير قياسٍ » (٧) و « من نادر معدول النسب » (٨) .

★ ★ ★

واذا جاز لي أن أتطفل فأدلي بدلوي في هذه المسألة ؛ فاني ارجّح جوازَ استعمال هذه الصيغة عند الحاجة الماسَّة الى ذلك ، لعدم النصّ على شذوذها في كلام سيبويه والمبرّد ؛ وعقَدَ كلٌّ منهما باباً في كتابه لها . ولكن هذا الاذن في القياس لن يعني الخروج بأيّ حال من الأحوال عن المجال المحدّد الخاص بهذا البناء وهو (الكثرة والمبالغة والتأكيد) .

غير أن الذي يلفت النظر ويثير الانتباه في الأمر أن الياء المشدّدة الملحقة بمعظم الكلمات الواردة على هذه الزنة ــ وقد سمّاها الجميع « ياء النسبة » ــ لاتدل على نسبٍ حقيقي ؛ ولاتحمل أي معنى من معاني الانتساب ، لأن النسب كما ذكر اللغويون : « يكون بالآباء ، ويكون الى البلاد ، ويكون في الصناعة » (٩) ، وليس في كثيرٍ من ألفاظ هذا البناء ما ينطبق عليه هذا .

ولنأخذ الكلمات الآتية مثلاً على ذلك :

(٥) شرح المفصل : ٦/١٢ ــ ١٣ .
(٦) العباب : (شعر) .
(٧) لسان العرب: (رقب) و (نبج) و (نظر) .
(٨) لسان العرب : (رقب) و (دوح) و (جمم) .
(٩) لسان العرب : (نسب) .

الشَّعرانيّ : كثير شعر الرأس والجسدِ طويلُه .
الوَحدانيّ : منسوب الى الوَحدة والانفراد .
الرَّقَباني : الغليظ الرقبة .
المَخْبَراني : ذو مَخبرٍ ، والمَنْظَرانيّ : ذو منظرٍ حَسَن .
الجُسْماني والجُثْمانيّ : ضخم الجُثَّة .
السَّبَلانيّ : الطويل السَّبَلَة .
المُسْحُلانيّ : الطويل .
يومٌ جَوْلانيّ وجَيْلانيّ : كثير التراب والريح .
الدُّحْسُمَانيّ والدُّحْمُسَانيّ : العظيم مع سواد .
رَجُلٌ زُهْمَانيّ : اذا كان شبعان .

ان هذه الياءات كما يرى المتأمل فيها ليست نسبةً الى شيءٍ بالمعنى الحقيقي للنسبة . وانما هي مبالغة في الوصف وتأكيد له ، بل لم تزد في معناها العام على معنى « فَعْلان » الذي يستعمل « فيما يُبَالَغُ في وَصْفِه » (١٠) . ولذلك تكون تسميتها بياء النسبة والحاقها ببحث النسب محض مجازٍ رأى فيه اللغويون ما يسوِّغه من شَبَهٍ أو قربٍ فأطلقوه عليه .

وقد وقفت في تركيب (جون) في لسان العرب على نصٍ ربمَّا كان هو الحلّ الأمثل لهذا التردد في الياء ، قال :

« وفي حديث أنس : جئت الى النبي (ص) وعليه بُردة جَوْنيَّة ، منسوبة الى الجَون وهو من الألوان ، ويقع على الأسود والأبيض . وقيل : الياء للمبالغة ، كما يقال في الأحمر : أحْمَرِيّ » .

ويبدو لي أن قوله : « وقيل الياء للمبالغة » هو التفسير السليم للياء الملحقة بـ

(١٠) التهذيب للازهري : ٥/٥٠ .

« فَعْلان » أي انهـا مبالغة في تأكيد الوصف الذي بُولِـغَ به أولاً بالألف والنون ، ونظيرها في الاستعمال اللغوي قولهم : نَسّابة وعَلاّمة ، جمعوا فيها بين الصيغة الدالة على المبالغة وهي « فَعّال » والهاء الدالة على المبالغة أيضاً . وهذا هو بنفسه ما تستعمله العامة اليوم مريدةً به الوصف لا النسب ، في قولهم : طُولاني ، عَرضاني ، وَسطاني ، طَرفاني ، دَخلاني ، أبيضاني ، أحمراني ، وما أشبه ذلك . والعاميَّة مهما تغلغل فيها التحريف ودخلها التبديل والتغيير لم تنشأ من فراغ ولم تُوجَد بلا أصل ؛ وانما هي مستقاة في الأعم الأغلب من اللغة أو اللغات الفصحى في جذرها البعيد البعيد .

والله تعالى هو العالم ، وفوق كلِّ ذي علمٍ عليم .



مُعجم الأمراض في لسان العرب

الدكتور نوري حمّودي القيسي
كلية الاداب ـ جامعة بغداد

منذر ذيب داود العاني
كلية الشريعة ـ جامعة بغداد

من خلال متابعة المفردات الطبية التي تناثرت في المعجمات العربية تتوثق صورة المعرفة العلميـة التي تداخلت في حياة النـاس وعرفت في أوسـاطهم وأدركوا أسبابها ووقفوا على تأثيرها . وانصرفوا الى ايجاد الوسائل الكفيلة بالوقاية منهـا أو معالجتها بما يتوصلون اليه من عقـاقير ، وهذا يؤكد وجود المعرفة الطبية التي تتحسس الظاهرة من خلال المشاهدة وتعتمدها منهجاً وتتابع تأثيرها وهي تأخذ مراحلها وتتسع صورها وتضع الحلول الناجعة لهـا . . . هو ماالفته الحياة العربية واستمدت أصولها من تجربتها الموغلة في القدم وهي ـ شأنها شأن الامم الاخرى ـ تبحث عن المعرفة باعتبارها وسيلة من الوسائل الكفيلة بضمان الحياة والوقوف على أسبابها إسهاماً في البناء الحضاري الذي يعطي الحياة نمطها المناسب وصورتها المطلوبة . ومن الطبيعي ان يثير الطب اهتمام الانسان لما كانت تبعثه مخاوفه في نفسه من عقابيله التي تفتك به أو يقع فريسة لها أو يتعرض لها بشكل جماعي . . وان الألم الذي يصاحب بعض الامراض والاثار التي يتركهـا والمخاوف المفـزعة التي هزّت وجوده الانساني وحملته على ايجاد العوامل التي تذهب عنه المخاوف وتخفف عنه الالام وتمنحه القدرة على مزاولة اعماله التي اصبحت لازمة من لوازم من حياته .

لقد كان التوثق من المرض محاولة اساسية من محاولات الحفاظ على الصحة ومرحلة من مراحل الوقوف على الاسباب التي يتسرب منهـا المرض ليصبح ما بعدها نهبـاً لكل ما يفقـده المقاومة ويتركه طعمـاً لعللٍ تورثه السقام

والكسل . . . ومن الطبيعي ان تأخذ المفردات مساحتها في الاستعمال اللغوي وتصبح جزءً من المعجم العربي الذي اعتمد في تثبيت اصول اللغة فتناثرت في كل باب من أبوابه ودخلت في كل فصل من فصوله وهي تأثير عند الحديث أو الاستشهاد مما جعلها موزعة غير مجموعة .

بمثل المصطلح المعجمي البداية الأولية لكل محاولة تنهض بموضع المصطلحات ولأن الأسس المعتمدة التي سار بموجبها اللغويون القدامى قد استنبطوها من القواعد الاساسية التي ظلت قاعدة لكل اشتقاق وبداية لكل محاولة ولهذا اصبح استقرار مفردات المعجم العربي على وفق الموضوعات محاولة جادة على طريق العمل لان هذه المفردات توفر المادة التي انتهت اليها تجربة اللغويين القدامى فهي الخزين الاول وقد دعوت الى هذا العمل قبل ثماني سنوات في جلسة من جلسات المجمع العلمي لاعتقادي ان هذه المفردات التي زخر بها المعجم تعبر عن الخزين الثر والاستعمال الصحيح والقاعدة المستخدمة ولانها ظهرت في عصر مبكر واستخدمت في مجالات العلوم والحضارة والفن واتسعت قاعدتها حتى اصبحت قاعدة لكل محاولة وان اية تجربة في وضع المصطلح لاتعتمد هذا الخزين تظل ناقصة لانها تفقد مجموعة ربما اهتدت الى المعاني التي تبحث عنها أو تجتهد في ايجاد صيغ لاتوافق المطلوب ولاتحقق المراد فيضيع الجهد . ويتبدد الوقت .

إن التعريف بالمصطلحات المعجمية العربية والانصراف لاستخراجها وتصنيفها وتحديد التصريف اللغوي المعتمد في صياغتها والجانب الصوتي المعتمد يقدم مادة جديدة تشيع على السنة المتخصصين فتثري لغتهم وتغني معاجم اللغات الاخرى بما تقدمه من ناحية وتؤكد لاصحاب تلك المعاجم ان المعجم العربي كان سبّاقاً في الميدان وعملياً في ايجاد الصيغ التي كانت ـ تفرضها طبيعة الحياة منتفعين من الخصائص اللغوية التي تمتلكها العربية

وموحدين القواعد التي يجدون فيها صورة واحدة تيسّر للمعنيين الصياغة المعتمدة في كل حالة مشابهة تقع في هذا الاطار . .

فاصحاب المعاجم قدموا هذه المصطلحات التي يمكن تنسيقها على وفق الاغراض التي اصبحت الحاجة ملحة اليها فالزراعة والصناعة والطب والصيدلة والكيمياء والحضارة والحرب والعمارة والملابس والألوان والاصوات وغيرها ظلت تمارس في نطاق الحياة العربية وعرفت مصطلحاتها في كل وسط ولكنها لم تأخذ جانب الاختصاص الذي يعطي لكلٍ مصطلحاته وقد آن الاوان لجرد هذه المصطلحات ووضعها موضع العمل لتعاد لها صيغتها المشروعة وتأخذ حجمها في الاستعمال .

ومن خلال حجمها وتوحيدها وتنسيقها يمكن استخراج الصيغ الصرفية التي اعتمدتها ليتوفر عليها بعض الدارسين الذين يعيدون لها صورتها ويهتدون الى النظريات اللسانية التي كانت بداية لمثل هذه الاشتقاقات .

ان هذه المحاولة واحدة أخرى من المحاولات التي تهدف الى وضع المصطلحات بين أيدي المتخصصين لعلهم يجدون فيها صورة لما يبحثون عنه ونأمل ان نكون خدمنا تراثنا عن طريق توفير المصطلح لكل جانب من جوانب المعرفة .

١ ـ الامرض العامة

اللفظ	المرض
خذأ	ـ الخَذَأُ . ضَعْفُ النَّفَس
دوأ	ـ الداء : اسم جامع لكل مرض وعيب في الرجال ظاهر أو باطن . الداء : المرض .
أرب	ـ أَرِبَ الرَّجل . قُطِعِ إرْبُه . وأَرِبَ عضوُه اي سقط . وأَرِبَ الرجل : تساقطت أعضاؤه .

سهب – المُسْهَب : المتغير اللون من حب أو فزع او مرض .

شجب – الشَّجَب : العَنَتَ يصيب الانسان من مرض او قتال .

غلب – الغَلَب : غلظ العنق وعظمها ، وقيل غلظها مع قصر فيها ، وقيل مع ميل يكون من داء او غيره .

وصب – الوَصَب : الوجع والمرض ، والمُوَصَّب بالتشديد ، : الكثير الاوجاع ، الوَصَب : دوام الوجع ولزومه .
الأوْصاب : الاسْقَام ، الواحد : وَصَب .

سبت – المَسْبُوت : الميت والمَغْشي عليه ، وكذلك العليل اذا كان مُلقى كالنائم يُغَمِّض عينيه في اكثر احواله ، مَسْبُوت .

سكت – السَّكْتة ، بالفتح : داء .

علث – التعْلِيث : اختِلاط النَفْس ، وقيل : بدء الوجع .

غلث – المُغْلِثُ : المُقارب من الوجع ، ليس يُضجع صاحبه ، ولا يُعْرق .

حشرج – الحَشْرَجة : الغرغرة عند الموت وتردد النفس .

خلج – الخَلَجُ ، بالتحريك : ان يشتكي الرجل لحمه وعظامه من عمل يعمله او طول مشي وتعب ، وقيل : انما يكون الخَلَجُ من تَقَبُّض العَصب في العضد حتى يعالج بعد ذلك فيستطلق .

خمج – الخَمَج : بفتح الميم : الفتور من مرض او تعب .

فلج – الفالج : ريح يأخذ الانسان فيذهب بشقه . وقيل : يرخي بعض البدن .

هبج – التهْبِيج : شِبْه الورم في الجسد . ورجل مهبج : ثقيل النَّفْس وهبج وجه الرجل ، وهبج الرجل : انتفخ وتقبض .

ولج – الوالجِة : وجع يأخذ الانسان .

أنح – رجل أَنُوح : كثير التنحنح . وأنح أنْحاً وأنيحاً وأنوحاً : اذا تأذى وزخر من ثقل بجسده من مقرض أو بُهر .

برح – البُرْحاء : الشدة والمشقة ، وخص بعضهم به شدّة الحمى ، وبُرَحايا في هذا المعنى ، ويقال للمحموم الشديد الحمى : أصابته البُرحاء . وقيل : اذا تمدد المحموم للحمى ، فذلك المطوّى ، فاذا ثاب عليها ، فهي الرُّخصاء ، فاذا اشتدت الحمى فهي البُرَحاء . وفي الحديث : بَرْحت بي الحمى : اي أصابتني منها البُرَحاء .

سطح – السَّطيح : المنبسط البطيء القيام من الضعف . والسَّطِيح : الذي يولد ضعيفاً لايقدر على القيام والقعود ، فهو أبداً منبسط .

شقح – الشَّقِيح : النْاقِهُ من المرض .

خضد – الخَضد : وجع يصيب الانسان في اعضائه لايبلغ ان يكون كسراً وخَضَد البَدَن : تَكَسُّرُه وتوجعه مع كسل .

خمد – خمدت الحُمَّى : سكن فورانها ، وخَمِدَ المريض : أغمي عليه او مات .

بهر – البُهْر : انقطاع النَّفَس من الاعياء . والبُهْر بالضم ، تتابع النفس من الاعياء . ويقال : بُهر الرجل اذا عدا حتى غالبه البُهْر وهو الربو . فهو مبهور وبهير .

جشر – الجَشَر والجُشْرَة . خشونة في الصدر وغلظ في الصوت وسعال . وقيل بَحَح في الصوت . ورجل مَجْشُور : به سعال الجُشْرة : الزُّكام .

وجنب جاشر : منتفخ . وتَجَشَّر بطنه : انتفخ .

حرر – الحَرَّة : حرارة في الحلق . فان زادت فهي الحَرْوَة ، ثم الشَّحَشحَة ثم الجَأز ثم الشَّرَق ثم الفُؤُق ثم الحَرَض ثم العَسْق ، وهو خروج الروح .

حضر – حُضر المريض واحتُضر اذا نزل به الموت. ويقال للرجل يصيبه اللَّمم والجنون .

دغر – الدَّغْر : غَمْز الحلق من الوجع الذي يُدْعى العُذْرَة . ودعر الصبي يدغره دغراً ، وهو رَفْع ورم في الحلق . العُذْرَة : وجع يهيج في الحلق من الدم .

دور – الدُّوَار والدَّوَار : كالدَّوران يأخذ في الرأس .

صور – في راسه صَوَرٌ اذا وجد فيه أكالاً وهميماً ، وفي راسه صَوَرٌ اي ميل . وخص بعضهم به امالة العنق . الصَّوْرة : الحِكَّة من انتفاش الخَطَر في الراس . والصَّوْرة «ايضاً» شبه الحِكَّة يجدها الانسان في راسه حتى يشتهي أن يفلى .

ضرر – الضَّرير : المريض المهزول .

غبر – يقال : أصابه غبَر في عِرقه اي لايكاد يبرأ .
وغَبِر الجُرْح بالكسر ، يَغْبَر غَبَراً : اذا : اندمل علىفساد ثم انتقض بعد البُرء . والناسور بالعربية هو العرق الغَبِر .
والغَبَر ان يبرأ ظاهر الجرح وباطنه دَوٍ .

نغر – نغر الجُرْح نغوراً اذا وَرم.ونغرت العين وغيرها من الاعضاء تَنْغِر نغوراً : هاجت وورَمِتْ . ونغر جلده اي ورم .

نشز – عِرْق ناشز : مرتفع مُنْتَبِر ناشز لايزال يضرب من داء .

نهز – المصَدُور : الذي بصدره وجع (١) .

عقبس – العَقابيس : بقايا المرض .

نكس – النُّكْس والنُّكاس كله : العَوْد في المرض ، وقيل عَوْد المريض في مرضه بعد مثَالثه .
ونَكس المريض معناه قد عاَوَدَتْه العلة بعد النَّقه .

هلس – الهَلْس والهُلاس : شبه السُّلال . وقيل : شدة السُّلال من الهزال . ورجل مَهْلُوس ، وهَلَسه الداء يَهْلِسه هلساً : خامره. والمَهْلُوس من الرجال: الذي يأكل ولا يُرى اثر ذلك في جسمه . والهُلاس : السِّل ورجل مَهْلوس العقل اي مسلوبه .
ويقال : السُّلاس في العقل والهُلاس في البدن .

حشش – الحُشاش والحُشَاشة : بقية الروح في المريض .

رعش – الرُّعاش : رِعْشة تعتري الانسان من داء يُصيبه لايسكن عنه .

حرض – رجل حَرِض وحَرَض أي فاسد مريض في بنائه . وقيل : المُحْرَض الهائل مرضا الذي لاحيّ فُيُرْجى ولاميت فُيوأس منه .

رمض – الإرْماض . كلُّ ما أَوْجع . وارْتمضَت كبده : فَسدَتْ وارتَمض الرجل . فسد بطنه ومَعِدَتُه .

---

(١) اللفظ وجدناه في ـ نهز ـ فثبتناه هنا . ذكر ـ المرض ـ عند استشهاده ببيت من الشعر .

جفظ – المُجْفَنْظِ : الميت المنتفخ . والمجنفنئظ : الذي : أصبح على شفا الموت من مرض او شر أصابه .

ردع – الرَّدْع : النُّكْس . الرُّداع : النُّكْس .
الرُّداع .: الوجع في الجسد أجمع .

قشع – القُشاع : داء يُؤْيِسُ الانسان .

هقع – الهُقاع . غفلة تصيب الانسان من هم او مرض .

وجع – الوَجَع : اسم جامع لكل مرض مُؤْلم ، والجمع أَوْجاع .

نغغ – نُغْنِـغ ، أصابه داء في النَّغانغ وكل ورم فيه استرخاء نُغْنُغَة .

كسف – الكُسوف في الوجه : الصفرة والتغير .

رنق – الترْنيق : ضعف يكون في البصر وفي البدن .

شوك – الشَّوْكة : داء كالطاعون . والشَّوْكة : حمرة تَرْقى الجسد فترُقى ، وقد شيك الرجل أصابته هذه العلة . الشَّوْكة : حمرة تظهر في الوجه وغيره من الجسد فتُسكن بالرُّقى .

ثقل – الثِّقْلة : ماوجد في جسده ثقلة اي ثقلاً وفُتُوراً .
وثقل الرجل ثقلاً فهو ثقيل وثاقل : اشتد مرضه وثقل سمعه : ذهب بعضه ، فان لم يبق منه شيء قيل وُقر .

دخل – الدَّخَل : ماداخل الانسان من فساد في عقل أو جسم .

طلل – الطُّلاطِلةُ والطُّلاطِل هو الداء العضال . وقالوا : رماهالله بالطُّلاطِلة والحُمَّى المماطلِة ، وهو وجع في الظهر ، وقيل : رماه الله بالطُّلاطِلة : هو الداء العضال الذي لايُقدر

له على حيلة ولا دواء ولايعرف المعالج موضعه والحمى المماطلة : الرِّبْع تماطل صاحبها اي تطاوله ، وقيل الطلاطلة : سقوط اللهاة حتى لايُسيغ طعاماً ولا شراباً . الطُلطُل : المرض الدائم .

عبقل — العَباقيل : بقايا المرض . كالعقابيل .

عضل — داء عُضال : شديد مُعْيٍ غالب .

عقل — . . . مرض فلان فاعتُقل لسانه اذا لم يقدر على الكلام . العَقَل : اصْطكاك الركبتين ، وقيل التواء في الرِّجل وقيل : هو أن يُفرِط الرَّوَحُ في الرجلين حتى يَصْطكّ العرقوبان . وداء ذوعُقَّال : لايُبْرأ منه .

عقبل — العَقَابيل : بقايا العِلّة . وقيل هو الذي يخرج على الشفتين غبَّ الحُمّى . الواحدة منها جميعاً عُقْبولة وعُقْبول والجمع العَقَابيل . وقيل العُقْبُولة والعقْبُول : الحَلاء : وهي قروح صغار تخرج بالشفة من بقايا المرض .

علل — العِلّة : المرض .

أرم — الأُرام : دوار في الرأس .

دوم — الدُّوام : شبه الدُّوار في الرأس .

غيم — الغَيم : شُعبة من القُلاب .

نشم — النَّشَم : مثل النَّمش على القلب .

نوم — يقال : أخذه نُوام ، وهو مثل السُّبات يكون من داء به .

تنن – التِّن والتَّن ، الصبي الذي قصعه المرض فلايَشِب .

جعن – الجَعن ، وهو وجع الجسد وتكسُّره .

ضمن – الضَّمَن والضَّمان والضُّمْنُه والضَّمانة : الداء في الجسد ، من بلاء او كبر .

نقه – الناقه اذا صحَّ وهو في عقب علته .

حما – الحَمِيُّ : المريض الممنوع من الطعام والشراب .

رذي – الرَّذِي : الذي اثقله المرض . والسُّلال : داء باطن ملازم للجسد لايزال يَسُلُه ويذيبه (١) .

وني – التَّواني والونا ، ضعف البدن .

٢ – الامراض الباطنية والقلبية والصدرية

اللفظ **المرض**

قفأ – الفَقِيء : الذي يأخذه داء في البطن . الفقأ : خروج الصدر والفسأ ، دخول الصلب . أفْقَأَ صدره اذا انخسف صدره من علة .

ملأ – والمُلاء : الزكام يصيب من امتلاء المعدة وقيل : المُلأة : ثقل يأخذ الرأس كالزكام من امتلاء المعدة .

جاب – الجَيَّار (٢) ، حرقة في الجوف ، وقيل الجَيَّار : حرارة من غيظ تكون في الصدر .

جنب – المَجْنوب : الذي به ذات الجَنْب ، تقول منه : رجل مَجْنوب ، وهي قَرْحة تصيب الانسان داخل جنبه ، وهي

(١) اللفظ وجدناه في – رذي فثبتناه هنا .

(٢) اللفظ وجدناه في – جلب – فثبتناه هنا – ذكر هذا المرض عند استشهاده بقول .

– علة صَعْبة تأخذ في الجنب . وقيل : ذات الجنب هي الدُّبَيْلة ، وهي علة تثقب البطن وربما كنَوْا عنها ، فقالوا : ذات الجنب . الدُّبيلة والدُّمل الكبيرة التي تظهر في باطن الجنب وتنفجر الى داخل ، وقلما يَسْلم صاحبها .

الجُناب ، ذات الجنب في اي الشقين كان – وزعم انه اذا كان في الشق الايسر أذْهب صاحبه .

درب – الدَّرَب داء في المعدة . وقيل : الذَّرَب داء في المعدة .

عبب – العَبُّ شرب الماء من غير مص ، وقيل ان يشرب الماء ولا يتَنَفَّس وهو يورث الكُباد ، والكُباد : داء يعرض للكبد ، ومنه الحديث الكُباد من العبّ .

عرب – التَّعْريب : تَمْريض العرب ، وهو الذَّرِب المعدة .

وعَرِبت معدته بالكسر ، عَرَباً : فَسَدت ، وقيل مما يَحْمِل عليها .

قحب – القَحْب : سعال الشيخ . القُحاب : فساد الجوف .

قلب – القُلاب : داء يأخذ في القلب .

نحب – النَّحْب : السعال .

نقب – الناقبِة : قُرْحة تخرج بالجنب ،. وقبل النُّقب قُرْحة في الجنب وتهجم على الجوف ، ورأسها من داخل . الناقبة : داء يأخذ الانسان ، من طول الضجْعة .

حبج – حبج الرجل حباحا وَرِم بطنه وارْتُطم عليه ، وقيل الحبج الانتفاخ حيثما كان من ماء او غيره .

سجح – السَّجَحُ : داء في البطن قاشر .

ذبح – الذَّبَحَة ، بفتح الباء : داء يأخذ في الحلق وربما قتل يقال أخذته الذُّبحة والذَّبحة . وقيل الذَّبْحَة قُرْحة تخرج في حلق الانسان .

والذُّبحة : وجع يأخذ في الحلق من الدم . وقيل : هي قَرْحة تظهر فيه فينسد معها وينقطع النفس فتَقْتُل .

كشح – الكشح : داء يصيب الكَشْح .

نفخ – النفخة : انتفاخ البطن من طعام ونحوه . النْفخة والنُّفّاخ : الورم وقيل : النُّفّاخ نفخة الورم من داء يأخذ أخذاً . ورجل أنفخ بيّن النفخ : للذي في خُصْيَيه نفخ .

برد – الإبرِدة : بكسر الهمزة والراء : علة معروفة من غلبة البرد والرطوبة تُفْتر عن الجماع ، ورجل به إبْرِدَة ، وهو تقطير البول ولاينبسط الى النساء .

جسد – الجُساد : وجع يأخذ في البطن يسمى بيجيدق .

سود – السُّواد : وجع يأخذ الكبد من أكل التمر وربما قتل .

فأد – فَئِدَ فَأدا ـ شكا فؤاده وأصابه داء في فؤاده ، فهو مفؤُود . المفؤود : الذي أُصيب فؤاده بوجع .

معد – مُعِد الرجل : فهو ممعود : ذربت معدته فلم يستمرىء ما يأكله .

أسر – الأحمر (١) ، اذا احتبس الرجـل بوله قيل أخـذه الاسْر ، واذا احتبس الغائط فهو الحَصْر . والاسْر : تقطير البول وحزّ في المثانة واضاض مثل اضاض الماخض .

بجر – الباجِر : المُتنفخ الجوف . البَجْر والبَجَر : انتفاخ البطن – البُجْرَة : العقدة في البطن خاصة ، وقيل البجرة العقدة تكون في الوجه والعنق .
وقيل : العجرة نفخة في الظهر ، فاذا كانت في السرة فهي بُجْرَة .

بحر – البَحَر : داء يورث السل . وأبْحَرَ الرجل اذا أخذه السّلّ . ورجل بَحِير وبَحَر : مسلول ذاهب اللحم . والسحير : الذي انقطعت رئته . والاطبـاء يسمون التغير الذي يحدث للعليل دفعة في الامراض الحادة : بُحْراناً .

حنجر – المُحَنْجر : داء يصيب في البطن وقيل : المُحَنَجر : داء التَّشَيْدُق .

خرر – تخرخر بطنه اذا اضطرب مع العظم ، وقيل هو اضطرابه من الهزال .

خصر – مَخْصُور ، يشتكي خَصْرَه أو خاصرته . وفي الحديث : فأصابني خاصره ، أي وجع في خاصرتي . وقيل : وجع في الكليتين .

زحر – الزَّحير : تقطيع في البطن يُمَشّي دما . وقيل : الزَّحير : استطلاق البطن ، وكذلك الزُّحار ، بالضم .

(١) اللفظ وجدناه في ـ أسر ـ فثبتناه هنا ذكر المرض عند استشهاده ببيت من الشعر .

سحر – رجل سَحِر وسَحِير : انقطع سَحْرُه ، وهو رئته ، فاذا أصابه منه السِّل وذهب لحمه ، فهو سَحِير وسَحِرْ .

سرر – السَّرَر : داء يأخذ في السُّرَة .

صدر – المصْدور : الذي يشتكي صدره .

صفر – الصَّفر : داء في البطن يصفر منه الوجه والصَّفر والصُّفار : دود يكون في البطن وشراسيف الاضلاع فيصفر عنه الانسان جداً وربما قتله . والصُّفار : الماء الاصفر الذي يصيب البطن . ويقال : انه لقي صفرة للذي يعتريه الجنون اذا كانَ في ايام يزول فيها عقله . والصُّفار : صفرة تعلواللون والبشرة ، وصاحبه مَصْفُور .

ضرر – الضَّرير ، المريض المهزول .

نظر – الخنان : (١) داء يأخذ الناس . . . ، وقيل انه كالزكام .

يسر – الأُسْر : احتباس البول .

حزز – الَحزَّازة والَحزَّاز ، كله : وجع في القلب من خوف . وقيل : الحزَازة : وجع في القلب من غيظ ونحوه .

رزز – الرِّز : الوجع يجده الرَجل في بطنه .

كزز – الكُزَاز : داء يأخذ من شدة البرد وتعتري منه رعدة وهو مكزوز ، وهو تشنج يصيب الانسان من البرد الشديد او خروج دم كثير . الكُزاز : داء يتولد من شدة البرد .

---

(١) اللفظ وجدناه في ـ نظر ـ فثبتناه هنا ـ ذكر هذا المرض عند استشهاده ببيت من الشعر .

نحز – النَّحْز : السعال عامة .

أيس – الاباس : السِّل .

كمس – الكَيْمُوس في عبارة الاطباء : هو الطعام اذا انْهضَمَ في المعدة قبل ان ينصرف عنها ويصير دماً ويسمونه ايضاً الكيْلُوس .

مغس – المغْس ، لغة في المغْص ، وهو وجع وتقطيع يأخذ في البطن .

يوس – الْيَاس : السِّل . داء الْيَاس يعني إلْيَاس بن مُضر كان أصابه السل فكانت العرب تسمي السل داء الياس .

طشش – الطُّشّة : داء يصيب الناس كالزكام . الطُّشَاش : داء من الادْواء يقال له طشّ فهو مَطشُوش كانه زُكم .

عطش – العُطاش : داء يصيب الصبي فلا يَروى ، وقيل : يصيب الانسان بشرب الماء فلا يَروَى .

تعص – التَّعَص : شبيه بالمعص .

شوص – الشَّوْص : وجع البطن من ريح تنعقد تحت الاضلاع . الشَّوْصة والشُّوصة : والاول أعلى : ريح تنعفد في الضلوع يجد صاحبها كالوخز فيها . والشَّوْصة : ريح تأخذ الانسان في لحمه تجول ههنا مرة وههنا ومرة في الجنب ومرة في الظهر ، ومرة في الحواقن . تقول شاصتني شَوْصة ، والشوائص أسماؤها .

وقيل : هوورم في حجاب الاضلاع من داخل .

علص – العِلَّوْص : التخمة والبشم ، وقيل : هو الوجع الذي يقال له اللَّوَى الذي سس (١) في المعدة . وكذلك العلص .
والعِلَّوْص : وجع البطن مثل العِلَّوْز . وقيل : هو الوجع .
وقيل : بل يُراد به اللَّوَى الذي هو العلَّوص .

قبص – القَبْصُ والقَبَصُ : وجع يصيب الكبد عن أكل التمر على الريق وشرب الماء عليه . والقَبَص في الرأس : ارتفاع فيه وعِظَم .

قعص – القُعَاص : داء يأخذ في الصدر كأنه يكسِر العُنُق .

مصص – الماصّة داء يأخذ الصبي وهي شعرات تَنْبُت مُنْثَنية على سَناسِن القفا فلا ينْجَع فيه طعام ولا شراب حتى تُنْتَف من أصولها .

مغص – المَغْص والمَغَص : تقطيع في أسفل البطن والمِعَى وجع فيه ، وقد مُغص فهو ممغوص . وقيل المَغص غلظ في المعى .

أرض – الأرْض : الزكام . والأرْض : دوار يأخذ في الرأس عن اللبن فيُهرَاق له الانف والعينان .

شحط – التشحُّط : الاضطراب في الدم .

نفط – النفطان : شبيه بالسُّعال .

نوط – النوْطة : ورم في الصدر .

ثطع – الثَّطَع : الزكام ، وقيل هو مثل الزكام ، وقيل : هو مثل الزُّكام والسعال .

(١) وجدناه – سس – بدون نقط .

خفع – انخفعت رئته : انشقت من داء ، وقيل من داء يقال له : الخُفاع .

رمع – الرُّماع : داء في البطن يصفر منه الوجه .
الرَّمَّاع : الذي يشتكي صلبه من الرُّماع ، وهووجع يَعْرض في ظهر الساقي حتى يمنعه من السَّقْي .

قطع – القُطْع : وجع في البطن ومغس . والتقطِيع : مغس يجده الانسان في بطنه وأمعائه .

لوع – اللَّوْعة : وجع القلب من المرض .

جحف – الجُحاف : وجع في البطن يأخذ من أكل اللحم بحتاً كالجُحاف وقد جُحِف ، والرجل مجحوف . وقيل : الجُحاف مشْيُ البطن عن تُخمة . والقبض : عن أكل التمر .

حجف – الحُجاف : مايعــتري من كثرة الأكل أو من أكل شيء لايلائم فيأخذ البطن استِطلاقاً ، وقيل : هوان يقع عليه المشي والقيء من التخمة . والمنكوف (١) . الذي يتشكى نكفته ، وهما الغدتان اللتان في رَأْدي اللحيين ، وقيل : الحُجاف والجُحاف مغس في البطن شديد .

خضف – العرَب ، وجع المعدة (٢)

---

(١) اللفظ وجدناه في ـ جحف ـ فثبتناه هنا ، وذكر هذا ـ المرض ـ عند استشهاده ببيت من الشعر .

(٢) اللفظ وجدناه في ـ خضف فثبتناه هنـا . وجاء ذكره للمرض عنـد استشهاده ببيت من الشعر .

خلف – الخِلْفة : الهيضة .

سحف – السُّحاف : السِّلّ ، يقال رجل مسْحُوف .

شغف – الشُّغاف ، داء يأخذ تحت الشّراسيف من الشق الايمن ، . .
واذا وصل الداء الى الشّغاف فلازمه مرِض القلب ولم يصح .
وقيل : ان الشّغاف داء في القلب اذا اتصل بالطحال قتل صاحبه .

خفق – الخَفقان : اضطراب القلب وهي خِفّة تأخذ القلب ، تقول :
رجل مخفوق .

خنق – الخُناق والخُناقيّة : داء او ريح يأخذ الناس في الحلوق .

فتق – الفتْق : علة او نتوء في مراق البطن . وقيل : الفتق : يصيب
الانسان في مراق بطنه ينفتق الصفاق الى الداخل .

يرق – اليَرَقان : داء معروف يصيب الناس ، ورجل ميْروق .

ضأك – رجل مَضْؤوك ، مزْكوم .

ضنك – الضُّنْكة والضُّناك بالضم ، : الزُّكام .

بول – أخذَه بُوال ، بالضم ، اذا جعل البول يعتريه كثيراً .
البُوال ، داء يكثر منه البوْل .

حبل – الحُبال : انتفاخ البطن من الشراب والنبيذ والماء وغيره .

حثل – الحثْل . سوء الرّضاع . ويقال أحْثلْت الصبي اذا اسأت
غذاءَه .

حقل – الحِقْل : داء يكون في البطن .

دحقل – الدّحْقلة : انتفاخ البطن .

سهل – إسْهال البطن : كالخِلْفة ، واسهال البطن : ان يُسْهِله دواء .

نزل – النَّزْلة : كالزكام .

تمم – الغاشية (١) : ورم يكون في البطن .

حمم – الحُمَّى والحُمَّة : علة يَسْتَحِرّ بها الجسم ، وحُمَّ الرجل أصابه ذلك .

رغم – الرُّغامي : زيادة الكبد مثل الرُّعامي ، بالغين والعين المهملة .

صدم – الصُّدام : ثقل يأخذ الانسان في رأسه ، وهو الخُشام .

نسم – النَّسمُ جمع نسمة ، وهو النَّفس والرَّبْو ، ولايزال صاحب هذه العلة يتنفَّس نفساً ضعيفاً .

هدم – الهُدام : الدُّوار يصيب الانسان في البحر ، وهُدِم الرجل : أصابه ذلك .

بطن – رجل مبْطون : يشتكي بطنه .
المبطون : العليل البطن .
البطْن : داء البطن .

حبن – الحبن : داء يأخذ البطن فيعظم منه ويرم . والحَبَن : ان يكون السِّقْي في شحم البطن فيعظم البطن لذلك .
وامرأة حَبْناء . والحِبْن : ما يعتري في الجسد فيقيح ويرم والحِبْن : الدُّمل .

---

(١) اللفظ وجدناه في – تمم فثبتناه هنا – وذكر المرض عند استشهاده ببيت من الشعر .

حقن – الحاقن : الذي له بول شديد ، والحاقب في الغائط .

رين – الرَّيْن : كالصَّدَأ يَغْشَى القلب .

جوا – الجَوَى ، مقصور : كل داء يأخذ في الباطن لايُستمرأ معه الطعام . وقيل هو داء يأخذ في الصدر .

حصي – الحَصَاة : داء يقع بالمثانة ، وهو ان يخثر البول فيشتد حتى يصير كالحصاة ، وقيل : الحَصْو : هو المغس في البطن .

حقا – الحَقْوة والحِقاء : وجع في البطن يصيب الرجل من أن يأكل اللحم بَحْتاً فيأخذه لذلك سُلاح .

وقيل : يورث نفحة في الحقوين .

شغا – الشغبة والاشْغاء : ان يقطر البول قليلاً قليلاً .

طنا – الطَّنى : ان يَعظُم الطحال عن الحمَّى . يقال منه : رجل طَنٍ ، وهو الذي يُحَم غِبّاً فيعظْم طحاله .

غشا – الغاشية : داء يأخذ في الجوف وكله من التغطية .

وقيل : هو داء او ورم يكون في البطن .

٣ – امراض الكسور والمفاصل

اللفظ **المرض**

عدأ – العِنْدَأوة : العَسَرُ والالتواء يكون في الرِّجل .

وثأ – الوَثْ والوثاءَة: هو توجع في العظم من غير كسر .
وقيل : هو الفك ، وقيل : الوَثْ : شبه الفسخ في المفصل .
ويكون في اللحم كالكسر في العظم . والوَثْ : كسر اللحم

لاكسر العظم . الوثيء : المكسور اليد وقيل : هو وصم يصيب اللحم ولا يبلغ العظم ، فيرم .

عتب — أَعْتَب العظم : أُعنِتَ بعد الجبر ، وهو التّعْتاب . العَتَب ، بالتحريك : النقص ، وهو اذا لم يُحسن جَبْره ، وبقي فيه ورم لازم او عرج . ويقال في العظم المجبور : أُعتِب فهو مُعْتَب .

نكب — النَّكَب : شبه ميل في المشي .

عنت — عَنِت العظمُ عَنَتاً ، فهو عَنِت : وَهَى وانكسر .

حفلج — الأفحج : هو الذي في رجله اعوجاج .

خفج — الخَفَج : عِوَج في الرِّجْل . وخفج فلان اذا اشتكى ساقيه من التعب .

عنج — العِناج : وجع الصُّلْب والمفاصل .

فجج — الفجج في القدمين : تباعد مابينها . وهو أقبح من الفحج . وقيل : الفجَج في الانسان تباعد الركبتين .
وقيل : الأفَـج والفَنْجَل معاً المتباعد الفخذين الشديد الفجج . ومثله الأفْجى . ورجل مُفْج الساقين : اذا تباعدت احداهما عن الأخرى .

فجح — الفجح : تباعد ما بين اوساط الساقين في الانسان . وقيل تباعد مابين الفخذين . وقيل : تباعد مابين الرجلين . والنعت أفجح والأنثى فجحاء . والأفْحج : الذي في رجيله اعوجاج . ورجل افْجح بَيِّن الفجح : وهو الذي تتدانى صُدُور قدميه وتتباعد عقباه وتتفجح ساقاه .

كسح – الكُساح : الزَّمانة في اليدين والرجلين واكثر ما يستعمل في الرجلين . والكَسَح : ثقل إحدى الرجلين اذا مشى جَرَّها جراً . وقيل الأكسَح الاعرج والمقعد أيضاً .
والكسح : داء يأخذ في الاوراك فتضعف له الرجل .

مذح – المَذَح : التواء في الفخذين اذا مشى انسحجت احداهما بالأُخرى .

زلخ – الزُّلَّخة : بتشديد اللام : وجع يَعْرِض في الظهر ، وقيل : هو داء يأخذ في الظهر والجنب ، ولا يتحرك الانسان من شدته .

حيد – كل ضلع شديدة الاعوجاج حَيْد ، وكذلك من العظم .

لهد – اللَّهْد : داء يصيب الناس في أرجلهم وافخاذهم وهو كالانفراج وقيل : اللَّهْد : الصدمة الشديدة في الصدر .

خزر – الخُزَرَة : داء يأخذ في مُسْتَدَق الظهر بفقرة القطن .

فقر – رجل مفقور وفقير : مكسور الفَقار . ورجل فقِر : يشتكي فَقاره .

نخر – نخِر العظم ، فهو نَخِر اذا بلي ورَمّ .

فرس – المفْروس : المكسور الظهر . والمفروس والمفزور والفريس الأحْدَب والفِرْسة الحدْبة ، بكسر الفاء وقيل الفِرْسة : قرْحة تكون في الحَدَب . وقيل : أصابته فَرْسة اذا زالت فقرة من فقار ظهره . وقيل : الفِرسَة : قرحة تكون في العنق فتفرسها اي تدقها . وقيل :
الفَرْسة : ريح تأخذ في العنق فتفرسها .

نقرس – النِّقْرس : داء معروف يأخذ في الرجل وقيل : يأخذ في المفاصل.

مشش — المَشَش: ورم يأخذ في مقدم عظم الوظيف او باطن الساق في إنسيِه .

قبض — التَّقَبُّضُ : التَّشَنج .

هضض — الهَضُّ والهضَض : كسر دون الهَدّ وفوق الرَّض ، وقيل هو الكَسْر عامة .

هيض — الهيض : الكسر بعد جُبور العظم وهو أشد مايكون من الكسر ، وكذلك النُّكْس في المرض بعد الاندمال .

أدط — الأدَط : المعوج الفك .

قسط — القَسَط : طول الرِّجْل وسعتها . و : الرِّجل القَسْطاء في ساقها اعوجاج حتى تنحى القدمان وينضم الساقان ، والقسط خلاف الحَنَق ، وقيل : في رجله قَسَط ، وهو ان تكون الرِّجل ملساء الاسفل كأنها مالج .

خلع — الخَلْع والخَلَع : زوال المفصل من اليد او الرِّجل من غير بَيْنوية . ويقال : خُلِع الشيخ اذا أصابه الخالع وهو التواء العرقوب .

فدع — الفَدَع : عوج ومَيْل في المفاصل كلها خِلقة او داء . كأن المفاصل قد زالت عن مواضعها لايُستطاع بسطها معه ، واكثر ما يكون في الرُّسْغ من اليد والقدم . و : الفَدَع : وهو المعوج الرسخ من اليد والرجل فيكون منقلب الكف او القدم الى إنْسيِها . والأفْدَع : الذي يمشي على ظهر قدمه . وقيل : هو الذي أرتفع اخمص رجله ارتفاعاً لو وطىء صاحبها على عصفور ما آذاه ، وفي رجله قسط وهو ان تكون الرجل

ملساء كأنها مالج . وقيل : الفَدَع : ان تصطك كعباه وتتباعد قدماه يميناً وشمالاً . الفدع ، بالتحريك : زيغ بين القدم وبين عظم الساق وكذلك في اليد . وهو ان تزول المفاصل عن اماكنها .

كنع – الكَنَع والكُناع : قِصر اليدين والرجلين من داء على هيئة القطع والتَّعقُّف . والاكنع والكنِع : الذي تشنجت يده ، والمُكَنَّعة : اليد الشَّلاَّء .

كوع – الكوع ، يُبْس في الرسغين واقبال إحدى اليدين على الأخرى .

هنع – الهَنَع : تطامن والتواء في العنق ، وقيل : الهنع تطامن العنق من وسطها . والهناع : داء يصيب الانسان في عنقه .

صدف – الصَّدف : عوج في اليدين . وقيل الصَّدَف : ميل في القدم ، وقيل : هو اقبال احدى الرُّكبتين على الأخرى .

كتف – الكُتاف : وجع في الكَتِف . الكَتَف : عيب يكون في الكَتِف والكتَف : انفراج في اعالي كتف الانسان وغيره مما يلي الكاهل . والكَتَف ، بالتحريك : نقصان في الكَتِف . وقيل : هو ظَلَع يأخذ من وجع الكَتِف .

صكك – الصَّكك : اضطراب الرُّكبتين والعرقوبين من الانسان وغيره . والنعت رجل أصَك . وقيل : في قدميه قَبَل ثم حَنَف ثم فَجَح وفي ركبتيه صَكَك وفي فخذيه فجىً .

فكك – الفَكّ في اليد : دون الكسر . الفكّ : انفساخ القدم . والفك : انفراج المنكب عن مفصله استرخاء وضعفا . والأفَكّ : الذي انفرج منكبه عن مفصله ضعفاً واسترخاء .

أجل – الإجْل : وجع في العنق . و : الإجْل والإدْل : وهو وجع العنق من تعادِي الوساد .

أدل – الإدْل ، وجع يأخذ في العنق .

بدل – البَدَل : وجع في اليدين والرجلين . وقيل : وجع المفاصل واليدين والرجلين ، بَدِلَ ، بالكسر ، يَبْدَل بَدْلاً فهو بَدِل اذا وَجِع يديه ورجليه .

حرجل – الحَرْجَلَة : العَرَج .

حول – رجل مُسْتَحال في طرفي ساقه أعوجاج .

خزل – الخُزْلة والخَزَل : الكسرة في الظهر ، والأخزل : الذي في وسط ظهره كَسْرَة وهو مخزول الظهر .

خمل – الخُمال : داء يأخذ في مفاصل الانسان وقوائم الخيل والشاء والابل تَظْلع منه . ويُداوى بقطع العِرْق ، ولايبرح حتى يُقطع منه عِرْق او يهلك – وقيل : هو العَرَج .

زيل – الزَّيَل . بالتحريك : تباعد مابين الفخذين كالفجح . ورجل أزْيل الفخذين : مُنْفرجهما مُتباعدهما .

شلل – الشَّلل : يُبْس اليد وذهابها . وقيل : هو فساد في اليد . الأشَلّ : المعوج المعصم المتعطل الكف .

فنجل – الفنْجَلة : تباعد مابين الساقين والقدمين . والفنجل من الرجال . الأفجح . ورجل فنجل : وهو المتباعد الفخذين الشديد الفحج .

قبل – القَبَل : فجح : وهو ان يتدانى صدْر القدمين ويتباعد عقباهما .

قزل – القزل ، بالتحريك : اسوأ العرَج وأشده . وقيل : الأَقْزَل : الاعرج الدقيق الساقين ، لايكون أقْزل حتى يجمع بين هاتين الصفتين . وقيل : القَزَل : دِقّة الساق وذهاب لحمها .

قفعل – الاقفِعْلال : تَشنُّج الاصابع والكف من برد او مرض .

كربل – الكرْبَلة : رخاوة في القدمين .

خيم – الإخامة : ان يُصيب الانسان او الدابة عَنَت في رِجْله ، فلا يستطيع ان يُمَكّن قدَمه من الارض ، فيُبقي عليها . يقال : انه ليخيم احدى رجليه .

درم – الدَّرم : استواء الكعب وعظم الحاجب ونحوه اذا لم يَنْتَبِر فهو ادْرَم . وقيل : الدَّرَم في الكعب ان يوازيه اللحم حتى لايكون له حجم . و : دَرِم الكعب والعرقوب والساق درماً وهو ادْرَم : استوى .

عثم – العَثْم : اساءَة الجَبْر حتى يبقى منه أوَد كهيئة المشمش . وعثم العظم المكسور اذا انجبر على غير استواء، وخص بعضهم في جبر اليد على غير استواء . وقيل : العَثْم في الكسر والجُرْح تدانى العظم حتى هَمّ ان يجْبر ولم يجبر كما ينبغي . وقد عثم الجرح : وهو ان يكنب ويجلب ولم يبرأ بعد .

عسم – العَسَم : يُبْس في المرفق والرُّسغ تعوج منه اليد والقدم . والعَسَم : انتشار رسخ اليد من الانسان .

كدم – الكَدْم : تَمَشْمُشُ العظم وتعرّقه .

الكُدام : ريح يأخذ الانسان في بعض جسده ، فيسخنون خرقة ثم يضعونها على المكان الذي يشتكي .

لبم — اللّبم : اختلاج الكتف .

لبن — اللّبَن : وجع العنق من الوسادة ، وقيل : وجع العنق حتى لايقدر أن يلتفت ، وقيل : اللّبِن : الذي اشتكى عنقه من وساد او غيره .

بزا — البزاء : انحناء الظهر عند العجز من أصل القطن ، وقيل : هو اشراف وسط الظهر على الاست . وقيل : هو خروج الصدر ودخول الظهر ، وقيل : هو ان يتأخر العجز ويخرج . . . هو أبزى والانثى بزواء للذي خرج صدره ودخل ظهره .

رثا — الرَّثية ، بالفتح : وجع للمفاصل واليدين والرجلين ، وقيل : وجع وظُلاع في القوائم ، وقيل : هو كل ما منعك من الانبعاث من وجع او كبر .

سوا — رجل سواء القدم اذا لم يكن لها أخمص .

فجا — الفجا : تباعد مابين الفخذين ، وقيل : تباعد مابين الركبتين وتباعد ما بين الساقين . . . فهو أَفْجى والأنثى فجواء . وقيل : الفجا والفجج واحد .

ويقال بفلان فجاً شديداً اذا كان في رجليه انفتاح .

قطا — القَطْي : داء يأخذ في العجز .

٤ ـ امراض النســاء والتوليــد

اللفظ	المرض
نسأ	ـ نُسِئت المرأة تُنْسأ نَسْأ : تأخّر حيضها عن وقته ، وبدأ حملها ، فهي نسْء ونسِيء .
رغث	ـ رُغِثت المرأة تُرْغث ، اذا شكت رغثاءَها .
فرث	ـ الفرْث : غثيان الحبلى .
نضج	ـ المُنْضِجَة : التي تأخرت ولادتها عن حين الولادة شهراً ، وهو أقوى للولد .
عقر	ـ العَقْر والعُقْر : العُقْم ، وهو استعقام الرحم ، وهو ان لاتحمل . . وهي عاقر . ولقد عقُرت ، بضم القاف: أشد أشد العُقُر . والعُقُر كل ماشربه الانسان فلم يولد له . العُقرة : خرزة تشدها المرأة على حقويها لئلا تحبل . ولنساء العرب خرزة يقال لها العُقرة يزعمن انها اذا علقت على حقو المرأة لم تحمل اذا وطئت . وقيل : العُقْرة : خرزة تعلّق على العاقر لتلد .
حس	ـ الحِسُّ : وجع يصيب المرأة بعد الولادة ، وقيل وجع الولادة عندما تحسُّها .
مصص	ـ المصوصة من النساء المهزولة من داء خامرها .
مخض	ـ المخاض : وجع الولادة وهو الطلْق .
طلق	ـ الطَّلق : طلق المخاض عند الولادة . والطلق وجع الولادة .
حدل	ـ الحُدال : حيض السمر ، وتُسميه الدَّوَدِم .
مصل	ـ الممصل من النساء : التي تلقي ولدها مضغة .

عقم — العَقم والعُقم ، بالفتح والضم : هرهة تقع في الرَّحم فلا تقبل الولد .

وحم — وحِمت المرأة توْحم وحماً اذا اشتهت شيئاً على حبلها وهي تحم . والاسم الوحام والوَحام ، وليس الوحام الا في شهوة الحبل خاصة . الوَحم : شدة شهوة الحبلى لشيء تأكله .

قرن — القرناء من النساء التي في فرجها مانع يمنع من سلوك الذكر فيه ، اما غدة غليظة او لحمة مرتفعة او عظم ، يقال لذلك كله القرن . القرْن ، بسكون الراء شيء يكون في فرج المرأة كالسن يمنع من الوطء ، ويقال له العفلة .

رأي — التَّرِية والتَّرْية ، الاخيرة نادرة : ما تراه المرأة من صفرة او بياض او دم قليل عند الحيض .

وقيل : هو ما تراه من بقية محيضها من صفرة او بياض . وقيل : في بقية حيض المرأة أقل من الصفرة والكدرة وأخضر ، تراها المرأة عند طهرها لتعلم انها قد طهرت من حيضها. قيل ولا تكون الترية الابعد الاغتسال، فاما ماكان في ايام الحيض فليس بترية وهو حيض . وقيل:الترية الشيء الخفي اليسير من الصفرة والكدرة تراها بعد الاغتسال من الحيض . وقيل : الماء الاصفر الذي يكون عند انقطاع الحيض. وقيل: هي البياض الذي تراه عند الطهر .

ذنى — الذَّناء ، المرأة لاينقطع حيضها ، والمرأة ذَنَّاء من ذلك .

٥ ـ الامراض الجلديـة والتناسلية والعقم

اللفظ **المرض**

زنـأ — الزّناء : الحاقن لبوله .

شكأ — الشُّكاء، بالقصر والمد: التفسُّر بين اللحم والاظفار، شبيه بالتشقق، مهموز مقصور . وفي أظفاره شَكأٌ اذا تشققت أظفاره .

كمـأ — كمِئت رِجْله : تشققت .

ثعلب — داء الثَّعْلب ، علة معروفة يتناثر منها الشعر .

جرب — الجَرَب ، معروف ، بثر يعلو أبدان الناس والابل .

جلب — الجُلْبة : القشرة التي تعلو الجرح عند البرء . قيل : قُرْحة مُجْلبة وجالية وقروح جوالب وجُلْب .

حسب — الأَحْسَب : الذي ابيضت جلدته من داء ، ففسدت شقرته ، فصار أحمر وابيض ، يكون ذلك في الناس والابل . وقيل : هو الابرص . وقيل : الأَحْسَب من الناس : الذي في رأسه شقرة .

خزب — الخَزَب : تهيج في الجلد ، كهيئة ورم من غير ألم .

ضب — الضَّب : داء يأخذ في الشفة ، فترم ، او تَجْسَأ ، او تسيل دماً ، ويقال تجسأ بمعنى تيبس وتصلب . وضبيت شفته تضب ضَبّاً وضبوباً : سال منها الدم ، وانحلب ريقها ، وقيل الضب دون السيلان الشديد . وضبت لثة نضب ضباً : انحلت ريقها .

غضب — الغُضاب: الجدري،وقيل هو داء آخر يَخرج وليس بالجدري.

قوب — القُوَباء : الذي يظهر في الجسدو يخرج عليه ، وهو داء معروف يتقشر ويتسع ، يعالج ويُداوى بالريق .

كعنب — كعانِب الرأس : عُجَز تكون فيه . . . ورجل كعْنب ، ذو كعانب في رأسه .

ندب — النَّدَبة : أثر الجُرْح اذا لم يرتفع عن الجلد .

نقب — النُّقَب والنَّقَب : القطع المتفرقة من الجرب ، الواحدة نُقْبة ، وقيل النُّقْب الجرَب عامة .

غثث — غَثِيثَة الجُرْح ، مدته ، وقيحه ، ولحمه الميت .

حبج — الحَوْبَجَة : ورم يصيب الانسان في يديه .

حجج — الحُجْج : الجِراح المَسْبُورَة : وقيل حَجَجتها خسنْها .

خرج — الخُراج : ورم يخرج بالبدن من ذاته ، والجمع أخْرِجَة .

شنج — الشَّنج : تقبض الجلد والاصابع وغيرهما . يد شنجة : ضيقة الكف . الأَشنَج : الذي احدى خصيتيه أصغر من الأخرى كالاشرج . والراء أعلى . والمشنج أشد تشنيجاً .

كسج — الكوسج : الذي لاشعر على عارضيه .

جلح — الجَلَحُ : ذهاب الشعر من مقدم الرأس ، وقيل : هو اذا زاد قليلاً عن النَّزَعة . والجلَح : فوق النَّزَع ، وهو انحسار الشعر عن جانبي الرأس ، وأوّله النزع ثم الجلح ثم الصلع . وقيل : اذا انحسر الشعر عن جانبي الجبهة فهو أنزع ، فاذا زاد قليلاً فهو أَجْلح ، فاذا بلغ النصف ونحوه ، فهو أجْلى . ثم هو أجلَه .

ذبح – الذَّبائح : شقوق في أصول أصابع الرِّجْل مما يلي الصدر ، واسم ذلك الداء الذُّباح ، وقيل الذُبّاح بالضم والتشديد .
الذُّباح : تَحَزُّز وتشقق بين اصابع الصبيان من التراب .

سرح – السُّرُح والسَّريح إِدْرار البول بعد احتباسه .

فلح – الفَلَحُ : شق في الشفة السفلى ، واسم ذلك الشق الفلحة . وقيل الفلح شق في الشفة في وسطها دون العلَم . وقيل : هو تشقق في الشفة وضخم واسترخاء كما يُصيب الزنج . وقيل : الفلح الشق في الشفة السفلى فاذا كان في العُليا فهو عَلَم .

قرح – القَرْحة : واحدة القَرْح والقُروح . والقَرْح : البثر اذا ترامى الى فساد . والقُرْح : الجدري .

قيح – القَيْح : المِدَّة الخالصة لايخالطهادم ، وقيل هو الصديد الذي كأنه الماء وفيه شُكلَة دم .

كدح – تَكدَّح الجلد : تخدش . وقيل : الكُدُوح آثار الخدوش وكل أثر من خدش او عض فهو كدح وقيل الكَدْح اكبر الخدش .

نبخ – النَّبْخ : ما نَفَط من اليد عن العمل فخرج عليه شبه قرح ممتلىء ماء ، فاذا تفقأ او يبس مَجَلت اليد فصليت على العمل ، وكذلك من الجدري ، وقيل هو الجدري .
وقيل : النَّبْخ الجدري وكل ما يتنفط ويمتلىء ماء .

ثرد – الثَّرَدُ ، بالتحريك : تشقق في الشفتين .

أدر – الأُدْرَة ، بالضم : نفخة في الخصية ، وقيل : الأَدَر والمأْدُور : الذي يَنْفتق صِفاقُهُ فيقع قُصبه ولا يَنْفتق

إلاّ من جانبه الايسر ، وقيل هو الذي يصيبه فتق في احدى الخصيتين ، ولا يقال امرأة ادْراء ، اما لانه لم يسمع واما يكون لاختلاف الخلقه .

بثر – البَثْر والبَثَر والبُثُور ، خُرَّاج صغار ، وخص بعضهم به الوجه واحدته بَثْرَة وبَثَرَة . وقيل : البُثُور مثل الجدري يقيح على الوجه وغيره من بدن الانسان .

بسر – الباسُور ، كالنّاسور : داء معروف ويجمع البواسير ، هي علة تحدث في المقعدة وفي داخل الانف أيضاً .

بظر – رجل أبْظَر : في شفته العليا طول مع نتوء في وسطها ، وهي الحِثْرقة مالم تطل ، فاذا طالت قليلاً فالرجل حينئذ أبظر .

ثور – الثَّوْر : ثَوران الحَصْبة . وثارت الحصبة بفلان . . . . . انتشرت .

جدر – الجُدَرَي بضم الجيم وفتح الدال وبفتحها لغتان : قروح في البدن تنفط عن الجلد ممتلئة ماء وتقيح .
والجَدَر والجُدَر : سِلع تكون في اليد خلقة وقد تكون من الضرب والجراحات ، واحدتها جَدَرَة وجُدَرَة وهي الأجْدار وقيـل : الجُدر اذا ارتفعت عن الجلد واذا لم ترتفع فهي ندب والجَدَر : ورم يأخذ في الحلق .

حمر – الحُمْرَة : داء يعتري الناس فيحمر موضعها ، وتغالب بالرُّقية . وقيل : الحُمْرَة من جنس الطواعين .

خنزر – الخنازير : علة معروفة ، وهي قروح صلبة تحدث في الرقبة .

غبر – الغَبَر : أن يبرأ ظاهر الجرح وباطنه دَوٍ . وقيل : الغَبَر فساد الجرح أنى كان .

غور – اسْتغارت الجرْحة والقَرْحة : تورَّمت .

فزر – الفِزْر : هنة كَنَبْخة تخرج في مَغْرِز الفخذ دوَين منتهى العانة كغدة من قرحة تخرج بالرجل او جراحه .

فطر – التَّفاطير والنفاطير ، بثر تخرج في وجه الغلام والجارية . واحدتها نُفْطور .

معر – المَعَر ، سقوط الشعر ، معرت الناصية معراً وهي مَعْراء : ذهب شعرها كله حتى لم يبق منه شيء – وتَمعَّر شعره : تساقط . وقيل : الزَّمِرُ والمعِر : القليل الشعر .

نبر – النبرة : الورم في الجسد ، وقد انتبر . وانتبر الجرح : ارتفع وورِم . وانبَترت يده اي نفطت .

نسر – النَّاسور ، الفاذ . النَّاسور ، بالسين والصاد عِرْق غَبَر ، وهو عرق في باطنه فساد فكلما برا اعلاه رجع غبراً فاسداً ، ويقال أصابه غبر في عرقه . وقيل الناسور : العرق الذي لاينقطع وقيل : الناسور بالسين والصاد : علة تحدث في مآقي العين فلا ينقطع ، وقد يحدث ايضاً حوالي المقعدة وفي اللثة .

دحس – الدَّاحس : قَرْحة تخرج باليد .

سلس – سَلِسَ بول الرجل اذا لم يتهيأ له ان يمسكه .

وقس – الوَقْس: الجرَب وقيل هو اول الجرَب،قبل انتشاره في البدن

كنفش – الكُنْفَش : ورم في أصل اللَّمْي ويسمى الحاز باز .

برص – البَرص : داء معروف وهو بياض في الجسد ، برص بَرَصاً والانثى بَرْصاء ، ورجل أبرص .

حصص – الحاصّة : الداء الذي يتناثر منه الشعر . والحاصة : هي العلة التي تحص الشعر وتذهبه .

نتض – نَتَض الجلدُ نُتُوضاً : خرج عليه داء كآثار القُوباء ثم تَقَشَّر طرائق .

هرض – الهَرَض : الحصف الذي يظهر على الجلد .

أرط – الأريط : العاقر من الرجال .

ثعط – ثعِطت شفته : ورمت وتشققت .

حطط – الحَطاطة : بثرة تخرج بالوجه صغيرة تُقيح ولا تُقَرْح ، والجمع حَطاط . وقيل الحطاط بالفتح : مثل البثر في باطن الجوف .

مشظ – المشظ : المشق وهو تشقق في أصول الفخذين .

بثع – بثعت لثة الرجل تبثع بُثوعاً اذا خرجت وارتفعت حتى كأن بها ورماً . وذلك عيب . البَثَع : ظهور الدم في الشفتين وغيرهما من الجسد . وهو البثغ بالغين في الجسد . قيل البثغ لغيره .

زلع – زلعت الكف والقدم تَزْلع زَلعاً وتَزَلعاً : تشققتا من ظاهر وباطن . وهو الزَّلع . وقيل : الزَّلع تشقق ظاهرهما فاما اذا كان في باطنها فهو الكلع . وهي الزَّلوع . الزَّلَعة : مِراحة فاسدة .

سلع — السَّلع : البرص ، والأسْلع : الابرص . السَّلْع : الشق يكون في الجلد . السَّلْعة ، بالفتح : الشجّة في الرأس ما كانت . ماكانت رجل أسْلَع : أحدب .

صقع — الصَّقَـع : القزع في الرأس ، وقيل : ذهاب الشعر .

صلع — الصَّلَـع : ذهاب الشعر من مقدم الرأس الى مؤخره ، وكذلك إن ذهب وسطه ، صَلِـع يَصْلع صلعاً ، وهو أصْلع بَيِّن الصلع ، وهو الذي انحسر شعر مُقدم رأسه . والصَّلَعة والصُّلْعة: موضع الصلع من الرأس ، وكذلك النَزعة والكَشَفَة والجلَـحَـة .

قرع — القَـرَع : قَـرَع الرأس وهو ان يصلَع فلا يبقى على رأسه شعر ، وقيل هو ذهاب الشعر من داء . والقَـرَعة : موضع القَـرَع من الرأس .

كلع — الكَلَـع : شُقاق ووسخ يكون بالقدمين .

وقع — الوَقِـع : الذي يشتكي رجله من الحجاره .

حصف — الحَـصَف : بثر صغار يقيح ولا يَعْظم وربما خرج من مراقّ البطن ايام الحر . وقيل : الحَـصَف : الجَرَب اليابس .

حفف — الأحِفّـة : مابقي حول الصَّلَعة من الشعر ، الواحد حفاف . يقال بقي من شعره حفاف . وذلك اذا صلع فبقيت طُـرة من شعره حول رأسه .

سأف — سَئِفت يده تَسْأف سَأَفاً ، فهي سَئِـفة وسأفَتْ سَأْفاً : تَشَقَّق ما حَوْل أظفاره وتشعَّت . وقيل : هو تشقق في أنفس الاظفار ، وسَئِفت شفته : تقشرت .

سعف – السَّعْفة والسَّعَفة : قروح في رأس الصبي ، وقيل : هي قروح تخرج بالرأس ولم يخص به رأس صبي ولا غيره . قيل : هو داء يخرج بالرأس ... ، وقد سُعِف فهو مَسْعوف . وقيل : السعفة يقال لها داء الثَّعْلب تورث القرع . والسَّعَف والسُّعاف : شقاق حول الظفر وتقشر وتشعُّث .

شأف – الشأْفة : قُرْحة تخرج في القدم ، وقيل أسفل القدم ، وقيل هو ورم يخرج في اليد والقدم من عود يدخل في البخصة او باطن الكف فيبقى في جوفها فيرم الموضع ويعظم . ويقال شئفت رجله شأفا مثل تَعِب تعباً : اذا خرجت بها الشأفة فيكوى ذلك الداء فيذهب . وقيل : شَئِفت يده شأفاً شعِث ما حول اظفارها وتشقق . وقيل : هو تشقق يكون في الاظفار . واستشأفت القرحة : خبثت وعظُمت وصار لها أصل . وقيل : شئفت أصابعه وسَئفت وسَعِفت بمعنى واحد ، وهو التشعث حول الاظفار والشقاق .

عرف – العَرْفة : قُرحة تخرج في بياض الكف . وقد عُرِف وهو مَعْروف : أصابته العَرْفة .

كلف – الكلف : شئ يعلو الوجه كالسِّمسم والكلف والكُلْفة : حُمرة كدرة تعلو الوجه . وقيل : لون بين السواد والحمرة . وقيل هو سواد يكون في الوجه . وقد كلف ويقال للبهق الكلف .

بهق – البَهَق : بياض دون البرص . وقيل: البهق: بياض يعتري الجسد بخلاف لونه ليس من البرص .

حمق – الحُماق والحَماق والحُمَيقاء: مثل الجدري الذي يصيب الأنسان يتفرق في الجسد . وقيل : هو شئ يخرج بالصبيان وقد حُمِق .

وقيل : الحُماق مثل السُّعال : كالجدري يصيب الانسان ، ويقال منه رجل محموق .

خوق – الخَوَقُ : الجَرَبُ .

شقق – الشُّقاق : تشقق الجلد وهو من الادواء كالسعال والزكام والسُّلاف . والشُّقاق تشقق الجلد من بَرْد او غيره في اليدين والوجه . وقيل : الشُّقاق في اليد والرجل من بدن الانسان والحيوان .

مرق – مَرَق شعره وتَمرَّق وامَّرق اذا انتثر وتساقط من مرض او غيره .

حكك – الحِكَّة ، بالكسر : الجَرَب .

حقل – حَوْقل الرجل : عجز عن امرأته عند العُرْس .
والحَوْقَل : الشيخ اذا فتر عن النكاح . وقيل : الحَوْقل : للذي لا يقدر على مجامعة النساء من الكِبَر والضعف .

دمل – الدُّمل : واحد دَماميل القروح . والدُّمَّلُ : الخُرَاج .

غلل – الغَلَل : داء في الإحليل مثل الرَّفق .

قيل – القِيلة ، بالكسر : الأُدْرة . وهو انتفاخ الخصية .

نمل – النَّمْلة : شيء في الجسد كالقَرح وجمعها نَمْل ، وقيل : النَّمْل والنَّملة : قروح في الجنب وغيره . وقيل النَّمْلة : بثر يخرج بجسد الانسان . قيل : النمل بثور صغار مع ورم يسير ثم يتقرح ويتّسع ويسميها الاطباء : الذباب .

هدل – التَّهدُّل : استرخاء جلدة الخصية .

ذمم — الذُّمِيم : شيء كالبثر الاسود أوالأحمر شُبُّه ببيض النمل يعلو الوجوه والانوف من حَرّ أو جرب . الواحدة ذميمة وقيل: الذّميم الذي يخرج على الانف من القشَف وقد ذَمَّ انفه وذَنَّ .

موم — المُوْم : الحمى مع البِرْسام ، وقيل : الموم البرسام . المُوْم : الجدري الكثير المتركب . وقيل : الموم أشد الجدري . وقيل : هو بثر أصغر من الجدري .

ورم — الوَرَم : أحَدُ الاورام النتوء والانتفاخ وقد وَرِم جلده .

حضن — الحُضان : ان تكون احدى الخصيتين اعظم من الأخرى ورجل حضون اذا كان كذلك . والحضون من الفروج : الذي أحد شفريه اعظم من الأخر .

شنن — التشَنُّن ، التشنج واليبس في جلد الانسان عند الهرم .

عنن — العِنِّين : الذي لايأتي النساء ولا يريدهن بيِّن العَنانة والعِينِّية .

فنن — الفنِين : ورم في الابط ووجع .

مثن — الممثون الذي يشتكي مثانته ، وهي العضو الذي يجتمع فيه البول داخل الجوف . يقال منه : رجل مثِن وممثون ، فاذا كان لايمسك بوله فهو أمثن ؛ وقيل المثن : وجع المثانة وهو أيضاً ان لايستمسك البول فيها والمثن ، الذي يحبس بوله . المثناء ، بالمد ، المرأة اذا اشتكت مثانتها .

أوه — الآهة : الحصبة ، الماهة : الجدري .

جله — الجَلَه : أشد من الجلح ، وهو ذهاب الشعر من مُقدم الجبين . وقيل : النزع ثم الجلح ثم الجلا ثم الجَلَهُ . والانزع الذي

الذي انحسر الشعر عن جانبي جبهته ، فاذا زاد قليلا فهو اجلح ، فاذا بلغ النصف ونحوه فهو أجلى ، ثم هو أَجْله ُ .
وقيل : الجَلَه انحسار الشعر عن مُقدم الرأس وهو ابتداء الضلع مثل الجلح .

جلا – الجَلا ، بالقصر ، انحسار مقدم الشعر ، وقيل : هو دون الضلع ، وقيل هو أن يبلغ انحسار الشعر نصف الرأس ، وقد جَلي جلا وهو أجلى .
الأجْلى ، الخفيف شعر مابين النزعين من الصدغين والذي انحسر الشعر عن جبهته . المجالي : مقاديم الرأس ، وهي مواضع الصلع .

جمي – الجَمَا والجُمَا : نتوء وورم في البدن .

حلا – الحَلَى : بثر يخرج بأفواه الصبيان .

ضرا – الضَّرْو من الجذام : اللُطخ منه .

٦ – الامراض النفســـية والعقليـــة

اللفظ	**المرض**
جلعب	– المُجْلعِب ، المصروع إما ميتا وإما صَرَعاً شديداً .
لوث	– اللُّوثة : مس جنون .
سعر	– السُّعُر والسُّعْر ، الجنون ، قيل : السُّعَيْر تصغير السَّعْرَة ، وهي السعال الحاد .
سلس	– رجل مسلوس في عقله فاذا أصابه ذلك في بدنه فهو مَهْلُوس .
فردس	– الفَرْدَسة : الصَّرْع القبيح .

كبس — الكابوس : يقال هو مقدمة الصرع .

هوس — الهوس ، بالتحريك : طرف من الجنون .

طيش — الطَّيْش . خفة العقل ، وقيل : النَّزق والخفة . وطيش العقل ذهابه حتى يجهل صاحبه مايُحاول .

أرض — المَأْروض ، الذي به خَبَل من الجن من اهل الارض ، وهو الذي يحرك رأسه وجسده على غير عَمْد .

خبط — الخُباط ، بالضم : داء كالجنون وليس به .

خلط — اختَلط فلان أي فسد عقله ، الخِلاط : فخالطة الداء الجوف .

خلع — الخُلاع والخَيْلَع والخَوْلَع : كالخبل والجنون يصيب الانسان ، وقيل : هو فزع يبقى في الفؤاد يكاد يعتري منه الوَسْواس . وقيل الضعف والفزع المُخلَّع : الذي كأنَّ به هَبْته أو مَسّاً .

صرع — الصَّرْع : علة معروفة والصَّريع : المجنون .

خرف — الخَرَفُ . بالتحريك : فساد العقل من الكبر .

سخف — السخف . بالضم : رقة العقل ، وقيل : هي الخَّفة التي تعتري الانسان اذا جاع من السخف ، وهي الخفة في العقل .

نطف — النَّطف : علة يكوى منها الرجل ، ورجل نطف : به ذلك الداء .

أرق — الأرق : ذهاب النوم بالليل ، وقيل : ذهاب النوم لعلة .

ألق — الأَلق والالأق والأَوْلق : الجنون .

رهق — الرَّهَقُ : جهل في الانسان وخفة في عقله .

شقق – الشّقيقة : داء يأخذ في نصف الرأس والوجه .
وقيل : صُداع يأخذ في نصف الرأس والوجه .

خبل – الخَبْل ، بالتسكين : الفساد . وقيل : الخَبْل : فساد الاعضاء حتى لايدري كيف يمشي فهو مُتخبّل خَبِل مُختَبل . الخُبْلة : الفساد من جراحه .

تيم – التّيم : ذهاب العقل وفساده .

حنن – المَحنُون : الذي يُصْرع ثم يُفيق زماناً .

عنن – ويقال للمجنون : مَعْنون ومَهْرُوع ومخفوع ومعتوه وممتوه ومُمتَه اذا كان مجنوناً .

سبه – السَّبَة : ذهاب العقل من الهَرَم . السّباه : سكتة تأخذ الانسان يذهب منها عقله وهو مَسْبُوه .
قيل : السُّباه ، بضم السين : الذاهب العقل .

٧ – الامراض الخلقية

اللفظ **المرض**

فأفأ – الفأفأة : حُبْسة في اللسان وغَلَبَةُ الفاء على الكلام .

فقأ – الفَقَأُ : خروج الصدر .

حدب – الحَدَب التي في الظهر ، والحَدَب خروج الظهر ، ودخول البطن والصدر . رجل أحْدب وحَدِب . القَعَس : دخول الظهر وخروج الصدر .

خنب – خنب الرَّجل ، عرج .

عكب – العَكَب : تداني أصابع الرِّجْل بعضها الى بعض والعَكَب : غلظ في لَحْي الانسان وشفته .

غصب – الغَصبة : بخُصة تكون في الجفن الاعلى خِلقة

قضب – القُضب : الانف المُعْوَج . والقَعْنَبة : اعوجاج في الانف .

دلث – الدّثاثية : التواء في اللسان .

ديث – الدّيائة : التواء في اللسان .

لوث – الألوث : البطيء الكلام ، الكليل اللسان .

ثبج – رجل أثْبَج : أحدب والأثْبج أيضاً : الناتيء الصدر ، وفيه ثَبَج وثَبَجَة . ورجل مُثَبَّج : مضطرب الخلق مع طول .

عرج – العَرَج والعُرْجة : الظَّلَع والعُرْجة أيضاً : موضع العَرَج من الرّجْل.

فلج – الفَلَج ، الفَحَجُ في الساقين . والفَلَج : تباعد القدمين أخُراً. والأفلج أيضاً من الرجال : البعيد مابين الثديين. والفَلَجُ أيضاً : انقلاب القدم على الوَحْشي وزوال الكعب . وقيل : الأفْلَج الذي اعْوجاجه في يديه، فان كان في رجليه ، فهو أمْجَحَ .

لجج – اللَّجاجة : ثقل اللسان ونقص الكلام ، وأن لايخرج بعضه في في أثر بعض .

روح – الرَّوح : اتساع مابين الفخذين او سعَة في الرجلين ، وهو دون الفحج ، الا أن الأرْوح تتباعد صدور قدميه وتتدانى عقباه.

والرَّوَح : انقلاب القدم على وَحْشيها ، وقيل : هو انبساط في صدر القدم و : في رجله رَوَح ثم قَدَح ثم عَقَل وهو أشدها .

صفح – المُصَفَّح من الرؤوس الذي ضُغِط من قِبَل صُدغَيْه فطال مابين

جبهته وقفاه ، وقيل المصفح الذي اطمأن جنبا رأسه ونَتَأ جبينه فخرجت وظهرت قمحدْوَته والأرْأس مثل المصفح . وقيل في جبهته صفح اي عرض فاحش .

فطح — الفَطَح : عرض في وسط الرأس والارْنبة حتى تَلْتزق بالوجه الأفْطح .

مسح — رجل أمْسَح القدم والمرأة مَسْحاء اذا كانت قَدمه مستوية لا أخمص لها .

وأمرأة مَسْحاء الثَّدي اذا لم يكن لثديها حجم . ورجل ممسوح الوجه مَسِيح : ليس على أحد شِقَّي وجهه عين ولا حاجب . المَسيح : الاعور .

عدد — العُدُّ : بثر يكون في الوجه . وقيل : العُدُّ والعُدّة البثر يخرج على وجوه الملاح . ويقال بالرجل عِداد أي مس من جنون . وقيل : هو شبه الجنون يأخذ الانسان في اوقات معلومة .

عقد — في لسانه عُقْدة وعَقَد اي التواء . ورجل أَعْقد وعَقِد : في لسانه عُقْدَة أورَتَج .

صعر — الصَّعْر : ميل في الوجه ، وقيل الصَّعَر الميل في الخد خاصة . وربما كان خلقة في الانسان ... ، وقيل : هو ميل في العنق وانقلاب في الوجه الى أحد الشقين .

خيص — الأخيَص : الذي أحدى عينيه صغيرة والأخرى خذواء الانثى خيصاء

جلع — الجلَع : انقلاب غِطاء الشفة الى الشارب شفة جلْعاء وقيل : الجلَع أن لاتنضم الشفتان عند المنطق بالياء والميم

تَقلص العليا فيكون الكلام بالسفلى واطراف الثنايا العليا . ورجل أجْلَع : لاتنضم شفتاه على أسنانه . وقيل : هو المنقلب الشفة .

لطع – اللَّطَع : تَقَشُّر في الشفة وحمرة تعلوها ، واللَّطع أيضاً : رقة الشفة وقلة لحمها ، وهي شفة لَطْعاء . ولثة لطعاء : قليلة اللحم . وقيل : اللطع رقة في شفة الرجل الألْطع .

حنف – الحنف في القدمين : اقبال كل واحدة منها على الأخرى بابهامها ، وقيل : هو ميل كل واحدة من الإبهامين على صاحبتها حتى يرى شَخْص أصلها خارجاً ، وقيل : هو انقلاب القدم حتى يصير بطنها ظهرها ، وقيل : مَيْل في صدر القدم . وقيل : الأحنف : هو الذي يمشي على ظهر قدمه من شقتها الذي يلي خنصرها . والحَنَفُ : لاعوجاج في الرّجْل ، وهو الرّجْل وهو ان تُقْبل باحدى ابهامي رجليه على الأخرى . وقيل: الحَنَف ان تُقبل ابهام الرّجْل اليمنى على اختها اليسرى وان تقبل الأخرى اليها اقبالاً شديداً .

حدل – الأحْدَل : ذو الخصية الواحدة . وقيل : الأحدَل : الذي في منكبية ورقبته انكباب وإقبال على صدره وقيل : في عنقه حَدَل أو مَيَل وفي منكبيه دفأ وقيل : الحَدَل إشراف العاتقين على الأخر وهو أحْدَل : قيل : هو المائل العنق من خلفه او وجع لايملك ان يُقيمة .

قعل – القَعْولة في المشي : اقبال القدم كلها على الأخرى وقيل : هو تباعد مابين الكعبين واقبال كل واحدة من القدمين بجماعتها على الأخرى . وقيل القَعْولة : ان يمشي كأنه

يَغْرُف التراب بقدميه . وقعْولة اذا مشى مشية من يحني التراب باحدى قدميه على الأخرى لقَبل فيهما . والفَنْجلة مثل القعْولة .

بكم – البكم : الخرس مع عِيّ وبَلَهٍ ، وقيل هو الخرس ماكان . وقيل : البكم ان يولد الانسان لاينطق ولايسمع ولايبصر . وقيل : بيْن الاخرس والأبكم فرق في كلام العرب فالأخرس الذي خُلق و نُطق له كالبهيمة العجماء ، والابكم الذي للسانه نُطق وهو يعقِل الجواب ولا يُحِس وجه الكلام . والبكم وهو الذي خُلق أخرس .

خذم – أذن خذيمة : مقطوعة .

خرم – الأخرَم : المثقوب الأذن .

ضجم – الضّجم : عوج في الانف يميل الى أحد شقّيه ، وقيل الضجم : ان يميل الانف الى أحد جانبي الوجه والضَّجم أيضاً : اعوجاج أحد المنكبين ، والمتضاجم : المعُوج الفم . والضَّجم : عوج في الفم وميل في الشدق، وقد يكون عوجاً في الشفة والذمن والعنق الى أحد شقيه .

عدم – الأعْدَم : الأبرش ، والانثى عرْماء ، ويقال للابْرص : الاعْرَم والأيْقع . رجل اعْرَم أخلق : لم يختن فكأن وسخ القلفة باق هنالك .

خنن – الخنْخنة . أن لايبين الكلام فيخنخن في خياشمه .

تهته – التّهتهة : التواء في اللسان مثل اللكنَة .

٨ ـ امراض العيون

اللفظ	**المرض**

ظبظب ـ الضَّبْضاب : البثرة في جفن العين ، تدعى الجُدْجُدُ ، وقيل : هو بثر يخرج بالعين . وقيل : الضَبظاب : البثرة التي تخرج في وجوه الملاح . والاصل في الضَّبظاب بثر يخرج بين اشفار العين ، وهو القَمَح ، يداوى بالزعفران . وقيل مابه ضبظاب اي مابه عيب .

عسب ـ العسْقَبة : جمود العين في وقت البكاء .

غرب ـ الغَرْب : بثرة تكون في العين ، تُغِذّ ولا تَرفأ ، وغربت العين غرباً : ورم مأقها ، وبعينه غرب اذا كانت تسيل فلا تنقطع دموعها عين مُغْربة : زرقاء ، بيضاء الاشفار والمحاجر ، فاذا ابيضت وغضبت الحدقة ، فهو أشد الاغراب .

غضب ـ غضبت عينه وغضت : ورم ماحولها . وغضب بَصر فلان اذا انتفخ من داء يصيبه يقال له الغضاب و الغضِاب .

نقب ـ نقب العين هو الذي تسميه الاطباء القَدْح ، وهو معالجة الماء الاسود الذي يحدث في العين . والنُّقْب . القطع المتفرقة من الجرب ، الواحدة نُقْبة ، وقيل هي أول مايبدو من الجرب .

نكت ـ النُّكتة : شبه وقرة في العين .

وكت ـ الوَكتة : شبه النقطة في العين ، وقيل : الوكتة في العين نقطة حمراء في بياضها ، قيل : فان غُفل عنها صارت ودقة ، وقيل : هي نقطة بيضاء في سوادها وعين موْكوتة : فيها وَكتة ، اذا كان في سوادها نُقطة بياض . والوَكتة : كالنقطة في في الشيء يقال : في عينه وكتة .

لجح – اللَّجَح . من بثور العين شِبْه اللَّخص إلا أنه من تحت ومن فوق .

قدح – قدَحت العين اذا أخرجت منها الماء الفاسد وقدحت عينه غارت عينه وقدحت مُقَدَّحة .

لح – اللَّحح في العين : صُلاق يصيبها والتصاق ، وقيل : هو التزامها من وجع أو رمص . وقيل : هو لزوق اجفانها لكثرة الدموع . ولحت عينه كلخت : كثرة دموعها وغلظت أجفانها .

جمد – رجل جامد العين ، قليل الدمع . وظلت العين جمادى اي جامدة لاتدمع .

رمد – الرَّمد: وجع العين وانتفاخها ، وهو أرمَدَ ورمد والانثى رمداء وعين رمداء ورمدة .

سجد – الأسجاد ، فُتور الطرف ، وعين ساجدة اذا كانت فاترة .

جهر – العين الجَهْراء ، كالجاحظة ، ورجل أَجْهَر وامرأة جَهْراء . والأجْهَر من الرجال : الذي لا يبصر في الشمس . وقيل الأجهر بالنهار والاعشى بالليل . والجُهْرَة : الحَوَلَة ، والأجْهَر : الأَحْوَل .

حثر – الحثرة : انسلاق العين وتصغيرها حثيرة . وقيل : الحَثَر الحثر خشونة يجدها الرجل في عينه من الرمص . وقيل : هو ان يخرج فيها حب أحمر ، وهو بثر يخرج في الاجفان . وقد حثرت عينه تَحْثَر .

حدر – الحَدْرَة : العين الواسعة الجاحظة . والحَدْرَة : جِرْم قَرْحَة

تخرج بجفن العين ، وقيل بباطن العين فترم وتغلظ . والحَدَر : الورم .

حسر — بصر حسير : كليل .

خزر — الخَزَر ، بالتحريك : كسْرُ العين بصرها خِلقة . وقيل : هو ضيق العين وصغرها ، وقيل : هو النظر الذي كأنه في أحد الشقين . وقيل هو ان يفتح عينه ويغمضها ، وقيل : الخزر هو حَوَل إحدى العينين ، والأحْوَل : الذي حَوِلَتْ عيناه جميعاً . وقيل : الأخْزَر : الذي أقبلت حدقتاه الى أنفه . والاحول : الذي ارتفعت حدقتاه الى حاجبيه ، ويقال : هو ان يكون الانسان كأنه ينظر بمؤخرها . والخُزَّرة : انقلاب الحدقة نحو اللّحاظ ، وهو أقبح الحول .

خضر — الأَخْضَر : داء يأخذ العين .

سمدر — السَّمَادير : ضَعف البصر . وقد اسْمَدر بصره ، وقيل : هو الشيْ الذي يتراءى للانسان من ضعف بصره عند السكر من الشراب وغشي النعاس والدَّوَار .

شتر — الشَّتر : انقلاب في جفن العين قلما يكون خلقة . وقيل الشَّتر انقلاب جفن العين من أعلى واسفل وتَشَنّجه . وقيل : هو ان ينشق الجفن حتى ينفصل الحتَار ، وقيل : هو استرخاء الجفن الاسفل .

ظفر — الظُّفر والظَّفَرَة . بالتحريك : داء يكون في العين يَتَجللّها منه غاشية كالظفر . وقيل : هي لحمة تنبت عند المآقي حتى تبلغ السواد وربما أخذت فيه ، وقيل : الظَّفَرَة ، بالتحريك : جُليدة تُغَشّي العين تنبت تلقاء المآقي وربما قطعت ، وان تركت

غَشِيت بصر العين حتى تَكِلّ ، وقيل : جُليدة تغشي العين نابتة من الجانب الذي يلي الانف على بياض العين الى سوادها وهي التي يقال لها ظُفْر . وقيل : الظَّفَرة لحمة تنبت في الحَدَقة وقيل : الظَّفَر : لحم ينبت في بياض العين وربما جلل الحَدَقة .

عور – العَوَر : ذهاب حسّ إحدى العينين . . . . . وعَوِرَت عينه واعْوَرَّت اذا ذهب بصرها .. والعرب تقول للأحول العين اعور وللمرأة الحولاء عوراء . والعائر (١) : كالظعن او القذى في العين ، وقيل العائر : الرَّمد ، وقيل العائر : بثر يكون في جفن العين الاسفل ، وقيل الرَّقد : وقيل العائر : غمصه نَمَّض العين كأنما وقع فيها قذى ، وهو العوار .

طمس – طُموس البصر ذهاب نوره وضوئه . وقيل المَطْموس الاعمى الذي لايبين حَرْف جفن عينه فلا يرى شُفر عينه .

رمش – الرَّمَش : تَفَتُّل في الشَفر وحمرة في الجفن مع ماء يسيل ؛ رجل أَرْمَش وامرأة رَمْشاء ، وعين رَمْشاء ، وقد أَرْمش .

طرفش – انطَّغْمشَة والطَّرْفَشَة : ضعف البصر .

عمش – الأَعْمشَ : الفاسد العين الذي تَغْشِق عيناه ، ومثله الأَرْمص . والعَمشَ : أن لاتزال العين تسيل الدمع ولايكاد الأَعْمش يُبصر بها ، وقيل : العَمش ضعف رؤية العين مع سيلان دمعها في اكثر اوقاتها . ويقال عَمِش جسم المريض اذا ثاب اليه .

(١) اللفظ وجدناه في – عور – فثبتناه هنا ، وذلك عند استشهاده ببيت من الشعر .

غطمش – الغطمش : العين الكليلة النظر . ورجل غطمش : كليل البصر .

غمش – الغمش : سوء البصر .

متش – المَتَش : سوء البصر .

حوص – الحَوَص : ضيق في مؤخر العين حتى كأنها خيطت ، وقيل : هو ضيق مشقّها ، وقيل هو ضيق في احدى العينين دون الاخرى، وقيل الحَوْصاء من الاعين التي ضاق مشقها ، غائرة كانت او جاحظة ، وقيل : الحوص ضيق في العينين معاً ، وقيل : الحَوَص ، بفتح الحاء : الصغار العيون وهم الحُوص ، والخوَص بالخاء : ضيق في مُقَدَّمها . الأَحْيَص : الذي إحدى عينيه أصغر من الاخرى .

رمص – الرَّمص في العين : كالغَمَص وهو قذى تلفظ به ، وقيل الرَّمص ما سال . والغمص ما جمدَ ، وقيل الرَّمص : صغرها ولزوقها . رَمِص رَمصاً وهو أرمص ، وقد أرْمصَه الداء . وقيل : الرَّمصَ . بالتحريك : وسخ يجتمع في الموق . فان سال فهو غمص . وان جمد فهو رمص ، يقال غَمِصت العين ورمصت من الغَمَص والرَّمص : وهو البياض الذي تقطعه العين ويجتمع في زوايا الاجفان .

غمص – الغمص في العين : كالرَّمص . وقيل : الغَمص ما سال والرَّمص ما جَمَد . وقيل هو كل شيء ترمص به العين مثل الزَّبدَ . والقطعة منه غمَصَة . وقيل : الغمص الذي يكون مثل الزبد أبيض يكون في ناحية العين . والرَّمص الذي يكون في أصول الهدب .

حطط – الاجرب العين الذي تَبْثُر عينه ويلزمها الحُطاط ، وهو الظَّبْظاب والحُدْحُدُ .

جحظ – الجحوظ : خروج المقلة ونُتوؤها من الحِجَاج . ويقال : جاحظ العينين اذا كانت حدقتاه خارجتين والرجل جاحظٌ وَجحْظَم ، والميم زائدة .

رسع – الرَّسَع : فساد العين وتَغَيُّرها . والمُرَسَّع : الذي انسلقت عينه من السهر .

قمع – القمعة : قُرْحة تكون في العين ، وقيل : ورم يكون في موضع العين . والقَمع : فساد في موقع العين واحمرار . والقَمَع كَمَدُلون لحم الموق وورَمه . وقيل : القمع الارْمص : الذي لا تراه الا مُبْتَل العين . والقمع : بثر يخرج في أصول الاشفار . وقيل : والقمع بثرة تخرج في أصول الاشفار . والقَمَع : قلة نظر العين من العمش .

حثرف – الحَثْرفة : الخشونة والحُمْرة تكون في العين .

خسف – الخَسْف : غؤور العين ، وخُسوف العين : ذهابها في الرأس . وقيل : خسفت عينه ساخت ... وعين خاسفة : وهي التي فُقِئت حتى غابت حَدَقتاها في الرأس .

طرف – الطَّرْفة : نقطة حمراء من الدم تحدث في العين من ضربة وغيرها .

وعف – الوُعُوف بالعين : ضعف البصر .

وغف – الوَغْف والايغاف : ضعف البصر .

بخق – البخق : أقبح ما يكون من العور واكثره غَمَصاً .

وقيل : البَخق : ان تَخسِف العين بعد العور . وقيل : البَخَق ان يذهب بصره وتبقى عينه مُنفتحة قائمة قيل : البَخَق ، بالتحريك : العور بأنخساف العين .

حثرق — الحَثْرَفة خشونة وحسرة تكون في العين .

حرق — الحُرَقة : ما تجد في العين من الرمد .

سلق — الانْسِلاق في العين : حمرة تعتريها فتقَشّر .

ودق — الوَدْقة والوَدَقة : نقطة في العين من دم تبقى فيها شرقة ، وقيل : هي لحمة تعظُم فيها ، وقيل : هو مرض ليس بالرَّمَد تَزِم منه الأُذن وتشتد منه حمرة العين والجمع وَدَق . ويقال في عينه ودقة خفيفة اذا كانت فيها بثَرَة أو نقطة شَرِقة بالدم .

حذل — الحَذَل . مُثَقَّل . في العين : حُمْرة وانسلاق وسيلان دمع ، وانْسلاقها : حمرة تعتريها .

حول — الحول في العين : ان يظهر البياض في مؤخرها ويكون السواد من قبل المآق . وقيل : الحول إقْبال الحَدَقة على الانف . وقيل : هو ذهاب حدقتها قبل مؤخرها . وقيل : الحَوَل ان تكون العين كأنها تنظر الى الحِجاج ، وقيل : هو ان تميل الحَدَقة الى اللّحاظ .

سبل — ريح السَّبل : داء يُصيب في العين . وقيل : السَّبَل : داء في العين شِبْه غشاوة كأنها نسج العنكبوت بعروق حُمْر .

سمل – السُّمْلة : جوع يأخذ الانسان فيأخذه لذلك وجع في عينيه فتَهَراق عيناه دمعاً فيُدْعى ذلك السُّمْلة .
سَمْل العين : فَقْؤها .

شلل – عين شلاء : للتي ذهب بصرها ، وفي العين عِرْق اذا قُطع ذهب بصرها أو أشلّها .

قبل – القَبَل في العين : إقبال إحدى الحدقتين على الأخرى ، وقيل : اقبالها على الموق ، وقيل : اقبالها على عُرْض الانف ، وقيل : اقبالها على المحجر . وقيل : هي التي اقبلت على الحاجب . وقيل : القَبَل مثل الحول ، ويقال : قَبِلت العين قبلا اذا كان منها اقبال النظر على الانف ، وقيل : اذا كان فيها ميل كالحول ، وقيل : الأقبل الذي أقبلت حدقتاه على أنفه والاحول الذي حولت عيناه جميعاً . وقيل : القبل في العين اقبال السواد على المحجر . ويقال بل اذا أقبل سواده على الانف فهو أَقبل ، واذا أقبل على الصدغين فهو أخزَر . رجل أقبل بيِّن القَبَل : وهو الذي كأنه ينظر الى طرف انفه .

ذمن – الذّمن : سيلان العين .

كمن – الكُمْنه : جرَب وحُمرة تبقى في العين من رمد يُساء علاجه فتَكْمن ، وهي مَكْمونة . وقيل : الكُمْنة ورم في الاجفان ، وقيل قَرْح في المآقي ، ويقال : حكة ويُبس وحُمْر . وقيل : هو ورم في الجفن وغلظ ، وقيل : هو أكالٌ يأخذ في جفن العين فتحمر له فتصير كأنها رمداء ، وقيل : هي ظلمة تأخذ في البصر . الأكْمه : الاعمى .

كمه – الكَمَه : العَمى الذي يولد به الانسان .
الاكْمَه : الذي يُولد أعمى . وقيل : ان الكَمَهَ يكون

خلقة ويكون حادثاً بعد بصر . وقيل : الاكْمَه الذي يُبصر بالنهار ولا يبصر بالليل . وقيل : الاكمه الاعمى الذي لا يبصر فيتحير ويتردَّد . ويقال : ان الاكمه الاعمى الذي تلده أمه أعمى .

مره — المَرَهُ : مرض في العين لترك الكحل .

عمي — العمى : ذهاب البصر كله ، وقيل : في العينين كليتهما .

٩ ـ امراض الاذن والانف والحنجرة

اللفظ **المرض**

بح — البُحَّة والبَحَح والبَحاح والبُحُوحة والبَحاحة : كله غِلَظ في الصوت وخشونة ، وربما كان خِلْقة .

سدد — السُدَّةَ والسَّدادة داء يسد الانف يأخذ بالكظم ويمنع نسيم الريح

ضأد — الضُّؤُد والضُؤْدة : الزكام .

وقر — الوَقر : ثِقل في الأذن ، بالفتح ، وقيل : هو ان يذهب السمع كله ، والثَّقَل أخف من ذلك (١) .

طرش — الطَّرَش : الصَّمَم ، وقيل : هو أهْوَن الصَّمَم .

لوص — اللَّوْص : وجع الأُذن ، وقيل : وجع النحر .

رعف — الرُّعاف : دم يَسْبِق من الانف .

نكف — المنكوف : الذي يشتكي نكفته . والنكفة : وجع يأخذ في الأذن . النُّكاف والنُّكاث ، على البدل ، الغُدَدة ، وقيل : هو داء يأخذ في النكفين ، وهو أحد الأدْواء التي اشتقت من العضو . والنكَف : وجع يأخذ في اليد ، وقد نكف نَكفاً .

---

(١) وذكر المرض أيضا في ـ فتر ـ عند استشهاده ببيت من الشعر .

سكك — السَّكَك الصمم . الاستكاك : الصم وذهاب السمع .

خشم — الخَشَم : داء يأخذ في جوف الانف فتتغير رائحته ، الخُشام : داء يأخذ فيه وشدّة وصاحبه مَخشوم . ورجل أخْشَم بَيِّن الخشَم : هو داء يعتري الانف . والخَشَم . سقوط الخياشيم وانسداد المُتنفس ولا يكاد الاخْشم يَشم شيئاً .

رغم — الرُّغام ما يسيل من الانف من داء وغيره .

١٠ - امراض الفـــم والاســـنان

اللفظ **المرض**

فلج — فلج الاسنان : تباعد بينهما . ورجل أفْلج اذا كان في اسنانه تفَرق ، وهو التفليج أيضاً . وقيل : الفَلَج في الاسنان تباعد ما بين الثنايا والرَّباعيات خِلْقة .

كسج — الكَوْسج : هو الناقص الاسنان .

قلح — القَلَح : هو الصُّفْرة التي تعلو الأسنان . القالحة : الدودة التي تأكل السِّن . القُلاح صفرة تعلو الاسنان في الناس ، وقيل : هو ان تكثر الصفرة على الاسنان وتَغْلظُ ثم تسودّ او تخضر . وقيل : القَلَح صُفرة في الاسنان ووسخ يركبها من طول ترك السواك . وقيل : الحِبْر صفرة في الاسنان فاذا كبرت وغَلُظت واسودت واخضرت فهو القلح .

كمح — الكوْمَح : الرجل المتراكب الاسنان في الفم حتى كأنّ فاه قد ضاقت بأسنانه ، وفم كوْمَح : ضاق من كثرة اسنانه وورم لثاته .

درد — الدَّرد : ذهاب الأسنان .

جدر — الجَدَر : ورم يأخذ في الحلق .

حفر – الحَفْر والحَفَر : سُلاق في أصول الأسنان ، وقيل : هي صفرة تعلو الاسنان . وقيل الحَفْر والحَفَر : وهو ما يلزق بالاسنان من ظاهر وباطن . ويقال في اسنانه حَفْرٌ .
وقيل ؛ هو ان تحفر الفَلَج أصول الاسنان بين اللثّة وأصل السن من ظاهر وباطن . يُلح على العظم حتى ينقشر العظم ان لم يُدْرَك سريعاً .

دغر – العُذْرَة : وجع يهيج في الحلق من الدم .

ذهر – ذَهِرَ فُوه ، فهو ذَهِر : اسْوَدّتْ اسنانه ، وكذلك نَوْر الحَوْذان .

ذير – يقال للرجل اذا اسودت اسنانه : وقد ذُيّرَ فوه تَذْييراً .

خوز – الخازباز : داء يأخذ الناس في حلوقهم . وقيل الخازباز : قَرْحة تأخذ في الحلق . والزباز : لغة فيه . وقيل: خازباز ورم .

كسس – الكَسس : ان يقصر الحنك الاعلى عن الاسفل . والكسس أيضاً : قِصر الاسنان وصِفَرتها ، وقيل : هو خروج الاسنان السفلى مع الحنك الاسفل وتقاعس الحنك الأعلى ... هو أكس وامرأة كَسّاء . وقيل : الكسس ان يكون الحنك الاعلى أقصر من الاسفل فتكون الثنيتان العُليان وراء السُّفليين من داخل الفم . وقيل : ليس من قصر الاسنان . واليَلَل أشد من الكسس .

سرط – السَّرَطان : داء يأخذ الناس . وقيل : هو داء يعرض للانسان في حلقه دموي يشبه الدُّبَيْلة .

قلع – القُلاع ، بالتخفيف : من ادواء الفم والحلق معروف . وقيل هو داء يصيب الناس في افواههم .

لطع – الأَلْطَع : الذي ذهبت اسنانه من أصولها وبقيت أسناخها في

الدُّرْدُر ، يكون ذلك في الشاب والكبير ، وقيل : اللَّطَع ان تَحاتَّ الاسنان إلا أسناخها وتَقْصُر حتى تَلْتَزق بالحنك . وقيل : هو ان تُرى أصول الاسنان في اللحم .

حلق — الحُلاق : وجع في الحَلْق والحُلْقُوم كالحَلْق .

ذحق — ذَحِقَ اللسان يُذْحَق ذَحْقاً : انْسلق وانْقشَر من داء يُصيبه .

سلق — السُّلاق : حب يثور على اللسان فيتقشر منه او على أصل اللسان ، ويقال : تقشر في أصول الاسنان ، وقد انْسلق .

شكك — شاكَّة هو ورم يكون في الحلق وأكثر ما يكون في الصبيان

ألل — في اسنانه يَلَل وألل : وهو ان تُقْبِل الاسنان على باطن الفم . وأَلِلَت وأعِلَت اسنانه أيضاً : فسدت .

ثعل — الثُّعْل: السِّنّ الزائدة خلف الاسنان . والثُّعْل والثَّعَل والثُّعْلول كله زيادة سن او دخول سن تحت اخرى في أختلاف في المنبت يركب بعضها بعضاً . وقيل : نبات سن في أصل سن . والسِّن الزائدة يقال لها : الرَّاوول . ولثة ثَعْلاء : خرج بعضها على بعض فانتشرت وتراكبت .

قصمل — القَصْمَلة : دُوَيْبَّة تقع في الاسنان واضراس فلا تلبث أن تُقَصْملها فتهتك الفم .

يلل — اليَلَل : قصرِ الأسنان والتزاقها واقبالها على غار الفم واختلاف نبتتها وانعطافها الى داخل الفم . قيل : اليَلَل قِصَر الاسنان العليا . وقيل : اليَلَل قصر الاسنان وهو ضد الدَّوَق ، والدَّوق طولها . وقيل : اليَلَل انثناؤها الى داخل الفم . وقيل : اليَلَل أشدُّ من الكَسَس . وفي اسنانه يَلَل وألل : وهو ان تُقْبِل الاسنان على باطن الفم . وقيل : الأيَل : القصير الاسنان ، الأَيَل : الطويل الاسنان ، وهو من الاضداد .

بلم – أَبْلَم الرجل : اذا وَرِمَتْ شَفَتَاه .

ثرم – الثَّرَم ، بالتحريك : انكسار السِّنّ من أصلها ، وقيل : هو انكسار سن من الاسنان المقدمة مثل الثنايا والرباعيات . وقيل انكسار الثنية خاصة . وهو أثرم والانثى ثَرْماء .

درم – الأَدْرم : الذي لا اسنان له . ودرمت اسنانه : تحاتت .

دغم – الدُّغام والشُّوال : وجع يأخذ في الحلق .

دقم – الدَّقِم : المكسور الاسنان .

شرم – يقال للرجل المشقوق الشفة السفلى أفْلح ، وفي العليا أَعْلَم ، وفي الانف أخْرَم وفي الأذن أفْرَب وفي الجفن اشتر ويقال فيه كله أشْرَم .

طرم – الطُّرامة ، بالضم : الخُضْرَة تَرْكب على الأسنان ، وهو أشَفّ من القلح ، وقد اطرْمت أسنانه إطْراماً .
والطُّرْمَة والطَّرْمَة والطِّرْمَة : نتوء في وسط الشفة العليا ، وهي في السفلى النُّزْفة . والطُّرْمَة : بثرة تخرج في وسط الشفة السفلى .

طلم – الطَّلَم : وسخ الأسنان من تَرْك السِّواك .

فقم – الفَقَم في الفم : أن تدخل الاسنان العليا الى الفم ، وقيل : الفَقَم اختلاف ، وهو ان يخرج اسفل اللَّحي ويدخل اعلاه
الفَقَم اختلافه،وهو ان يخرج اسفل اللَّحي ويدخل اعلاه.وقيل: الفَقَم في الفم ان تتقدم الثنايا السفلى فلا تقع عليها العليا اذا ضم الرجل فاه . والفَقَم رَدَّة في الذقن والنعت أَفْقَم .

قعم – يقال في ضمه قَعَم اي عوج، وفي أسنانه قَعَم : وهو دخول اعلاها الى فمه .

فوه – الفَوَه ، بالتحريك : سعة الفم وعظمه ، والفَوَةُ أيضاً :

خروج الاسنان من الشفتين وطولها . والفوه في بعض الصفات : خروج الثنايا العليا وطولها . وقيل : طول الثنايا العليا يقال له الرَّوَق ، فأما الفَوَهُ فهو طول الاسنان كلها .

شغا — الشَّغا : اختلاف الأسنان ، وقيل : اختلاف نبتة الاسنان بالطول والقصر والدخول والخروج .

صغا — الصَّغا : قيل في الحنك وفي احدى الشفتين ، فهو أصغى والانثى صغواء .

طلي — الطَّلَى والطَّلَيان والطَّلَوان : بياض يعلو اللسنان من مرض او عطش . الطَّلْيُ والطَّلْيان : القلح في الاسنان ، وقد طلي فوه فهو يَطلي طلى . والطُّلْوان : الريق ينخثر ويعصب بالفم من عطش او مرض . وقيل : الطُّلْوان ، بضم الطاء : الريق يجف على الاسنان .

١١ — الامراض المعدية

اللفظ **المرض**

عنب — العِنَبة : بثرة تخرج بالاسنان تُعدي . وقيل تَسْمئِدُ فتَرِم ، وتَمْتلي ماء ، وتُوجع ، تأخذ الانسان في عينه وفي حلْقه ، يقال في عينه عِنبة .

كلب — الكَلِب بالتحريك : داء يعرض للاسنان من عض الكلب، فيصيبه شبه الجنون ، فلا يَعَضُّ احداً الا كَلِبَ ، ويَعْرِضُ له اعراض رديئة ، ويمتنع من شراب الماء حتى يموت عطشاً ،واجمعت العرب على ان دواءهُ قطرة من دم مَلِك يخلط بماء فيُسْقاه ، يقال منه كَلِبَ الرجلُ كَلَباً عَضَّه الكَلْبُ الكَلِب فأصابه مثل ذلك . وقيل : الكَلْبُ الكلبُ : الذي يكلب في أكل لحوم الناس، فيأخذه شبه جنون ، فاذا عقر انساناً ، كلبِ المعقُور، وأصابه

داء الكَلَب، يعْوي عُواء الكلْب ، ويُمزّق ثيابه عن نفسه، ويعْقِرُ من أصاب، ثم يصير أمره الى ان يأخذه العُطاش فيموت من شدة العطش ولا يِشرب . الكلَب : صياح الذي قد عَضَّه الكلْبُ الكلِبُ .

جذم – الجُذام من الداء : معروف لتجذم الاصابع وتقطعها .

الجذام من الامراض المُعْدِية ، وكانت العرب تتطير منه وتتجنبه . الأَجْذم : المقطوع اليد ، وقيل : هو الذي ذهبت أنامله .



لُغَةُ المُثَقَّفِين

الدكتور أحمد مطلوب
عضـو المجمع
كلية الآداب ـ جامعة بغـداد

اللغة من أهم مقومات الأمة ، وهي وسيلة التعبير عن المقاصد وأداء المعاني والأفكار . واللغة العربية ركن الوحدة الراسخ وأساسها المكين ، وهي وعاء الحضارة العربية الاسلامية ، بها نطق الشعراء ، وتحدث الخطباء ، وألف العلماء والأدباء . وكانت لغة الأمة قبل بزوغ فجر الاسلام ولغة المسلمين الذين دخلوا في دين الله أفواجاً . وهي فوق ذلك لغةالقرآن الكريم الذي بهر البلغاء فوقفوا أمامه عاجزين لا يعرفون له سراً ولا يقدرون على أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً .

ولم يعرف في التأريخ أن العرب اعترضوا على لغته او أسلوبه ، وما ذلك إلا لأنهم فهموه حق الفهم وسحروا ببيانه وروعة إعجازه . قال الوليد ابن المغيرة : « والله إن لقوله لحلاوة ، وإن أصله لعذق ، وإن فرعه لجناة »(١). وحذرت قريش من الاستماع الى النبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يقرأ القرآن ، ووضع الطفيل بن عمرو الدوسي كُرْسُفا (٢) في أذنيه حين غدا الى المسجد فَرَقاً من أن يبلغه شيء من كتاب الله ، ولكنه قال في نفسه : « واثكل أمي ، والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى عليّ الحسن من القبيح ، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ؟ فان كان الذي يأتي به حسناً

(١) السيرة النبوية ج١ ص ٢٧٠ .
(٢) الكرسف : القطن .

قبلته ، وإن كان قبيحاً تركته » (٣) . وسمع القرآن ، وأسلم ، ودعا أهله وعشيرته الى الاسلام . وما ذلك إلاّ لأن العربي كان يفهم كتاب الله ويتأثر به كما كان قبل الاسلام يسمع الشعر فيفهمه ويرويه لانه بلسان عربي مبين .

ولم تكن اللغة ملك جماعة من الناس وانما هي ملك الأمة العربية على اختلاف افرادها وتنوع ثقافتهم ، وظل الأمر كذلك في القرون الاولى من الهجرة المحمدية ، ولولا ما أصاب الأمة من غزو همجي افقدها قدرتها حينا من الدهر لظلت اللغة الفصيحة سمة الناطقين بها على الرغم من اللحن الذي طرأ عليها بعد ابتعاد العرب عن مواطن الفصاحة ودخول الأعاجم في دين الله ، وانحراف بعض المتحدثين والكتاب من العرب . فالعربية كانت لغة الأمة يستوي في ذلك الصغير والكبير ، الجاهل والعالم ، المتحدث والكاتب ، ولم يَدَّعِ فريق أنها ملكه كما يحلو لبعضهم في هذه الأيام حين يجعلها من عمل المختصين بها من لغويين وأدباء . وهذا ما جعل الهمم تفتر ، والاعتزاز باللغة يضؤل ، والاهتمام بها يقل . وانقسم الناس فريقين : فريقا يتمسك بها وهو في ذلك كالقابض على الجمر من كثرة ما يلقى من تنكر واهمال ، وفريقا يتشبث بلغة الاجنبي لانها لغة العلم الذي تلقاه يوم كان يدرج في قاعات الدرس والتحصيل . وليت من تخصص في الدراسات الانسانية من هذا الفريق تمسك بلغة قومه التي يتحدث بها ويؤلف ، بل ليت من خرج على لغته وقد دَرَسَ تأريخها وعلومها وآدابها في جامعة أجنبية عُني بها ورعاها . فها هي دعوات تظهر كل حين تحمل في طياتها هدم اللغة والقضاء على خصائصها وتزييف أصالتها وتغيير حرفها انجميل ونبذ رقمها الاصيل بحجة الحداثة والتطوير .

ومما يدمي القلب ويثير الفزع أن بعض اولئك الدعاة ممن اختص باللغـة

(٣) السيرة النبوية ج١ ص ٣٨٢ وما بعدها .

العربية وعمل استاذاً لها في جامعة عربية او أجنبية ، يتفنن في هدمها وتقويض أصالتها وحرفها عن الصراط المستقيم والمنهج القويم ، وهو في ذلك كالمندسين في الاسلام الذين ارادوا هدمه من الداخل فما استطاعوا وتحطموا على جباله الراسيات . « يُريدونَ ليُطْفِئوا نُورَ اللهِ بأفواهِهِم ، واللهُ مُتِمُّ نورِهِ ولو كَرِهَ الكافرونَ » (٤) .

وتحطمت قوافل المتآمرين على لغة القرآن الكريم ، وخلدت اللغة العربية التي عَبَّرت عن أصالة الأمة ورسالتها الخالدة في الحياة .

ولم يقف أولئك عند هذه المسألة ، بل نادَوا باللهجات العامية ودرسوها بحجة أنها تمثل حياة الشعب ، وتصوِّرُ نبضات القلوب وواقع المجتمع . ونَسُوا أنّ الأمة العربية واحدة ، وأن لغتها الفصيحة من أهم مقومات وحدتها . ولم يستطيعوا أن يفرضوا العاميات على الرغم مما تهيأ لهم من أسباب ، وظلت الفصحى المعجزة تعلو عند قراءة القرآن وترتيله . وبقيت الفصيحة الصافية لغة العلم والأدب والفن ووسائل الاتصال .

إن اللغة العربية ذات تأريخ موغل في القدم ، وقد عَبَّر بها العرب عن مقاصدهم ومشاعرهم قبل أن ينزل القرآن الكريم ، وحينما نبضت القلوب بالايمان كانت لغة الدين والعلم ، وقد استجابت للحياة الجديدة وعبّرت عن الحضارة العربية الاسلامية خير تعبير ، ولم يوقفها علم مُبْتَدع ، أو مصطلح دقيق ،أو فكر عميق ، وظلت لغة العلم ووعاء الفكر المبدع والثقافة الأصيلة . ولم يرنّق صفوها ما طرأ على الأمة العربية من نكوص ، وظلت صافية في كلام الله ، مشرقة في قلوب المؤمنين . وشهد القرن العشرون للميلاد نهضة لغوية كبيرة ، وكان الرواد حريصين عليها حرصهم على الحياة . فأعادوا اليها كثيراً مما ذهب من روائها ، وأضافوا اليها كثيراً مما تطلبته

---

(٤) سورة الصف ، الآية ٨ .

النهضة الحديثة . وكان للجامعات والمجامع العلمية واللغوية والمؤسسات الثقافية في الوطن العربي أثر كبير في ازدهارها واستيعابها للجديد ، ولولا بعض ما يعترض تلك المؤسسات من عقبات حقيقية او مفتعلة لكان للغة شأن اعظم ومكانة اسمى ، ولسكتت الألسنة الداعية الى العاميات او الأخذ باللغات الأجنبية التي فتنت ضعاف الايمان بأمتهم ومقومات وحدتها . وإنه لأمل كبير وفرحة عظيمة فيما اتجهت اليه القيادة السياسية في القطر العراقي من اهتمام بالعربية وحرص على سلامتها ، ففي عام ١٩٧٧ أصدر مجلس قيادة الثورة « قانون الحفاظ على سلامة اللغة العربية » ، وفي عام ١٩٨٣ أصدر « قانون الهيئة العليا للعناية باللغة العربية » لتكون مسؤولة عن الاشراف على تنفيذ « قانون الحفاظ على سلامة اللغة العربية » والقوانين والانظمة والتعليمات والقرارات المتعلقة بشؤون اللغة العربية .

إن رعاية الثورة للغة العربية عظيمة ، وان العمل من اجل الحفاظ عليها واسع المدى ، ولا يكفي أن يشرّع قانون او تفرض عقوبة ما لم يصدر المثقفون عن ايمان عميق بلغتهم ، واخلاص في سعيهم ، ووضوح في رؤياهم. وليس اكثر تأثيراً في اللغة من المثقفين الذين يحملون بين جوانحهم رسالة أمتهم . ويسعون الى تقدمها . وما اللغة إلا وعاء الفكر ، وقد خاب من لا يحسن التعبير عن علمه ونقله الى أبناء أمته .

لقد حمل المثقفون أمانة « الحفاظ على سلامة اللغة العربية » قرونا طويلة ولا يزالون يحملونها باخلاص على الرغم مما يخفي بعضهم من دسّ ، وتعطيل لحيويتها وطاقاتها . واثارة الشكوك حولها . فمنذ عهد سحيق تغنى الشعراء بأعذب الكلام . ونطق البلغاء بأروع الحكم ، وألف العلماء بأبلغ الأساليب . ولم يُروَ أن بعضهم انكر العربية او تنكرّ لها كما يفعل بعض المعاصرين ، فهذا أبو الريحان البيروني يعتز بها في مقدمة كتابه « الصيدنة » ،

ويشير الى الذين احتشدوا لالباس الدولة جلابيب العجمة فما استطاعوا ، لان الدين والدولة عربيان ، ولان الأذان يقرع الآذان كل يوم خمساً ولان الصلوات تقام بالقرآن العربي(٥) . وهذا جار الله الزمخشري يقول : « الله أَحْمَدُ على أنْ جعلني من علماءِ العربية ، وجَبَلني على الغضب للعرب والعصبية ، وأَبَى لي أن انفردَ عن صميم أنصارهم وأمتاز ، وأنضوي الى لفيف الشعوبية وأنحاز . وعَصَمني من مذهبهم الذي لم يُجْدِ عليهم إلاّ الرشْقَ بألسنة اللاعبين ، والمشْقَ بأسنَّة الطاعنين » (٦) .

فالمثقفون هم حماة اللغة ؛ لانهم اكثر وعيا ؛ ولانهم يُعَبِّرون عن مقاصدهم بها . ولم يضق الاوائل بالعربية لانهم كانوا حريصين على إتقانها ، وتذوق جمالها ، والوقوف على أسرارها ، وكانت أوَّلَ ما يُعنَون به ، أي قبل أن ينصرفوا الى العلم الذي مالوا اليه ، او ارادوا أن يبرزوا فيه . فما من عالم ، او مؤرخ ، أو أديب ، او فقيه إلاّ واللغة هواه ، وأول ما تمس شغاف قلبه . وفي التراث العربي الاسلامي اروع الأساليب وأعذب الكلام ، ولا يحسّ القارىء حينما يقرأ كتابا من ذلك التراث أن صاحبه فقيه او عالم او أديب إلاّ بعد أن يعرف عنوان الكتاب او يقف على مصطلح او لفظ يخص علما من العلوم او فنا من الفنون .

وكان المثقف يسعى الى اتقان العربية بوسائل كثيرة أهمها :

الأولى : معرفة علم العربية من النحو والتصريف .

الثانية : معرفة ما يحتاج اليه من اللغة .

الثالثة : معرفة امثال العرب وأيامهم .

---

(٥) تنظر مقدمة كتاب الصيدنة .

(٦) المفصل ص ٢ .

الرابعة : الاطلاع على تأليفات مَنْ تَقَدَّمه من ارباب الصناعة .

الخامسة : حفظ القرآن الكريم ، والتدرب باستعماله ، وإدراجه في مطاوي كلامه .

السادسة : حفظ ما يحتاج اليه من الأخبار الواردة عن النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – والسلوك بها مسلك القرآن في الاستعمال(٧)

أي أن هناك ثلاث مسائل ينبغي أن يُعنى بها :

الأولى : معرفة العربية من لغة ونحو وصرف ، ويتم ذلك بالدراسة والوقوف على أصول العربية في كتبها الأصيلة .

الثانية : حفظ القرآن الكريم ، وبعض الأحاديث الشريفة ، وكلام العرب الفصيح البليغ لتكون الاساليب ماثلة أمام عيني المثقف ، وصورُ التعبير مستقرةً في ذهنه . والالفاظ المعبرة عن هدفه على لسانه .

الثالثة : دراسة العلم الذي تنصرف همة المثقف اليه .

فمعرفة أصول اللغة . وحفظ كتاب الله المعجز وكلام العرب البليغ ، ومعرفة العلم الذي يخوض المثقف فيه ، وتأمل لغة كتبه وطرائق التعبير ، تقود الى ضبط اللغة واتقانها والقدرة على التعبير بها تعبيراً سليما . وليس بِدْعاً أن يتجه المثقفون في هذا العصر الى هذه الوجهة ؛ لان اللغة لا تخص الأدباء او دارسيها وحدهم وانما هي وسيلة للتعبير عن المقاصد والاغراض . فهي كما قال ابن جني : « أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم »(٨) ، أو هي كما قال بعض المعاصرين : « وسيلة انسانية لتوصيل الافكار والانفعالات

(٧) ينظر المثل السائر ج١ ص ٩ وما بعدها .
(٨) الخصائص ج١ ص ٣٣ .

والرغبات » او هي « لون من ألوان النشاط الانساني في المجتمع » (٩) . ولو آمن بذلك المثقفون كلهم لخفت المؤونة ولوجدوا اللغة تجري على ألسنتهم وأقلامهم ، ولكن بعضهم يأبى إلا أن يلقي اللغة على كاهل من اختص بها ، وبذلك خَفَّ علمه ، وضاع منه الشيء الكثير .

ومن أسباب ضعف لغة المثقفين :

الأول : قلة زادهم اللغوي .

الثاني : قلة محفوظهم من آيات الذكر الحكيم ، والحديث النبوي الشريف ، وكلام العرب البليغ .

الثالث : انصرافهم عن كتب تخصصهم التراثية او الحديثة التي وضعها علماء عُرفوا بالفصاحة والبيان .

الرابع : اقتصار بعضهم على قراءة الصحف والمجلات التي لا تُعنى باللغة الفصيحة ، والاسلوب الرفيع .

الخامس : التأثير بالاذاعتين : المسموعة والمرئية وما تبث من مواد باللهجات العامية او العربية الضعيفة .

السادس : التأثر بالأساليب الأجنبية .

السابع : انصراف بعضهم عن لغته القومية ، وتمسكه باللغة الأجنبية .

الثامن : التخوف من الكتابة باللغة العربية خشية الوقوع في الخطأ .

التاسع : قلة ممارسة الكتابة باللغة العربية ، وجهل بعضهم بالمصطلحات العلمية ، والالفاظ الحضارية التي تعينهم على التعبير عن أفكارهم ، ومقاصدهم العلمية .

---

(٩) ينظر كتاب مقدمة لدراسة فقه اللغة ص ٢٥ وما بعدها وغيره من الدراسات اللغوية الموضوعة والمترجمة .

العاشر : غربة بعضهم عن اللغة العربية وايمانهم بانها لغة الأدباء .

هذه الاسباب وغيرها وقفت حاجزاً بين المثقفين واتقانهم للغة ، وقد نَسُوا أنّ ما يراد منهم ليس بلاغة قس بن ساعدة ، او بيان الجاحظ ، وانما التعبير السليم الذي يؤدي المعنى بأدق لفظة ، وأقصر عبارة ، وأوضح اسلوب. ولو دققوا فيما يكتبون لوجدوا أن ما يقعون فيه من أخطاء ليس جسيما ، وانما هو مسائل يتقنونها بمعرفة مبادىء قواعد اللغة والرجوع الى المعجم ، وقراءة النصوص البليغة ، وتمثلها لتكون لهم معينا ثَراً يمدهم بما يحتاجون اليه وهم يتحدثون أو يكتبون .

إن الرجوع الى بعض ما يقع فيه المثقفون من أخطاء لا يدعو الى اليأس لان تفاديه يسير . ويتجلى ذلك في أمور منها :

الأول : الأخطاء النحوية . وهي قليلة في لغة المثقفين الذين عَرفوا قدراً من قواعد اللغة وأصْغَوا الى الكَلام البلغ وتمرنوا على الكتابة . واكثر ما يقع الخطأ في إعراب المثنى وجمع المذكر السالم . وجزم المضارع ونصبه ، وجواب الشرط . وتعدية الفعل بالحرف .

الثاني : الأخطاء الصرفية ولا تتضح في الكتابة اتضاحها في التحدث . ومعرفة أبواب الفعل الثلاثي والمشتقات وبعضأحكام الاعلال والابدال يخفف من هذه الأخطاء . وقد يكون المعجم أهم مرجع في هذه المسألة لمن يريد ضبط حديثه او محاضرته .

الثالث : الأخطاء الاملائية مثل كتابة الهمزة . وقواعدها ميسرة لمن يريد ضبطها واتقانها .

الرابع : الخلط بين الضاد والظاء . والحفظ والرجوع الى المعجم يكفلان تصحيح الأخطاء . وليس ذلك بدعاً فالأجانب يرجعون الى المعجم للتأكد من إملاء ما يكتبون .

الخامس : الأخطاء في التركيب ، وقد تأتى ذلك من قلة المحفوظ ، والنظر في الكتب الفصيحة وممارسة الكتابة ، او من مطالعة الكتب المترجمة والمتأثرة بها . ويتصل هذا الأمر بالاسلوب ، وحسن تركيب العبارة ، والربط بين الجمل ووصوحها ، وقد يكون ذلك اكثر أهمية من أي أمر آخر ؛ لانه يرتبط بالفكر ، ووضوح الرؤية ، واستقامة المعنى . واكثر ما يقع من غموض أو إبهام في الكلام يتأتى من هذا الأمر الذي لا يوليه المثقفون عناية كبيرة .

السادس : الأخطاء في دلالة الألفاظ مما يؤدي الى اللبس وانحراف المعنى عن المقصود ، إذ قد يستعمل المثقف لفظة لا يدل معناها على مايريد ، أو يستعملها بغير معناها الحقيقي أو المجازي الذي ليس لفعله ملابسة كما في المجاز العقلي أو علاقة مصححة كما في المجاز اللغــوي . ولا يعني ذلك أن دلالة الألفاظ ثابتة ، فقد تتغير كما حدث بعد نزول القرآن الكريم وما طرأ على الحياة العربية من تقدم وتطور ونهضة حضارية واسعة المدى . وآمن بذلك القدماء فتوسعوا في اللغة وأضفَوا على الالفاظ دلالات جديدة تطلبتها الحياة العلمية ، وتشعب مناحي التفكير ، وقد اقتدَوا بما جاء في كتاب الله ، وحديث النبي الكريم . قال الجاحظ : « وانما سَمّى الله – عَزَّ وجَلَّ – الكافرَ في بطنه الموَرِّيَ بالايمان والمستتر بخلاف ما يُسِرُ بالمنافق على النافقاء والقاصعاء وعلى تدبير اليربوع في التورية بشيء عن شيء ... وهذا الاسم لم يكن في الجاهلية لمن عمل بهذا العمل ولكن الله – عَزَّ وجَلَّ – اشتق لهم هذا الاسم من هذا الأصل . وقد علمنا أنَّ قولهملن لم يحج « صَرورة » ولمن أدرك الجاهلية والاسلام « مخضرم » وقولهم وتسميتهم لكتاب الله قرآنا فرقانا ، وتسميتهم للتمسُّح بالتراب : « التيمم » وتسميتهم للقاذف بفاسق ، أن ذلك لم يكن في الجاهلية . وإذا كان للنابغة أن يبتدئ الاسماء على الاشتقاق من أصل اللغة كقوله : « والنُّؤيُ كالحوض بالمظلومة الجَلَدِ » ، وحتى اجتمعت العرب على تصويبه وعلى اتباع أثره ، وعلى أنها لغة عربية ، فالله

الذي له أصل اللغة أحقُّ بذلك » (١٠) . والعمدة في معرفة دلالة الالفاظ المعجم ، والاستعمال ، والوقوف على الأساليب البليغة .

تلك أهم ما يعترض المثقف وهو يتحدث او يكتب ، وليس من العسير التغلب عليها باتقان مبادىء النحو ، وحفظ البليغ من الكلام ولاسيما كلام الله ، والرجوع الى المعجم . والاستعانة باساتذة العربية . ولعل هذا القدر من المعرفة يصون ألسنة المثقفين وأقلامهم من الوقوع في الخطأ ، وقد قال ابن السكيت : « خُذْ من الأدب ما يَعْلَقُ بالقلوب وتشتهيه الآذان ، وخُذْ من النحو ما تُقيم به الكلام ، وَدَعِ الغوامضَ ، وخُذْ من الشِّعْرِ ما يشتمل على لطيف المعاني ، واستكثر من أخبار الناس وأقاويلهم وأحاديثهم ، ولا تُولعَنَّ بالغثِّ منها » (١١) .

وقد دلّت متابعة بعض ما يكتب المثقفون على أن معظمهم يقع في أخطاء واحدة تتكرر فيما يُكتبُ او يُقال . ولا تتعدى هذه الأخطاء مبادىء اللغة والنحو . ومن أهمها :

١ ــ استعمال « بينما » : يقول بعضهم : « يهتم محمد بالحساب بينما يهتم خالد بالتأريخ » . وصواب العبارة : « يهتم محمد بالحساب في حين أن خالداً يهتم بالتأريخ » أو : « يهتم محمد بالحساب ويهتم خالد بالتأريخ» ، لان « بينما » تكون في بدء الكلام . يقال : « بينما كنت أسير في الطريق رأيت أخي » .

٢ ــ استعمال « لازال » بمعنى « مازال » . والمعروف أن الأول للدعاء ، قال الشاعر :

---

(١٠) الحيوان ج٥ ص ٢٧٩ ــ ٢٨١ .

(١١) ندّ مصدره ، وقد ذكر في مجلة المعلم الجديد (الجزء الثالث) تشرين الثاني سنة ١٩٨٧ ص ٨٣ ، وهو مما قيل في اصلاح اللسان وفضل البيـان .

ألا يا اسْلَمي يا دارَميّ على البلي
ولازال مُنْهَلاً بجرعائِك القَطْرُ

ويقال : « أشكر لكم تهانيكم ، لا زلتم بخير » .

أما « مازال » فهي ماضي « لايزال » ، قال تعالى : « فمازَالَتْ تِلْكَ دَعْواهُمْ » (١٢) ، وقال : « فمازِلْتُمْ في شَكٍّ » (١٣) . وقال : « ولا تَزالُ تَطَّلِعُ على خائِنَةٍ منهم إلاّ قليلاً مِنْهُمْ » (١٤) .

٣ـ العطف قبل الاضافة : يقول بعضهم : « هذا كتاب وقلمُ محمد » . والصحيح : « هذا كتابُ محمــدٍ وقلمُه » . اما قولهم : « قطع الله يَدَ ورِجْلَ مَنْ قالها » فتقديره : « قطع اللهُ يَدَ مَنْ قالها ورِجْلَ مَنْ قالها » فحذف ما اضيف اليه « يد » وهو « من قالهــا » لدلالة ما أضيف إليه « رجل » عليه(١٥) .

٤ـ تقديم « نفس » على المؤكَّد : يقول بعضهم « رأيت نَفْسَ الرجل » والصحيح : « رأيت الرجلَ نَفْسَهُ » خشية أن لا تدل « نفْس » على التأكيد وانما على أمر آخر .

٥ـ استعمال « رغم » يقول بعضهم : « ورغم ذلك لم استطع الوصول اليه » . والصحيح : « وعلى الرغم من ذلك » .

٦ـ ادخال الألف واللام على « بعض » : يقول بعضهم : « جاء البعض من العلماء » والصحيح : « جاء بعض العلماء » .

---

(١٢) سورة الأنبياء ، الآية ١٥ .
(١٣) سورة غافر ، الآية ٣٤ .
(١٤) سورة المائدة ، الآية ١٣ .
(١٥) ينظر شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك ج٢ ص ٦٥ .

٦- تعدية « أكَّد » بالحرف : يقول بعضهم : « أكد أخي بأن الحرب ستنتهي » . والصحيح : « أكَّد أخي أنَّ الحرب ستنتهي » .

٨ - ادخال « لقد » على « لا » النافية : يقول بعضهم : « قد لا يسافر أخي » والصحيح : « ربما لا يسافر » أو « لن يسافر » . وقد ذهب ابن هشام الى انه لا يجوز الفصل بين « قد » والفعل الذي بعدها بغير القسم(١٦) . وذكر محمد العدناني أمثلة للفعل بـ « لا » كقول الاعشى :

وقد قالت قتيلة إذ رأتني
وقد لا تعدم الحسناء ذامـا

وكقول ابن جني : « كما ان القول قد لا يتم معناه إلا بغيره » (١٧) . والأخذ بالأفصح في مثل هذا الموضع خير وأجدى ، وأقرب الى روح العربية .

٩ - ادخال « سوف » على « لن » : يقول بعضهم : « سوف لن يسافر محمد » . والصحيح : « لن يسافر » بحذف « سوف » .

١٠ - ادخال « الواو » بعد « بل » : يقول بعضهم : « بل وفي ذلك شكّ » ، والصحيح : « بل في ذلك شك » ، ويقول : « بل ويعود » ، والصحيح : « بل يعود » .

١١ - ادخال الكاف في غير التشبيه : يقول بعضهم : « قضيت عشر سنوات كاستاذ للغة العربية » : والصحيح « قضيت عشر سنوات استاذاً للغة العربية » ؛ لان التشبيه لا يراد في مثل هذه العبارة . ومن ذلك قول بعضهم : « كانت المكافأة كنتيجة لاخلاصه » . والصحيح : « نتيجة لاخلاصه ».

---

(١٦) ينظر مغني اللبيب ج١ ص ١٧١ .
(١٧) ينظر معجم الاغلاط اللغوية المعاصرة ص ٥٣٧ - ٥٣٨ ، الخصائص ج١ ص ٢٠ .

١٢ ـ ادخال اللام على « وحده » : يقول بعضهم : « بقي لوحده يعمل » والصحيح : « بقي وَحْدَه يعمل » . قال تعالى : « قالوا : أَجِئْتَنا لِنَعْبُدَ الله وَحْدَهُ » (١٨) ، وقال : « فَلما رَأَوا بأْسَنَا قالوا : آمنا بالله وَحْدَهُ » (١٩) .

١٣ ـ وضع « لا » بعد « كاد » أو « يكاد » : يقول بعضهم : « يكاد لا يمتُّ الى اللغة العربية » ، والصحيح : « لا يكاد يمت الى اللغة العربية » . قال تعالى : « فما لهؤلاءِ القَوْمِ لا يكادونَ يَفْقَهونَ حديثاً »(٢٠) .

١٤ ـ ادخال « أن » على خبر « كاد » : يقول بعضهم : « كاد محمد أن يسافر » ، والصحيح : « كاد محمد يسافر » ولا عبرة بدخولها في الشعر كما في قول البحتري :

أَتاك الربيعُ الطَّلْقُ يختال ضاحكاً
من الحُسْنِ حتى كادَ أَنْ يتكلما

وقول أحمد شوقي :

قُمْ للمعلِّمَ وفِّهِ التبجيلا   كاد المعلمُ أَنْ يكونَ رسولا

١٥ ـ ادخال أداة التعريف على « غير » : يقول بعضهم : « هذا السبب الغير مباشر مُهِمٌّ » . والصحيح : « هذا السبب غير المباشر مُهِمٌّ » .

١٦ ـ استعمال « بالاضافة الى » : يقول بعضهم : « وبالاضافة الى ذلك فانني اكملت بناء الدار » ، والصحيح : « والى جانب ذلك » أو « ويضاف الى ذلك » ؛ لان معنى « الاضافة » النسبة . قال سيبويه : « هذا باب الاضافة وهو باب النسبة » (٢١) .

---

(١٨) سورة الأعراف ، الآية ٧٠ .   (١٩) سورة غافر ، الآية ٨٤ .
(٢٠) سورة لنساء ، الآية ٧٨ .   (٢١) كتاب سيبويه ج٢ ص ٣٣٥ .

١٧ – استعمال « أجاب على » بدلاً من « أجاب عن » ، يقال : « أجبت عن الاسئلة » لا « على الاسئلة » .

١٨ – استعمال « تكلم عن » بدلا من « تكلم على » ، يقال : « تكلمت على السؤال الأول » أو « تكلمت على الموضوع » أو « في الموضوع » لا « عن السؤال » أو « عن الموضوع » .

١٩ – استعمال العدد استعمالا غير صحيح ، فيذكر بعضهم حيث ينبغي أن يؤنث ، أو يؤنث حيث ينبغي أن يذكر . وقاعدة العدد واضحة غير أنَّها تحتاج الى انتباه في الاستعمال .

٢٠ – استعمال بعض الالفاظ في غير معناها الصحيح او الدقيق ، ومن ذلك « فَشِلَ » ويريدون « خاب » أو « أخفق » . ومعنى « فَشِلَ » تراخى وجبن ، قال تعالى : « وأَطيعوا الله ورسُولَه ولا تَنازَعوا فتَفْشَلوا وتَذْهَبَ ريحُكُمْ واصبِروا إنَّ الله مع الصَّابرين » (٢٢) .

٢١ – استعمال الالفاظ العامية او الدخيلة ، تعمداً ، او سهواً ، أو اعتقاداً بانها صحيحة .

٢٢ – استعمال حروف الجر في غير مواضعها على الرغم من اتساع القول في هذه المسألة .

هذا ما يتردد في لغة المثقفين وهو غير كثير أو مما لا يمكن ضبطه ، ولا عبرة بكتب التصحيح المتزمتة التي شاعت أخيراً وأشاع بعضها الارهاب اللغوي ، لانها تعصبت او تجاهلت كثيراً من طبيعة اللغة العربية وقدرتها على النمو ، وتبدّل الدلالة وما فيها من طاقات مجازية واسعة المدى . وقد اريد بهذه الأمثلة التي تتردد في اللغة المعاصرة القول بان المثقفين أقدر من غيرهم على

(٢٣) سورة الأنفال ، الآية ٤٦ .

أن يقفوا عند هذه الأخطاء ويتعلموا الصحيح والفصيح ، وأن لا يدعوا اليأس يتسرب الى نفوسهم فيحجب عنهم الرؤية ويسلمهم الى الشعور بأن اللغة العربية صعبة ، أو يدفع بعضهم الى القول بان الكتابة والتأليف باللغة الأجنبية اكثر يُسْرا . والتغلب على هذه المسائل يتأتّى بقراءة النصوص الرفيعة ، وحفظ بعضها ، والتأمل في أساليب تركيبها ، وبالرجوع الى المعجم وما ألّف قديما في التصحيح اللغوي مثل « درة الغواص في أوهام الخواص » للحريري ، أو ألف حديثاً مثل « معجم الأخطاء الشائعة » و « معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة » لمحمد العدناني ، وما جاء على غرار « قل ولا تقل » للدكتور مصطفى جواد .

إن اللغة تعامل بالكلمة ، وممارسة للكتابة ، والعودة الى المعجم وكتب القواعد ، ومن غير ذلك لن يتم للمثقفين او غيرهم امتلاك ناصية التعبير السليم . وصفوة القول : إن الاهتمام باللغة العربية ، والايمان بانها لغة الحياة لا لغة الأدب وحده ، وضبط مبادىء النحو ، وحفظ بليغ الكلام ، والاطلاع على روائع الأساليب ، وممارسة التحدث والكتابة بها ، يكفل أنْ يتجنب المثقفون كثيراً مما يقعون فيه من أخطاء . وليس بِدْعاً أن يقعوا في الخطأ ، فكثير من مثقفي الشعوب يتعرضون لذلك ، ولكن البدعة أن يُصرّ بعضهم على الخطأ ولا يحرص على لغته او لا يشعر بالمسؤولية الملقاة على عاتقه ، وهو القدوة الحسنة لابناء الأمة ، ومربي النشء ، ورائد النهضة العلمية . ومن هنا كان لابدّ للمثقف من أن يعرف اللغة التي يتحدث ويؤلف بها معرفة تعينه على نقل أفكاره نقلا دقيقاً ، وهي ليست لغة الشعراء المحلقين في عالم الخيال ، أو لغة عامة الناس ، بل لغة العلم والثقافة والتعبير الدقيق . وله في مثقفي الأمة أسوة حسنة ، إذ كانوا نجوماً في عالم اللغة وهم يؤلفون في التأريخ والطب

والفلك وعلوم الحياة ، وما أجدره اليوم بأن يصون لغته القومية ويحرص على تنفيذ « قانون الحفاظ على سلامة اللغة العربية » الذي كان القطر العراقي اول المشرعين له في الوطن العربي ، وهو قانون انطلق من أهمية اللغة العربية ودورها في وحدة الأمة وتقدمها الحضاري في هذا العصر .



المصـــادر

١ – الحيوان – أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . تحقيق عبدالسلام محمد هارون – القاهرة ١٣٥٦ هـ – ١٩٣٨ م .
٢ – الخصائص – أبو الفتح عثمان بن جني . تحقيق محمد علي النجار – القاهرة ١٣٧١ هـ – ١٩٥٢ م .
٣ – السيرة النبوية – ابن هشام . تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبدالحفيظ شلبي . الطبعة الثانية – القاهرة ١٣٧٥ هـ – ١٩٥٥ م .
٤ – شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك – بهاء الدين عبدالله بن عقيل العقيلي المصري . تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد . الطبعة السادسة – القاهرة ١٣٧٠ هـ – ١٩٥١ م .
٥ – كتاب سيبويه – أبو بشر عمرو بن عثمان . تحقيق عبدالسلام محمد هارون . ج ٣ (القاهرة ١٩٧٣م) .
٦ – كتاب الصيدنة – أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني . مخطوطة مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب – جامعة بغداد .
٧ – المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر – ضياء الدين ابن الأثير . تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد . القاهرة ١٣٥٨ هـ – ١٩٣٩ م .
٨ – معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة – محمد العدناني . بيروت ١٩٨٤ م .
٩ – مغني اللبيب عن كتب الأعاريب – جمال الدين بن يوسف بن هشام الانصاري المصري . تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد . القاهرة .
١٠ – المفصل – جار الله الزمخشري – الطبعة الثانية – بيروت .
١١ – مقدمة لدراسة فقه اللغة – الدكتور محمد أحمد أبو الفرج . بيروت ١٩٦٦ م .

تثليث الزاوية بالتقارب والآلات الميكانيكية

لبني موسى وعالمين اوروبيين نقلا برهانيهما عن بني موسى
(دراسة وتحقيق)

الدكتور علي اسحاق عبد اللطيف
جامعة البترول والمعادن/الظهران

تمهيـــــد :

نتكلم في هذه الصفحات عن مسألة تقليدية قديمة وهي « تثليث الزاوية »، أي قسمة الزاوية المستقيمة الخطين الى ثلاثة أقسام متساوية ، وقد عولجت هذه المسألة مرارا وتكررا في العصور الاغريقية والاسلامية والوسطى .

كلمة « التقارب » التي نستعملها هنا هي اجتهاد من طرفنا في محاولة ترجمة الكلمة اليونانية « نيوسيس NEYSEIS » وهي باللاتينية inclintio وترجمتها بالانجليزية verging أو inclination وبالالمانية einschiebung وجميع هذه الكلمات بما في ذلك الكلمة اليونانية الاصلية لا تفي بالغرض المطلوب .

يشير بابوس الاسكندري pappus (نهاية القرن الثالث الميلادي) الى كتابين (مفقودين حاليا) لابولو نيوس (القرن الثالث ق . م) عنوانهما « التقارب » ويعطي جملة عامة كتفسير لكلمة « التقارب » فيقول : « يقال ان الخط يتقارب من نقطة ، اذا امتد . وصل النقطة » . ثم يعطي بابوس تفسيرات لبعض الحالات الخاصة ونذكر هنا احد هذه التفسيرات لأن هذا التفسير لـه علاقة بموضوعنا . اذ يقول : « خطان وضعهما معلوم ، ليوضع بينهما خط مستقيم طوله معـــلوم ويتقارب من نقطة معطـــاة » . وهذا يعني اننـــا نريد ان نرسم خطاً مستقيما بين خطين مستقيمين (او منحنيين او خط مستقيم

ومنحنى) يمر امتداده بنقطة معطاة بحيث يكون طول القطعة بين الخطين يساوي طولا معلوما . (نلاحظ ان كلمة خط تعني خطاً مستقيماً أو منحنياً) .

يوجد ما لا نهاية من الزاوايا التي يمكن تثليثها بالمسطرة والفرجار مثل الزاوية القائمة وغيرها ، ولكن تثليث الزاوية العامة بالمسطرة والفرجار امر مستحيل ، اذ اثبت وانتزل P.L. Wantzel سنة ١٨٣٧م ببرهان جبري انه يوجد زوايا لا يمكن تثليثها بالمسطرة والفرجار .

في بادىء الأمر اراد اليونانيون القدامى تثليث الزاوية العامة بالمسطرة والفرجار ولم يستطيعوا ذلك ، وبالتالي اصبحت مسألة تثليث الزاوية مسألة مهمة بالنسبة لهم ، وبما انهم لم يكونوا على علم بخصائص القطوع المخروطية فانهم حاولوا تثليثها بطرق اخرى ، واستطاعوا تثليثها استنادا الى مسألة التقارب ومنحنيات ترسم بالآت ميكانيكية ، ويذكر في الكتب المتخصصة منحنيان من هذا النوع وهما :

(١) منحنى هيبياس أوف أليس (ولد حوالي ٤٦٠ ق . م) .
Trisectrex or Quadratrix of Hippias (of Ellis)

(٢) منحنى نيقوميديس (ولد حوالي ٢٧٠ ق . م) .
Conchoid of Nicomedes

بعد أن عرف اليونانيون خصائص القطوع المخروطية نجد انهم ثلثوا الزاوية استنادا الى خصائص القطوع المخروطية .

(ملاحظة : اقتبسنا المعلومات السابقة من كتب : ايفور توماس [١]* ، والسير توماس هيث [٢ ، ٣ ، ٤] ، نانت وجونز وبيديانت [٥] . ارقام الصفحات مذكورة في قسم المراجع) .

(*) نضع ارقاما داخل قوسين مثل [١] ، [٢] ، ... مشيرين الى ارقام المراجع المذكورة في آخر هذه الصفحات .

وقد قام العديد من العلماء العرب بتثليث الزاوية استنادا الى خصائص القطوع المخروطية وبالذات القطع الزائد (بامكان من اراد أن يقرأ بعض هذه الاعمال العربية أن يقرأ تحقيق الاستاذ الدكتور أحمد سعيدان [٦]) .

ان العقل الرياضي يقبل تثليث الزاوية استنادا الى خصائص القطوع المخروطية اكثر من تقبله تثليث الزاوية استنادا الى مسألة التقارب والمنحنيات التي ترسم بالآت ميكانيكية وان هدفنا هنا هو تحقيق وتقديم عمل هندسي عربي اصيل غير منقول عن اليونانيين ولا يشبه اي عمل سابق وهو تثليث الزاوية لبني موسى بن شاكر ، وسنوضح أن اثنين من اقدر علماء العصور الوسطى الاوروبيين وهما جوردانوس وكامبانوس قد قاما بما يقارب النقل الكامل له ونسباه لنفسيهما . ان هذا العمل لا يعتمد على خصائص القطوع المخروطية بل يعتمد على منحنى يرسم بآلة ميكانيكية لحل مسألة التقارب ، وقد وصف هذا المنحنى ضمن برهان بني موسى الذي سنورده فيما يلي والذي هو حل أصيل وبالتالي فانا سنسميه « منحنى بني موسى بن شاكر » .

بنو موسى بن شـــاكر :

هم ثلاثة اشقاء ، محمد ، وأحمد ، والحسن . ولدوا وتوفوا في بغداد في القرن التاسع الميلادي . يقال إن والدهم ، موسى بن شاكر ، كان في حداثته قاطع طريق الا انه تاب واصبح منجما (او فلكيا) عند المأمون . توفي والدهم وهم صغار فوصّى بهم المأمون اسحق بن ابراهيم المصعبيّ واثبتهم مع يحيى ابن ابي منصور في بيت الحكمة . حملوا مع محمد بن موسى الخوارزمي على عاتقهم قيادة وتوجيه البحث العلمي في بيت الحكمة ، فالخوارزمي مؤسس الجبر . بينما اهتم بنو موسى في الهندسة والميكانيكا والفلك . اسسوا مدرسة الترجمة التي انتجت الكثير من ترجمات الاعمال اليونانية الى العربية . وهم على ذلك من اوائل من درس الرياضيات اليونانية . كما انهم من اوائل مؤسسي

الرياضيات العربية. لم يكونوا مقلدين للاعمال اليونانية بل استقلوا وانتجوا اعمالا مهمة ، وكان لاعمالهم اثر بالغ في تطوير الرياضيات العربية . وقد كانوا يمولون البعثات للبحث عن المخطوطات العلمية وشرائها ، ويقال إن محمداً (والبعض يقول احمد) كان يترأس احدى هذه البعثات واحضر معه الى بغداد ثابت بن قرة الذي بدأ حياته العلمية الزاهرة بترجمة المخطوطات اليونانية الى العربية .

نقرأ في كتاب تاريخ الحكماء لابن القفطي [٧] ان بني موسى كانوا : « أبصر الناس بالهندسة وعلم الحيل » ، والمقصود بعلم الحيل هو علم الميكانيكا أو علم الادوات الميكانيكية . كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان [٨] يقول : «وكان لهم همم عالية في تحصيل العلوم القديمة وكتب الاوائل ، واتعبوا انفسهم في شأنها ، وانفذوا الى بلاد الروم من اخرجها لهم ، واحضروا النقلة من الاصقاع الشاسعة والاماكن البعيدة بالبذل السخي ، فاظهروا عجائب الحكمة . وكان الغالب عليهم من العلوم : الهندسة والحيل والحركات والموسيقى والنجوم وهو الاقل » . ويذكر كل من ابن النديم [٩) وابن القفطي [٧] بعض اعمال بني موسى ، ونذكر هنا فقرة من كتاب الفهرست لابن النديم [٩] بهذا الخصوص ، الا اننا ، تسهيلا للقارىء ، نضع علامات ترقيم بين كلمات ابن النديم ، فتصبح الفقرة كالاتي : « ولبني موسى من الكتب : كتاب بني موسى في القرسطون ، كتاب الحيل لاحمد بن موسى ، كتاب الشكل المدوّر المستطيل للحسن بن موسى ، كتاب حركة الفلك ، مقالة لمحمد كتاب المخروطات ، كتاب ثلث (؟) لمحمد ، كتاب الشكل الهندسي الذي بيّن جالينوس امره لمحمد ، كتاب الجزء لمحمد ، كتاب بيّن فيه بطريق تعليمي ومذهب هندسي انه ليس في خارج كرة الكواكب الثابتة كرة تاسعة لاحمد بن موسى ، كتاب في اولية العالم لمحمد ، كتاب المسألة التي القاها احمد بن موسى على سند بن علي ، كتاب على مائية الكلام

مقالة لمحمد ، كتاب مسائل جرت ايضا بين سند وبين احمد ، كتاب مساحة الاكر وقسمة الزوايا بثلاثة اقسام متساوية ووضع مقدار بين مقدارين ليتوالى على قسمة واحدة » .

يهمنا الحسن لانه مؤلف برهان تثليث الزاوية الذي هو موضوعنا . يقول ابن القفطي [٧] : « وكان الحسن هو الثالث منفرداً بالهندسة وله طبع عجيب فيها لا يدانيه احد علم كل ما علم بطبعه ولم يقرأ من كتب الهندسة الا ست مقالات من كتاب اقليدس في الاصول فقط وهي اقل من نصف الكتاب ولكن ذكره كان عجيبا وتخيله كان قويا حتى حدث نفسه باستخراج مسائل لم يستخرجها احد من الاولين كقسمة الزاوية ثلاثة اقسام متساوية وطرح خطين بين خطين ذوى توال على نسبة » .

كانت اعمالهم تكتب باسم الاشقاء الثلاثة على شكل : « كتاب لبني موسى » . يقـول ابن القفطي [٧] : « فانهم لا يعـرفون الا ببني موسى » . من اشهر اعمالهم عالميا هو كتاب حرره الطوسي في القرن الثالث عشر الميلادي واعطاه الاسم : « كتاب معرفة مساحة الاشكال البسيطة والكرية — لبني موسى » . ولا نعرف بالضبط اسم الكتاب الاصلي . الا ان ابن النديم [٩] ، كما اوضحنا اعلاه . ذكر اسم الكتاب على شكل : « كتاب مساحة الاكر وقسمة الزوايا بثلثة اقسام متساوية ووضع مقدار بين مقدارين ليتوالى على قسمة واحدة » . اما ابن القفطي [٧] فذكر الاسم : « كتاب مساحة الكرة وقسمة الزاوية بثلاثة اقسام متساوية . من الواضح أن الاسماء المذكورة في كتابي ابن النديم وابن القفطي هي اسماء جزئية لمحتويات الكتاب الذي يحتوي على ثماني عشرة نظرية قوية ومهمة . يوجد العديد من المخطوطات في مكتبات العالم شرقها وغربها للكتاب الذي حرره الطوسي « كتاب معرفة مساحة الاشكال البسيطة والكرية — لبني موسى» . اما الكتاب الاصلي لبني موسى باللغة العربية

فهو مفقود ، ولا يوجد منه الا ترجمات غير سليمة باللاتينية ، وقد ترجمه جيرارد اوف كريمونا في القرن الثاني عشر الميلادي (اي قبل تحرير الطوسي لكتابهم في القرن الثالث عشر الميلادي) واعطاه الاسم : Liber trium fratrum de geometria . لقد أخذ الاوربيون الهندسة اليونانية عن العرب لا عن اليونانيين ثم نقلوها الى اللاتينية وظلوا يتدارسونها كما عرفوها من العرب الى اواخر القرن السادس عشر حينما عثر الباحثون ، عام ١٥٨٣ م ، على مخطوط من كتاب اقليدس باللغة اليونانية . كتاب بني موسى » معرفة مساحة الاشكال » هو من اوائل الكتب العربية التي ترجمت الى اللاتينية . وبما ان الغرب لم يكن قد حصل على مخطوطات يونانية في ذلك الوقت . كما ان تثليث الزاوية لبنى موسى هو اول تثليث للزاوية وصل الغرب . ايضا نقول ان تثليث الزاوية لبني موسى هو اول تثليث عربي للزاوية . وقد نقل العديد من علماء العصور الوسطى عن كتاب بني موسى المذكور ونسبوا البراهين لأنفسهم ومنهم جوردانوس وليناردو اوف بيزا (ليناردو بيزانو — ليناردو فيبوناشي ؟ [١٠] الذي نقل العديد من براهين الكتاب بصورة تكاد تكون حرفية علما بأن الغرب يعتبر ليناردو اوف بيزا اهم علماء العصور الوسطى .

جوردانوس دي نيموري Jordanus De Nemore

لا يعرف تاريخ ولادته او وفاته بالضبط . المرجح انه عاش في نهاية القرن الثاني عشر واوائل القرن الثالث عشر ، اذ انه عاصر لينارو اوف بيزا (١١٧٠ — ١٢٥٠ م) . القس نيكولاس تريفيت (١٢٥٨ — ١٣٢٨) يذكر ان جوردانوس عاش (؟ — ١٢٣٧ م) . يعرف ايضا بالاسم جوردانوس نيموراريوس . له كتاب اسمه « De datis numeris » ولابد وان الكثير من مادة هذا الكتاب مأخوذة عن « كتاب الجبر والمقابلة — لابي كامل» الذي ترجمه جيرارد اوف كريمونا في القرن الثاني عشر . له اعمال في

الحساب والهندسة والفلك والميكانيكا . الغرب يعتبره من اقدر علماء العصور الوسطى .

كامبانوس Johannes Campanus of Novara

عاش في القرن الثالث عشر الميلادي . اهم اعماله هو ترجمة لكتاب اقليدس في الاصول الهندسية من العربية الى اللاتينية حوالي سنة ١٢٦٠ م . الحق المقالة الرابعة من كتاب اقليدس ببرهان تثليث الزاوية المذكورة في هذه الصفحات .

(ملاحظة : اقتبسنا المعلومات السابقة بخصوص بنى موسى وجوردانوس وكامبانوس من كتب : فروخ [١١] ، بوير [١٢] ، هيوز [١٤] ، كلاجيت [١٥] ، (معجم اعلام العلوم) DSB [١٦] ، سارتون [١٧] . ارقام الصفحات مذكورة في قسم المراجع) .

التحقيق والترجمة :

اننا نفترض ان الناسخ لا يعرف هندسة بما فيه الكفاية ونصحح اخطاء الناسخ الهندسية واللغوية بصمت دون ان نذكرها . اذ اننا لا نرى ضرورة لأخذ حيز كبير لاظهار اخطاء الناسخ . في كثير من الاحيان يكتب الناسخ الكلمات دون ان يضع النقط على الحروف ونحن نضعها على الحروف . تسهيلا للقارىء نضع علامات ترقيم بين كلمات المؤلف . نكتب « ثلاثة » بدلا من « ثلثة » . نفصل الحروف الملتصقة بالحروف الهندسية فنكتب « فَ أ ب » بدلا من « فاب » ونكتب « ل أ ب ج » بدلا من « لابج » . في بعض الاحيان نجد ان المؤلف يعامل المثنى بصيغة الجمع والمؤنث بصيغة المذكر او العكس ونحن لا نصحح هذه الاخطاء طالما انها لا تغير المعنى الهندسي الصواب . اذا اقتنعنا بوجود خطأ هندسي من المؤلف فلا نصححه . الا اننا نعلق عليه بعد الانتهاء من كتابة كلام المؤلف . ما نضيفه من طرفنا

الى كلام المؤلف بسبب نقص كلمة أو نقص حرف نضعه بين قوسين كبيرين [......] وفي بعض الاحيان النادرة وعند الضرورة نضع توضيحا بين قوسين صغيرين ونكتب (يقصد : ...) .

نشر مارشال كلاجيت [١٥] تحقيقا باللاتينية وترجمة بالانجليزية لبرهاني جوردانوس وكامبونوس في مجلده الأول من مجلداته « ارشميدس في العصور الوسطى » . نترجم هذين البرهانين من هذا الكتاب ونعتمد في ترجمتنا على التحقيق اللاتيني اكثر من اعتمادنا على الترجمة الانجليزية وذلك لاننا رأينا ان مارشال كلاجيت تصرف في ترجمته الى الانجليزية .

في ترجمتنا للاحرف الهندسية اللاتينية الى العربية ، نحاول اعادة الاحرف العربية الأصلية التي ترجمها جيرارد اوف كريمونا الى اللاتينية ، وسنتكلم عن هذا بتفصيل اكثر ضمن تعليقنا المرفق مع برهان جوردانوس ، اذ نعتقد اننا وجدنا « نظاماً معيناً » استعمله جيرارد اوف كريمونا في ترجمته من العربية الى اللاتينية . لقد حاولنا ان تكون الترجمة مطابقة للاصل بقدر الامكان مع الاحتفاظ بالمعنى ، وعليه فقد تبدو الترجمة ركيكة !

سنكتب « التعـليق — التحليل — المقـارنة » الذي يخص كلام كل مؤلف مباشرة بعد الانتهاء من كلام المؤلف ونبدأ كلامنا بكلمة « تعليق » .

المخطوطات :

(أ) نحقق شكل يح (اي نظرية ١٨) من « كتاب معرفة مساحة الاشكال البسيطة والكرية » لبني موسى بن شاكر — تحرير محمد بن محمد بن الحسن الطوسي . نعتمد في تحقيقنا لهذه النظرية على :

(١) مخطوطة ايا صوفيا رقم ٢٧٦٠ — الصفحات ١٧٧ أ — ١٨٣ ب . نسخت سنة ٨٤٥ هـ .

(٢) كتاب « مجموع الرسائل – للطوسي » ، المجلد الثاني – المطبوع بمطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد الدكن سنة ١٣٥٩ هـ (١٩٤٠) . هذه الطبعة مطبوعة بأخطائها الهندسية وهي غير محققة وغير مدققة .

(ب) نترجم تحقيق مارشال كلاجيت [١٥] للمسألة ٤–٢٠ (IV . 20) من كتاب جوردانوس « في المثلثات » . اعتمد كلاجيت في تحقيقه لهذه المسألة على المخطوطات :

(a) Dresden, Sach. Landesbibliothek, Db 86 5gr-v, early 14c. Ed.

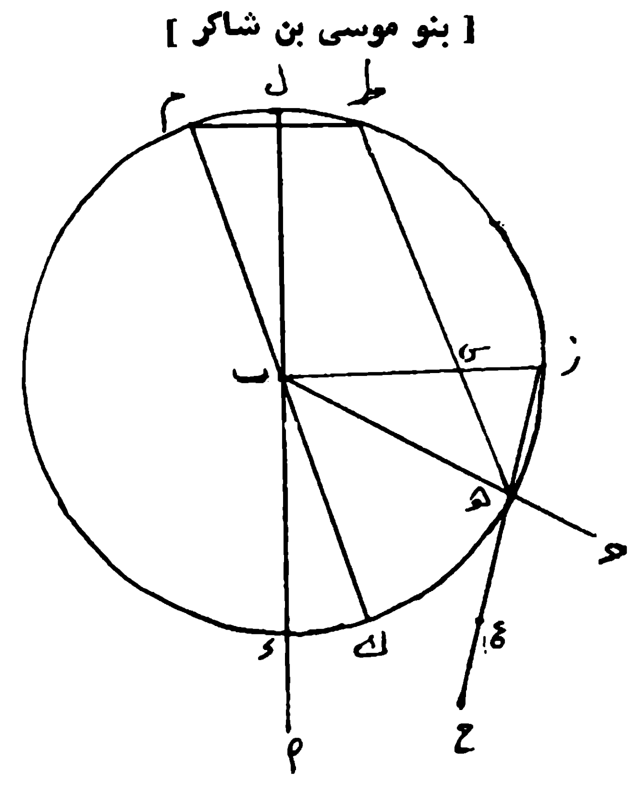
(b) Paris, BN. lat. 7434, 85v - 86r, 14c.

(c) London, Brit. Museum, Sloane 285, 90r-v, 14c.

(d) London, Brit. Museum, Harleian 625, 129r, 14c.

(ج) نترجم تحقيق مارشال كلاجيت [١٥] لمسألة تثليث الزاوية التي اخذها من « تعليق كامبانوس على كتاب الاصول الهندسية » . طبع كتاب كامبانوس باللاتينية سنة ١٤٨٢ م ، في editio princeps . يقول كلاجيت انه نقل المسألة تقريباً كلية من editio princeps (Venise, 1482) وانه اصلحها فقط في مكانين اعتماداً على نسخة ثانية طبعت سنة ١٥٤٦ م (Ed2 Base, 1546, p. 586) .

[بنو موسى بن شاكر]



(يح) [نظرية ١٨] : لنا أن نقسم بهذه الحيلة اي زاوية شئنا بثلاثة أقسام متساوية . فلتكن الزاوية أ ب ج ، وليكن اولا اقل من قائمة . ونأخذ من خطي ب أ ، ب ج مقداري ب د ، ب ه متساويين ، ونرسم على مركز ب وببعدهما [دائرة] د ه ل . ونخرج د ب الى ل . ونقيم ب ز عمودا على ل د . ونصل ه ز ونخرجه الى ح لا الى غاية . ونفصل من ز ح ، ز ع مثل نصف قطر [الـ] دائرة . فاذا توهمنا ان ز ح يتحرك الى ناحية نقطة ل ونقطة ز لازمة للمحيط في حركتهـــا ، وخط ز ه ح في حركته لايزال يمر على نقطة ه من [الـ] دائرة د ه ل . وتوهمنا نقطة ز لا يزال يتحرك حتى تصير نقطة ع على خط ب ز ، وجب حينئذ ان تكون القوس التي بين الموضع الذي انتهت اليه نقطة ز وبين نقطة ل هي ثلث قوس د ه ، والزاوية التي يوترها هذا القوس ثلث زاوية د ب ه .

برهانه ليكن الموضع الذي انتهت اليه ز نقطة ط . ونخرج ط ه يقطع ب ز على س فخط ط س مساو لنصف قطر الدائرة لكونه مساويا لِ زع . ونخرج من المركز قطرا يوازي ط ه وهو م ب ك . ونخرج م ط . فَـ ط س مساو ومواز لِ م ب ، وَ م ط مواز ومساو لِ ب س ، وَ ب س عمود على ل د . فَـ م ط عمود على ل د ، ولذلك يكون [م ط] مُنَصفا بالقطر ، ويكون م ل مثل ل ط ، وَ د ك مثل م ل ، وَ م ط مساوياً لِ ك ه ، فَـ د ك مثل نصف ك ه وثلث د ه ، وزاوية ك ب د ثلث زاوية أ ب ج . وذلك ما اردناه .

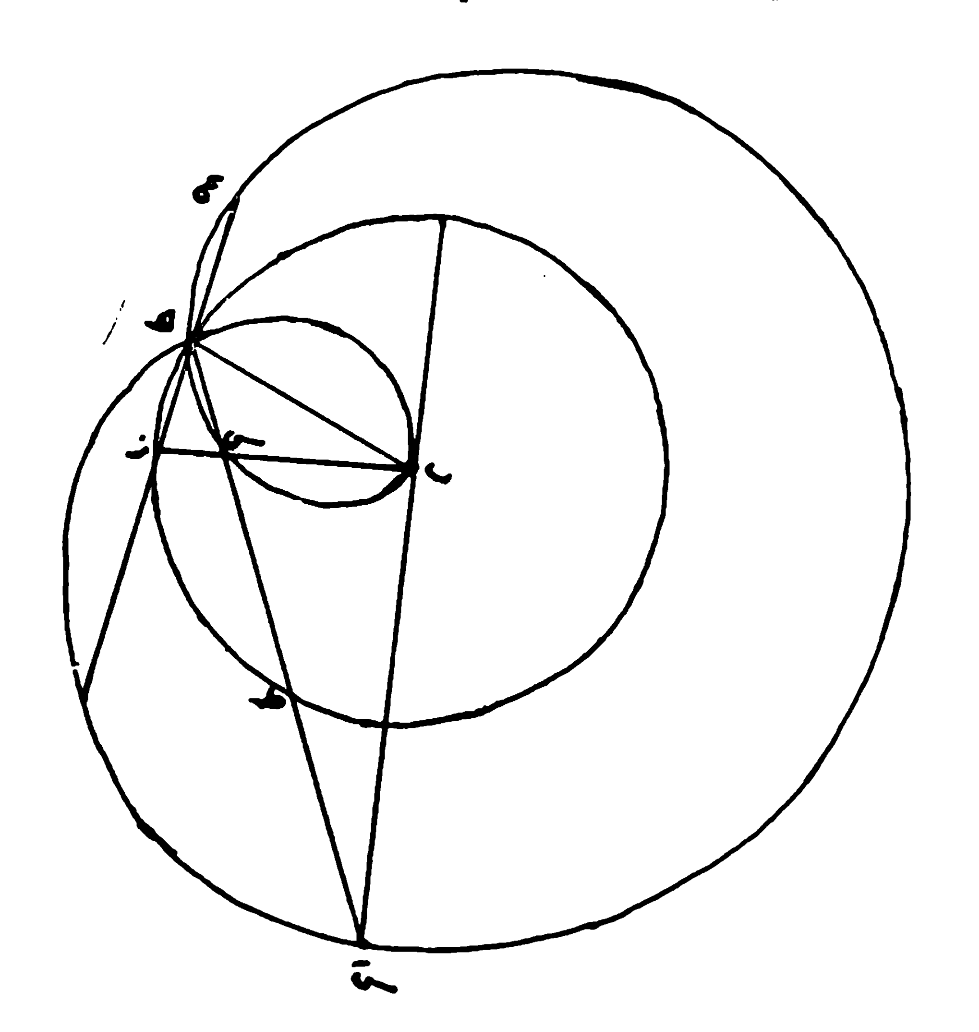
ويحرك بالحيلة المذكورة ز ح على أن يتحرك ز على المحيط لا يفارقه ولايزال يمر خط ز ح في حركته على نقطة ه حتى تقع نقطة ع على خط ب ز . ويتم المطلوب . وان كانت الزاوية منفرجة نصفناها وثلثنا النصف ، فيكون ثلثاه ثلث المنفرجة .

تعليق :

عند قول المؤلف « لنا أن نقسم بهذه الحيلة » فانه يشير الى طريقة « حيلة» استعملها في المسألة السابقة من كتابه « كتاب معرفة مساحة الأشكال » وتلك الحيلة تشبه الحيلة التي يستعملها في هذه المسألة كي يجد حلا لمسألة التقارب الواردة في البرهان . والحيلة هنا هي كيفية تحريك الخط ز ح بحيث تبقى ز ملازمة للمحيط بينما الخط ز ح يمر دائما من النقطة ه ، وسنحلل الآن هذه الحيلة التي هي اهم شيء في البرهان والتي تعطينا منحنى بني موسى .

لنتخيل آلة ميكانيكية فيها قاعدة دائرية ثابتة . وهذه الدائرة مجوفة دائريا على المحيط . ونقطة ثابتة (ممر ثابت) على الدائرة وهي ه . عندنا قضيب طويل بما فيه الكفاية . ونضع علامة (اي نثبت مسماراً او ما يعادله) على

القضيب نسميها ز ، وعلى احد طرفي ز علامة ع على القضيب بحيث يكون طول ع ز — نصف قطر الدائرة . نضع القضيب على الدائرة وندخل المسمار في التجويف الدائري على محيط الدائرة . لتتحرك الآلة بحيث تبقى العلامة ز ملازمة لمحيط الدائرة ويمر القضيب دائما من النقطة الثابتة (الممر الثابت) ه ، ونرسم المحل الهندسي لحركة النقطة ع . فطالما ان ز تدور حول محيط الدائرة فان المحل الهندسي للنقطة ع هو منحنى قوقعي دليله (قاعدته) الدائرة . (انظر الشكل) . هذا المنحنى مكون من (اتحاد) القطعة اللولبية الصغيرة الموجودة داخل الدائرة والمنحنى الموجود خارج الدائرة . كما ذكرنا في تمهيدنا ، سنسمي هذا المنحنى « منحنى بني موسى بن شاكر » .



نلاحظ ان تحرك ز على المحيط باتجاه ط يجعل النقطة ع تصل النقطة ه ثم تدخل الدائرة لترسم لنا القطعة اللولبية الداخلية . بالنسبة لبرهان بني موسى فالشيء المهم هو موقع الخط ط س ه ، وبما أن النقطة ه ثابتة فهذا يعني أننا نريد النقطة المهمة س كي نصلها بالنقطة ه ونحصل على الخط المهم . وكما نرى فاننا وجدنا النقطة س وهي تقاطع المنحنى مع الخط ب ز . بلغة التقارب فنحن ادخلنا الخط المعلوم الطول ز ع = ب ز = ط س بين الدائرة والخط ب ز فالخط ط س يتقارب باتجاه النقطة الثابتة ه ، وبالتالي فاننا وجدنا الحل لمسألة التقارب .

لايجاد معادلة قطبية لمنحنى بني موسى (المحل الهندسي لمسار النقطة ع) نقول : لتكن ه هي القطب (نقطة الاصل) وليكن ه ب ممتدا هو المحور القطبي (المحور السيني الموجب) . نفترض ان نصف القطر يساوي أ . فمن معرفتنا بالاحداثيات القطبية (من كتب التفاضل والتكامل) نعرف أن معادلة الدائرة المذكورة في برهان بني موسى هي ر = ٢ أ جتام حيث أن قطعة المستقيم ه ط = ر = ٢ أ حتام . ولكن بالنسبة لمنحنى بني موسى فنرى أن قطعة المستقيم ط س = أ وبالتالي فقطعة المستقيم ه ط ستساوي ٢ أ حتام + أ = أ (١ ــ ٢ حتام) اي أن معادلة المنحنى هي :

ر = أ (١ + ٢ حتام) .

نكرر القول أن برهان بني موسى المذكور هنا لتثليث الزاوية لم يعرف قبل بني موسى وبالتالي فالبرهان « اصيل » ، كما ان هذا البرهان هو أول برهان لتثليث الزاوية وصل الغرب ، وهو ايضا اول برهان عربي لمسألة تثليث الزاوية .

ايضا نقول انه لا يوجد اي اشارة او اي دليل يدل على ان منحنى بني موسى قد رسم او قد عرف او قد وصف قبل بني موسى ، وبالتالي فهو «اصيل»

يوجد براهين لتثليث الزاوية بها ثغرة وهي عدم حل مسألة التقارب وبالامكان ملىء هذه الثغرة باستعمال منحنى بني موسى . مثلا : نعلم ان اشـــهر تثليث زاوية موجود في كتب تاريخ الرياضيات الغربية الحديثة هو تثليث الزاوية المنسوب لارشميدس (وهذا البرهان هو المسألة(٨) من كتاب مأخوذات » المنسوب لارشميدس من قبل ثابت بن قرة الذي ترجم الكتاب . هذا البرهان فيه ثغرة وهـ ان ارشميدس لم يعط حلا لمسألة التقارب ، والسير توماس هيث [٢] يقول ن ارشميدس افترض امكانية حل مسألة التقارب دون اعطاء حل لها في هذه المسألة وفي المسائل ٥ ، ٦ ، ٧ من كتاب ارشـــميدس « المنحنيات اللولبية **On Spirals** . معظم الكتب الغربيـة تذكر برهان ارشميدس دون ذكر هذه الثغرة . ونقول هنا انه بامكاننا ، وبسهولة ، ملء هذه الثغرة الموجودة في برهان ارشميدس باستعمال منحنى بني موسى . يبدو لنا ان ابن الهيثم انتبه الى هذه الثغرة الموجودة في برهان ارشميدس ، اذ نعلم ان ابن ابي اصيبعة [١٨] يذكر في كتابه « عيون الانباء في طبقات الاطباء » (صفحة ٥٥٥) ان لابن الهيثم رسالة عنوانها « رسالة في برهان الشكل قدمه ارشميدس في قسمة الزاوية ثلاثة اقسام ولم يبرهنه » .

في كتب التفاضل والتكامل الغربية الحديثة نجد ان منحنى بني موسى يسمى ليماكون Limacon أو ليماكون اوف باسكال Limacon of Pascal لذلك راجعنا الموسوعة البريطانية [١٩] بخصوص المنحنيات الخاصة فوجدنا ان روبير فال G.P. Roberval (١٦٥٠م) يقول بأن ايتيين باســكال Etienne Pascal قد اكتشف منحنى ، وسماه روبير فال بالاسم ليماكون اوف باسكال وان معادلته الديكارتية العامة هي :

(س٢ + ص٢ + ٢ أ س) ٢ = ب ٢ (س٢ + ص٢)

كما ان معادلته القطبية العامة هي ر = ب + ٢ أ حتام .

حيث ب هي القطعة ع ز المذكورة اعلاه كما ان هي نصف قطر الدائرة .

ونقول هنا انه في الحالة أ = ب تصبح المعادلة القطبية هي :

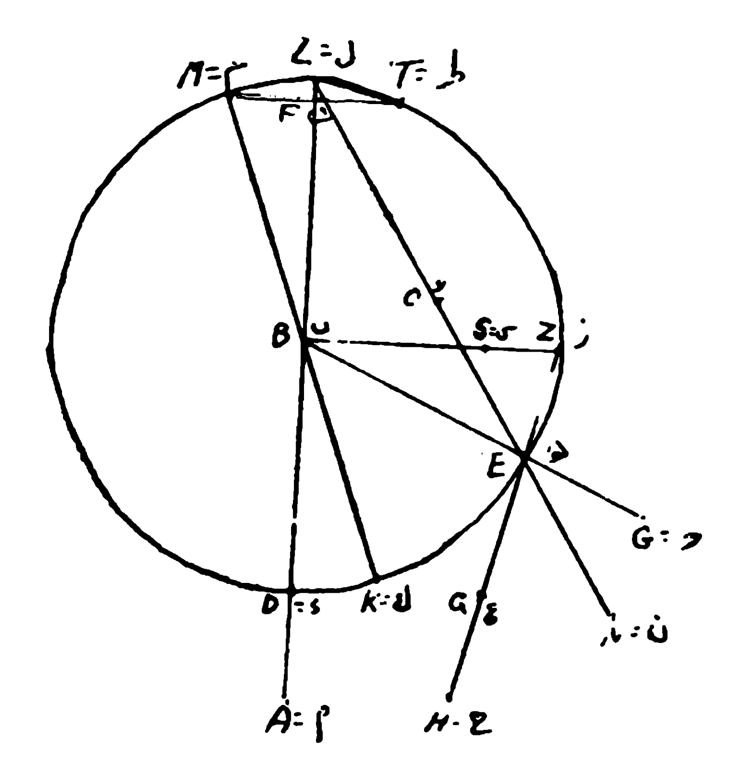
ر = أ (١ + ٢ جتام) وهي معادلة منحنى بني موسى الذي تكلمنا عنه .

وهنا نسأل : من هو اول مكتشف لهذا المنحنى ؟



[جوردانوس]

[المسألة من كتاب جوردانوس الرابع « في المثلثات »]



[العنوان] : لقسمة أي زاوية مستقيمة الخطين الى ثلاثة اقسام متساوية .

فلتكن الزاوية الحادة أ ب ج هي المطلوب تثليثها . بافتراض ب كمركز ، لتكن دائرة دز م مرسومة . ليخرج د ب الى ل . وليكن ب ز قد اقيم كعمود على د ل . ثم ليخرج خط ز ه الى ح . وانني [لا] افترض حداً نهــائياً للخط ز ح . وسأفصل من ز ح ، زع مثل نصف القطر د ب . اذن ، لنتوهم أن الخط ز ه ح تحرك الى ناحية ل بحيث أن ز ، أثناء هذه الحركة ، لا تفارق المحيط ، والخط ز ح يستمر بالمرور من ه ويلازم ه ، وتستمر ز بتحركها الى ان تقع ع على ب ز . ولتكن نهاية التحرك (يقصد : تحرك ز) هو ط . اذن جزء من خط زح او بكلام آخر زح ينطبق على ط ه ، وَط س

يساوي ز ع الذي يساوي نصف القطر ب د . أقول . بالاضافة الى ذلك ، ان [قوس] ط ل مثل ثلث قوس د ه . من النقطة ب لنرسم ب م موازيان للخط ط ه ، ونخرج ب م الى ك ، ولتكن النقطتان ط وَ م متصلتان . نكمل : ط س يساوي م ب ويوازيه . إذن ، م ط ، ب س متساويان ومتوازيا . وَب عمود على دل . اذن م ط سيقطع د ل على زاويتين قائمتين . إذن ، د ل سينصف قوس م ط . إذن ، القوسين م ل ، ل ط متساويين . ايضا م ل ، د ك قوسان متساويان لأن م ك ، د ل يقطعان بعضهما البعض في المركز ب ، ويعملان زاويتين متساويتين [بالرأس] . اذن بالتساوي مرتين ، قوس ك ه هو ضعف قوس د ك . اذن ، زاوية ك ب ه هي ضعف زاوية ك ب د . اذن ، قسمت الزاوية ك ب ه الى نصفين متساويين والزاوية المطلوبة أ ب ح الى ثلاثة اقسام متساوية . الآن ، اذا كان المراد تقسيم زاوية منفرجة الى ثلاثة اقسام متساوية . لتكن اولا قد نصفت حتى يكون كل نصف زاوية حادة . ثم ليثلث كل نصف بالطريقة المذكورة . اذن ، ذلك المراد اصبح واضحاً .

نفس الشيء يمكن برهانه بشكل اوضح قليلا بتغير واحد فقط وهو ، بدلا من ح ز ليرسم الخط ل ه ن . وبما أن ل ب ز زاوية قائمة . ليكن و ل يساوي خط ب ل . اذن ، لنتوهم أن ن ل تحرك ناحية ز بحيث انه يمر دائما من ه ويستمر في التحرك الى أن تقع وعلى ب ز ، وهكذا كما سبق .

الحيلة المذكورة بخصوص تقسيم الزاوية الى ثلاثة أقسام متساوية لا لا ترضيني أبدا ، فانا لاأجد أي شيء أكيداً فيها . لعملها بشكل يرضيني ، سأبين نفس الشيء بالطريقة الآتية . لتكن الزاوية الحادة أب ج . اذن ، يقدم الفرجار واقعا على ب ، لترسم دائرة . ولنخرج أ ب الى ل على المحيط . ثم من المركز . ليكن ب ز قد أقيم كعمود على د ل ثم بمسألة ٥ — ١٩ (V.19)

من البـير سبيكتيف (Perspective) ليكن خط قـد رسـم من النقطة ه وينصف قطر ب ز بحيث يكون ط س = نصف القطر ب ل . إذن ، ليكن ب م قد رسم موازيا للخط ط س ه . ثم اخرج الى ك . بما أن ب م ، ط س متساويان ومتوازيان ، يكون ب س وَ م ط متساويين ومتوازيين . اذن ، بما أن زاوية ل ب ز قائمة ، فتكون زاوية ب ف ط قائمة . إذن ، م ط سينصف بالخط ب ف . اذن ، قوس ط م هو ضعف قوس م ل . وليكن القوس م ط يساوي القوس ك ه بسبب التوازي . اذن ، قوس ك ه هو ضعف قوس م ل ، فاذن ضعف د ك . إذن ، نصـف ك ه ، فيكون المطلوب قد عُمِل . اذا كانت الزاوية منفرجة ، فلننصفها الى زاويتين حادتين، وليؤخذ ثلث كل منهما ، ويكون المطلوب قد عُمِل .

تعليق :

من المعـلوم ان جيرارد اوف كريمونا (القرن الثـاني عشـر) Gerard of Cremona ترجم العديد من الاعمال العربية الى اللاتينية ومنها « كتاب معرفة مساحة الاشكال » لبني موسى بن شاكر . ومن المعلوم ايضا ان جوردانوس عندما استعمل ترجمات جيرارد اوف كريمونا وغيره من المترجمين ، فانه استعمل نفس الاحرف التي استعملها المترجمون .

هنا نرغب ان نذكر ملاحظتنا الآتية : لنتذكر الابجدية العربية الشرقية « ابجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ » .

الاحرف اللاتينية هي نفس الاحرف الانجليزية تقريبا ولكننا نجد انه لا يوجد الحرف (J) كحرف مسـتقل في اللاتينية الكلاسيكية فالحرف (J) هو احد انواع الحرف (I) وكان يستعمل في ذلك الوقت بدلا من (I) في اماكن معينة من الكلمات ويلفظ تقريبا (Y) بدلا من اللفظ (J) (تذكر : يوليوس قيصـــر Julius Caesar) . كذلك لا يوجد الحرف (W) في

الابجدية اللاتينية . لذلك نحذف الحرفين (J، W) من الاحرف الانجليزية فتصبح الابجدية اللاتينية هكذا :

A,B, C, D, E, F, G, H, I, K, L, M, N, O, P, Q, R, S, T, U, V, X, Y, Z,

(بامكان القارىء مراجعة قاموس لاتيني – انجليزي مثل قاموس كاسيل[٢٠]).

والآن لنقارن الاحرف الهندسية الواردة في برهاني بني موسى وجوردانوس فنلاحظ ان الترجمة هي ترجمة لفظية طالما انه يوجد لفظ لاتيني يقابل اللفظ العربي فنرى أن :

أ = **A**، ب = **B** ، جـ = **G** ، د = **D** ، ز = **Z** ، ط = **T** ، ل = **L** ، م = **M**، ف = **F**

ك = **K** ، س = **S** . أما الاحرف العربية التي ليس لها لفظ مقابل باللاتينية فنرى أن هـ = **E** ، ح = **H** ، ع = **Q** وهي الاحرف الخامس والثامن والسادس عشر على التوالي في الابجديتين العربية واللاتينية . وكلامنا هذا يعطي الفكرة ان جيرارد أوف كريمونا لم يكن يترجم الاحرف الهندسية العربية الى اللاتينية عشوائيا بل كان عنده « نظام معين » وهو ما وصفناه .

اما الحرفان « O » و « N » الواردان في برهان جوردانوس فليس لهما علاقة ببرهان بني موسى وهما اضافة من قريحة جوردانوس وترجمناهما عشوائيا بالحرفين « و » وَ « ن » .

نلاحظ ان برهان جوردانوس عبارة عن ثلاث فقرات او ثلاث براهين . لابد وان تكون الفقرة الطويلة الاولى (البرهان الأول) منقولة ، تقريباً حرفيا . عن النسخة اللاتينية للمسألة (١٨) (تثليث الزاوية) من كتاب بني موسى . ولانجد ضرورة لاقناع القارىء بهذا الامر ، فما على القارىء سوى أن يقرأ البرهانين ويبتسم .

الفكرة الموجودة في الفقرة الثانية(البرهان الثاني) هي فكرة جوردانوس ولكن لا يوجد فيها شيء جديد . فسواء تحركت ز الى ط ملازمة للمحيط

بحيث زح تمر من ه أو تحركت ل الى ط ملازمة للمحيط بحيث ل ن يمر من ه فالنتيجة واحدة وهو الخط المهم ط س ه ونفس حل المسألة التقارب وكذلك نفس منحنى بني موسى .

يبدأ جوردانوس الفقرة الثالثة (البرهان الثالث) بقوله « الحيلة المذكورة بخصوص تقسيم الزاوية الى ثلاثة أقسام متساوية لا ترضيني أبدا ، فانا لا أجد أي شيء أكيداً فيها . لعلها بشكل يرضيني ، سأبين نفس الشيء بالطريقة الآتية » . ثم يعطي عملا يطابق العمل الموجود في برهان بني موسى ثم يقول الجملة : « ثم بمسألة ٥ — ١٩ (V.19) من البير سبيكتيف Perspective ، ليكن خط قد رسم من النقطة ه وبنصف قطر ب ز بحيث يكون ط س يساوي نصف القطر ب ل » . يبدو لنا أن جوردانوس يكاد يعترف أن البرهان ليس برهانه فطالما إنه ليس راضياً عن البرهان فلماذا يقدمه ثم يقدم برهاناً أفضل منه ؟ والذي لا يرضي جوردانوس في البرهان (برهان بني موسى) هو الحركة الميكانيكية التي استعملت للحصول على الخط المهم ط س ه ، وبالتالي فهو غير راض عن الحل الوارد في برهان بني موسى لمسألة التقارب . فجوردانوس يريد حلا يقبله العقل الرياضي أكثر من الحل الذي يعتمد على الحركة الميكانيكية . وبالتالي فان جوردانوس قرأ كتاب اسمه بيرسبيكتيف ووجد في هذا الكتاب مسألة يقول أن رقمها ٥ — ١٩ (V.19) وهذه المسألة تعطيه النقطة المهمة س والخط المهم ط س ه وحل لمسألة التقارب بشكل يقبله العقل الرياضي أكثر من الحل الذي يعتمد على الحركة الميكانيكية . والان ما هذا الكتاب الذي اسمه بيرسبيكتيف Perspective ؟

من المعلوم أن « كتاب المناظر » لابن الهيثم قد ترجم الى اللاتينية في أواخر القرن الثاني عشر أو أوائل القرن الثالث عشر ولا يعرف بشكل مؤكد من الذي ترجم هذا الكتاب . (لأخذ فكرة عن حياة وأعمال ابن الهيثم ،

بالامكان الرجوع الى المجلد السادس من « معجم اعلام العلوم » DSB [٢١] ، وهي مقاله لعبدالحميد صبرة) .

« كتاب المناظر » (١) عبارة عن تسعة كتب . والاسم الذي اعطي لهذا الكتاب باللاتينية في ذلك الوقت هو Perspectiva . كما ان فريدريك رايزنر Frederick Risner نشر الكتاب في باسل Basel سنة ١٥٧٢ في مجلد اسمه Opticee thesaurus . المهم ان الكتاب الخامس من « كتاب المناظر » لابن الهيثم يحوي حلولا لمسائل كروية واسطوانية وقطوع مخروطية ، وفي إحدى مسائل « الكتاب الخامس » هذا يستعمل ابن الهيثم القطع الزائد لحل مسألة التقارب التي تعطينا الخط المهم ط س ه المذكور في برهان بني موسى والبرهان الذي ينسبه جوردانوس لنفسه . اننا نعتقد أن هذه المسألة هي المسألة التي يشير اليها جوردانوس في الفقرة الثالثة (البرهان الثالث) بالرقم ٥ — ١٩ V . 19 بيرسبيكتيف . والآن فان جوردانوس وجد حلا مقنعا رياضيا لمسألة التقارب ولايجاد الخط المهم ط س ه وأخذ هذا الخط واستعمله في الفقرة الثالثة وأكمل البرهان بطريقة مشابهة تماما لبرهان بني موسى .

رأينا في البرهان الأول ان جوردانوس اخذ برهان « تثليث الزاوية » تقريبا حرفيا عن بني موسى . نضيف قولا اننا على علم بأن جوردانوس اخذ برهان نظرية « وسط متناسب » (١) (ايجاد مقدارين يقعان بين مقدارين مفروضين لتتوالى الاربعة على نسبة واحدة) تقريبا حرفيا عن بني موسى ،

(١) بعض المعلومات المذكورة هنا عن كتاب المناظر مقتبسة عن مقالة عبدالحميد صبره في « معجم اعلام العلوم » [٢١] .

(١) حسب قول مارشال كلاجيت [١٥] ص ٢٢٤ .

واخذ البرهان الذي نسبه الطوسي للخازن بخصوص « معادلة هيرون » (٢) ، كما انه اخذ الكثير من مادة « كتاب الجبر والمقابلة – لابي كامل » (٣) . علما بأن الغرب يعتبر جوردانوس من اقدر علماء العصور الوسطى والى درجة ما من مستوى ليناردو اوف بيزا .

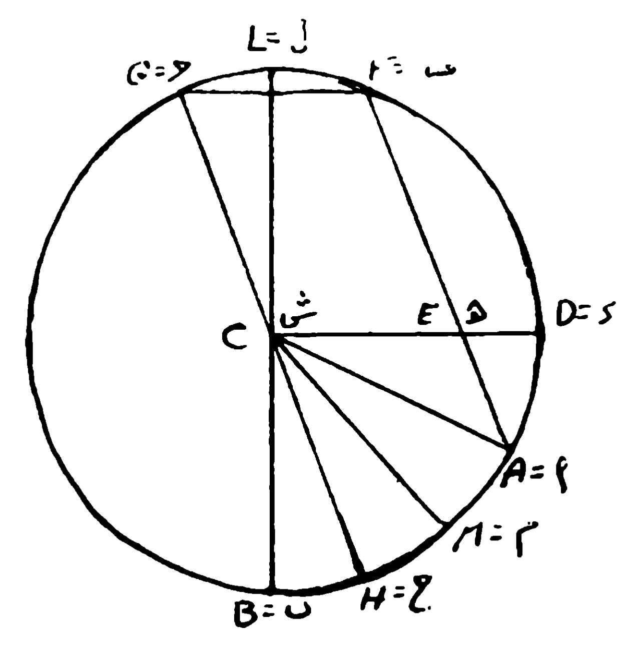


(٢) كتبنا بحثا بعنوان : « معادلة هيرون عبر العصور (ارجاع الفضل لاهل الفضل) » وقد اجيز هذا البحث للنشر في مجلة معهد المخطوطات العربية من قبل هيئة التحكيم ، وسينشر في الجزء الثاني من المجلد الثلاثين (يونيو – ديسمبر ١٩٨٦) فيا لمجلة المذكورة .

(٣) اقرأ هيوز [١٤] ص ١١ .

[كامبانوس]

[من تعليق كامبانوس على كتاب الأصول]



[العنوان] لتقسيم زاوية معطاة الى ثلاثة اقسام متساوية .

لتكن الزاوية المعطاة هي ش . اريد ان اقسمها الى ثلاثة زوايا متساوية ، وسأعمل ذلك هكذا . اولاً . افترض ش كمركز لدائرة وذلك برسم دائرة مهما كانت . واخرج الضلعين اللذين يحويان الزاوية المعطاة الى ان يقطعا المحيط في النقطتين أ ب ، ثم ، من النقطة ش ، التي هي مركز الدائرة ، ارسم خط ش د عمود على خط ش ب . وعلى خط ش د أعين النقطة هـ ، والتي ارسم منها خطا مساويا ل ش ب حيث يقطع محيط الدائرة في النقطة ت واخرج [الخط من] هـ الى أ . ثم ارسم خط جـ ح موازيا ل ف أ . واضح أن جـ ح يمر من المركز . وارسم ف جـ موازيا لخط هـ ش ، واخرج ش ب باستمرار على استقامته الى ل وامتداده يقطع ف جـ عموديا في النقطة و ، وَ [بالتالي] ينصفه . أقول ، إذن إن قوس ل جـ مساو لقوس ح ب ، لأن

زاوية ل ش ﺟ تساوي زاوية ح ش ب ، لأن الزاويتين متقابلتان بالرأس .
فقوس ف ﺟ هو ضعف قوس ل ﺟ ، ايضا قوس ف ﺟ ضعف قوس ح ب.
ولكن قوس ف ﺟ يساوي قوس ح أ ، لانهما بين خطين متوازيين ف أ وَ ﺟ ح . اذن قوس ح أ هو ضعف قوس ح ب . اذن ، زاوية أ س ح هي ضعف زاوية ح ش ب . اذن سأنصف زاوية ش ح بالخط ش م ، فذلك المطلوب قد اصبح واضحاً .

تعليق :

من الواضح ان كامبانوس أخذ البرهان عن بني موسى الا انه حاول اخفاء ذلك ، فغير الاحرف وحاول أن يختصر الحل حتى يبدو وكأن الحل من خاطره . ولكن في محاولته اختصار الحل وقع في فجوة ، اذ انه لم يدرك أهم مشكلة في الحل وهي حل مسألة التقارب . يقول كامبانوس : « أعين نقطة ﻫ . والتي ارسم منها خطا مساويا لِ ش ب بحيث تقطع محيط الدائرة في النقطة ف . واخرج [الخط من] ﻫ الى أ » .

النقطة ف ، ﻫ ، أ هنا هم النقط ط ، س ، ﻫ (على الترتيب) في برهان بني موسى . ان ايجاد النقطة ﻫ (س عند بني موسى) هو الامر الحيوي وهو حل مسألة التقارب ، اي اننا لا يمكننا ان نعين النقطة ﻫ عشوائيا . فاذا عينا النقطة ﻫ عشوائيا على الخط ش د ، ووصلناها بالنقطة أ ومددنا الخط أ ﻫ الى ف على المحيط فان ﻫ ف لن يساوي نصف قطر الدائرة . ايضا ، اذا عينا ﻫ على الخط ش د ورسمنا نصف قطر ﻫ ف يقطع المحيط في النقطة ف ومددنا المستقيم ف ﻫ على امتداده فلن يمر بالتقطة أ . وفي كلا الحالتين لا يمكن اكمال الحل . وبالتالي ، وحتى يصبح برهان كامبانوس صوابا فيجب علينا ملء الفجوة ، أي يجب حل مسألة التقارب ، أي يجب العودة الى الحيلة (الحركة الميكانيكية) المذكورة في برهان بني موسى وعندئذ يصبح برهان كومبانوس نسخة طبق الأصل عن برهان بني موسى .

★ ★ ★

المراجـــع

REFERENCES

[1] Ivor Thomas, Greek Mathematical Works, Vol. 1, From Thales to Euclid, (London, William Heinemann Ltd., 1939). pp. 346-356.

[2] Sir T.L. Heath, The Works of Archimedes, (New York, Dover Publications, Inc., This new Dover Edition is an unabridged reissue of Heath Edition of 1897 and includes the supplement of 1912). pp. c-ci.

[3] Sir Thomas Heath, A History of Greek Mathematics, Vol. 1, From Thales to Euclid, (Oxford, At the Clarendon Press, First Published 1921, Reprinted From Sheets of the First Edition 1960, 1965). pp. 235-244.

[4] Sir Thomas L. Heath, A Manual of Greek Mathematics, (Dover Publications, Inc. New York. This new Dover edition, first published in 1963, is an unabridged and unaltered republication of the work first published by Oxford University Press in 1931). pp. 147-152.

[5] Lucas N.H. Bunt, Phillip S. Jones, Jack D. Bedient, The Historical Roots of Elementary Mathematics, (Prentics,-Hall, Inc., Englewood Cliffs, New Jersey, 1976). pp. 103-112.

[٦] تحقيق : الدكتور أحمد سليم سعيدان ، تثليث الزاوية في العصور الاسـلامية ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الثامن والعشرون ــ الجزء الأول ، يناير ــ يونيو ١٩٨٤م . ص ٩٩ ــ ١٣٧ .

[٧] جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف القفطي ، تاريخ الحكماء وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات الملتقطات من كتاب اخبار العلماء . بأخبار الحكماء .

LEIPZIG DIETERICH'SCHE VERLAGSBUCHHANDLUNG, THEODOR WEICHER, 1903

مكتبة المثنى ببغداد ـ مؤسسة الخانجي بمصر . ص ٣١٥ ـ ٣١٦ .

[٨] وفيات الاعيان وانباء الزمان ، لأبي العباس شمس‌الدين احمد بن محمد بن ابي بكر بن خلكان ، حققه الدكتور احسان عباس ، دار الثقافة ـ بيروت ـ لبنان . المجلد الخامس . ص ١٦١ ـ ١٦٣ .

[٩] روائع التراث العربي ـ الفهرست لابن النديم ـ مكتبة خياط ـ شارع بلس ـ بيروت ـ لبنان . ص ٣٧١ .

[10] B. Boncompagni, ed., Seritti di Leonardo Pisano (Practica geometrie), Vol. 2 (Rome, 1862), pp. 40-42, 87-91, 153-58, 178-87.

[١١] تاريخ العلوم عند العرب ـ تأليف عمر فروخ ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م . ص ١٤٧ .

[12] Carl B. Boyer, A History of Mathematics, (John Wiley & Sons, Inc. 1968). pp. 283-285.

[13] J.F. Scott, A History of Mathematics - From Antiquity to the Beginning of the Nineteenth Century, (Barnnes & Noble Books - New York, 1975). p. 64.

(14) Barnabas B. Hughes, Jordanus de Nemore De numeris datis, University of California Press, 1981. pp. 2, 11.

(15) Marshall Clagett, Archimedes in the Middle, Ages, Vol. 1, (The University of Wisconsin Press, Madison, 1964). pp. 223-227, 638, 673-681.

(16) Dictionary of Scientific Biography, Charles Coulston Gillipie, Editor in Chief, Vol. 1, Pierre Abailard-L.S. Berg (Charles Scribner's Sons - New York, 1970). pp. 443-446.

(17) George Sarton, Introduction to the History of Scíence, (Published For the Carnegie Institution of Washington by the Williams & Wilkins Company, Baltimore, 1927). pp. 560-561.

(١٨) عيون الانباء في طبقات الاطباء ـ تأليف موفق الدين ابي العباس احمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي المعروف بـ

ابن ابي اصيبعة ـ شرح وتحقيق الدكتور نزار رضا ـ منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت (١٩٦٥) ، ص ٥٥٥ .

(19) "Curves, Special" Encyclopedia Britanica, Vol. 6, Chicago 1973, pp. 919-920.

(20) Cassell's New Latin-English, English-Latin Dictionary, by D.P. Simpson, M.A., Cassel-London, Fifth Edition, Third Impression 1971, p. 332.

(21) Dictionary of Scientific Biography, Charles Coulston Gillispie, Editor in Chief, Vol. VI, Jean Hachette - Joseph Hyrtil, (Charles Scribner's Sons - New York, 1972). pp. 189-210.



مُعادلاتُ الدرجةِ الثالثةِ فما فوق
عِندَ العَرَب

الاستاذ المساعد

خالد احمد السامرائي

كلية التربية ــ جامعة بغداد

ابتدأ اشتغال الرياضيين العرب في الجبر في القرن التاسع الميلادي وبوجه التحديد في عهد الخليفة العباسي المأمون (٨١٧م ــ ٨٣٣م) ، حيث عاش فيه أوائل الرياضيين وفي مقدمتهم محمد بن موسى الخوارزمي[١] وأعقبه علماء كثيرون اسهموا في تقــدم علم الجبر وخلفوا فيه تراثا مهما في الرياضيات الحديثة .

ولعل أحسن ما يدل على اهمية التراث الرياضي العربي ابتداءا من اشتغال الخوارزمي في الجبر ان كلمة الجبر في جميع اللغات الاوربية مأخوذة من المصطلح العربي « الجبر » الذى استعمله الخوارزمي في عنوان كتابه المشهور « كتاب الجبر والمقابلة »[٢] حيث يقصد الخوارزمي بالجبر نقل الحدود من طرف لاخر وبالمقابلة جمع الحدود المتماثلة . فالعبارة مثلا :

ب س + ٢ حـ = س^{٢} + ب س ــ حـ

تصبح بالجبر ب س + ٢ حـ + حـ = س^{٢} + ب س

وبالمقابلة س^{٢} = ٣ حـ

---

(١) هو أبو عبدالله محمد بن موسى الخوارزمي ، كان يعيش في بغداد أيام الخليفة المأمــون (١٩٨هـ ــ ٢١٨هـ) (٨١٣م ــ ٨٣٣م) كان عالمــا بالرياضيات والجغرافية والفلك ، ويعتبر واضــع علم الجبر ، وعينه المأمون رئيسا لبيت الحكمة ، وقد توفى عام ٨٤٥م .

(٢) كتاب الجبــر والمقابلة تأليف الخوارزمي ، نشره علي مصطفى مشرفة ومحمد موسى أحمد .
منشورات الجامعة المصرية . كلية العلوم . طبعة ثانية . مصــر مطبعة فتح‌الله الياس نورى وأولاده ، ١٩٣٩ .

أما أبو الوفاء البوزجاني[3] في كتابه علم الحساب العربي[4] فيقول ان « الجبــر » يشمل ازالة الحدود السالبة من طرفي المعادلة كما يشمل ازالة الكسور . اما المقابلة فتعني حذف الحدود المشتركة من الطرفين حتى تصير المعادلة بأبسط شكل ، ففي المعادلة :

$$\frac{١}{٢} س - ٣ = \frac{١}{٥} س$$

اضافة ٣ لكل من الطرفين جبر وهذا يؤدى الى :

$$\frac{١}{٢} س = \frac{١}{٥} س + ٣$$

ثم ضرب الطرفين في ١٠ لازالة الكسر جبر وهذا يؤدي الى :

٥ س = ٢ س + ٣٠

أما المقابلة فتأتي الان ومنها نستنتج ان ٣ س = ٣٠ .

وعلى هذا فالجبر علم عربي أوجده الخوارزمي ، وهذا لا يعني ان الجبر لم يكن عند العرب وعند غير العرب ، ولكن الخوارزمي جعل منه علما منظما ، فالخوارزمي قد خرج من الحال التي عرفه بها اليونان والهنود ، تلك الحال التي لم تكن تزيد على انها وجه من أوجه الحل في الحساب الى المعادلة العامة التي هي أم المعادلات كلها وأساس علم الجبر . ثم ان الخوارزمي اخرج علم الجبر من الامثلة المفردة وجعل منه نظاما آليا ذا قواعد مقررة ثابتة ، فاذا أنت حللت باحدى قواعده مسألة حسابية فان جميع المسائل المشابهة لتلك المسألة تجرى مجراها في الحل على تلك القاعدة .

الرموز الجبرية :

استعان الجبريون بعدة وسائل أو مصطلحات للتعبير عن الكميات المجهولة وغيرها من الاعداد ، وقد قارب البعض منهم ان يوجد رموزا جبرية تضاهي الرموز المستعملة في الجبر الحديث .

فقد قسم الخوارزمي الاعداد في الجبر الى ثلاثة انواع :

---

(٣) هو محمد بن يحيى بن اسماعيل العباس ولد في بوزجان عام ٣٢٨هـ (٩٤٠م) وانتقل الى العراق عام ٣٤٨هـ (٩٥٩م) وعاش في بغـداد ـ وتوفى عام ٣٨٨هـ (٩٩٨م) يعتبر من مشاهير القرن العاشر الميلادي ، اشتهر بشروحه لمؤلفات اقليدس وحل بعض المعادلات الجبرية هندسيا .

(٤) علم الحساب العربي (حساب اليد) تأليف ابو الوفاء البوزجاني ، تحقيق أحمد سعيدان (عمان ١٩٧١) .

١ ـ كلمة « الجذر » وكان يسمي ايضا « الشيء » حيث اختصرها القلصادى(٥) ومثلها بالحرف ش(٦) .
٢ ـ « المال » ويماثل ذلك مربع المجهول (س٢) واختصره القلصادي ومثلها بالحرف «م» .
٣ ـ « المفرد » أو « الخالي » ويقصد به العدد المطلق وقد اضاف علماء الرياضيات العرب المصطلحات الجبرية الاتية :
١ ـ « الكعب » ويماثل ذلك مكعب المجهول (س٣) وهو مضروب المال في الشيء وكان يرمز له بالرمز ك .
٢ ـ « مال المال » ويماثل ذلك (س٤) ومثل له بالحرفين (م م) .
٣ ـ « كعب المال » ويماثل ذلك (س٥) ومثل له بالحرفين (ك م) .
٤ ـ « التعادل » ويماثل ذلك المساواة وكان يرمز له بالحرف « ل » ليقابل اشارة المساواة الحديثة (=) .

لقد كتب القلصادي المعادلة :

٣ س٢ = ١٠ س + ٨ بالشكل

م ش

٣ ل ١٠ش و ٨

والمرجح ان الرياضي الفرنسي (فرنسوافيتا) (١٥٤٠م ـ ١٦٠٣م) اخذ فكرة القلصادي وطورها في تعبيره عن الاعداد بالحروف واضاف الى ذلك بعض الاشارات المهمة مثل علامة (+) للزائد (ـ) للناقص ويعد هذا الرياضي أول من أوجد مبدأ الرموز الجبرية في اوربا .

المعادلات الجبرية :

قسم الخورازمي في كتابه الجبر والمقابلة المعادلات الجبرية الى ستة اقسام وعرفت بالمسائل « الست الجبرية » وهي مكونة من معادلة خطية وخمس معادلات من الدرجة الثانية ، يمكن كتابتها بالرموز الجبرية على النحو الاتي :

---

(٥) هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي القريشي البسطي القلصادي . ولد في مدينة بسطة في الاندلس عام ٨١٥هـ ، ١٤١٢م وتوفى في باجة في تونس عام ٨٩١هـ ، ١٤٨٦م .

(٦) يلفظ حرف X باللغة الاسبانيـة القديمة ش وعلى ذلك استعمل الاسبان حرف X لتمثيل المجهول أو الشيء بالجبر بما يقابل اللفظ العربي ش ثم اخذ الاوربيون الحرف X عن الاسبان واستعملوه لتمثيل المجهول في الجبر . ثم اخذ العرب من الغرب مرة ثانية في عصرنا هذا فكان حرف س يمثل للمجهول في الجبر .

ب س = أ

حـ س^{٢} = أ

حـ س^{٢} = ب س

حـ س^{٢} + ب س = أ

حـ س^{٢} + أ = ب س

حـ س^{٢} = ب س + أ

حيث أ ، ب ، حـ ثوابت .

لقد حل الخوارزمي هذه المعادلات باعطاء أمثلة عددية واعطى لكل حالة بالكلمات دون استخدام الرموز .

لقد سار العلماء الرياضيون العرب بعد الخوارزمي على نهجه في حل هذه المسائل وقد اطلق عليها المسائل الست لشهرتها كما كتبوا للحالات الثلاث الاخيرة طريقة عامة للحل وهي :

« اذا كانت الجذور مع الاموال نطرح النصف وان كانت مع العدد نحمله ، وان كانت وحدها طرحت العدد من ضرب التنصيف في نفسه وحملت جذور الفاضل ونقصه يخرج لك جذر المال » . . .

أما معادلات الدرجة الثالثة فقد قام عدد من العلماء الرياضيين العرب بتصنيفها ، وقد استخرج الامام شرف‌الدين المسعودي(٧) تسع عشرة مسألة غير الست المشهورة ، وبين كيفية استخراج المجهول فيها .

أما المعادلات التكعيبية التسع عشرة بالرموز الحديثة فهي(٨) :

د س^{٣} = أ

د س^{٣} = ب س^{٢}

د س^{٣} = حـ س^{٢}

د س^{٣} = ب س + أ

د س^{٣} = حـ س^{٢} + أ

د س^{٣} = حـ س^{٢} + ب س

---

(٧) شرف‌الدين المسعودي ، هو رياضي عاش في نهاية القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر وقد عاش في خراسان .

(٨) انظر « كتاب مفتاح الحساب » تأليف « جمشيد غياث‌الدين الكاشي » تحقيق وشرح الاستاذ احمد سعيد الدمرداش ، والدكتور محمد حمدى الحفني الشيخ .
مراجعة الاستاذ عبدالحميد لطفي .
دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ، ١٩٦٧ صفحة ٣١٠ .

د $س^{٢}$ + أ = ب س

د $س^{٢}$ + أ = ح $س^{٢}$

د $س^{٢}$ + ب س = أ

د $س^{٢}$ + ب س = ح $س^{٢}$

د $س^{٢}$ + ح $س^{٢}$ = أ

د $س^{٢}$ + $س^{٢}$ = ب س

د $س^{٢}$ = ح $س^{٢}$ + ب س + أ

د $س^{٢}$ + ب س + أ = ح $س^{٢}$

د $س^{٢}$ + ح $س^{٢}$ + أ = ب س

د $س^{٢}$ + ح $س^{٢}$ + ب س = أ

د $س^{٢}$ + أ = ح $س^{٢}$ + ب س

د $س^{٢}$ + ب س = ح $س^{٢}$ + أ

د $س^{٢}$ + ح $س^{٢}$ = ب س + أ

اما معادلات الدرجة الرابعة فيمكن تصنيفها وترتيبها في خمس وستين معادلة[٩] وقد تمكن عدد من العلماء الرياضيين العرب من حل هذه المعادلات ، ويمكن كتابتها بالرموز الحديثة على النحو الاتي :

هـ $س^{٤}$ = أ

هـ $س^{٤}$ = ب س

هـ $س^{٤}$ = ج $س^{٢}$

هـ $س^{٤}$ = د $س^{٢}$

هـ $س^{٤}$ = ب س + أ

هـ $س^{٤}$ = ح $س^{٢}$ + أ

هـ $س^{٤}$ = د $س^{٢}$ + أ

هـ $س^{٤}$ = ح $س^{٢}$ + ب س

هـ $س^{٤}$ = د $س^{٢}$ + ب س

هـ $س^{٤}$ = د $س^{٢}$ + ح $س^{٢}$

هـ $س^{٤}$ + أ = ب س

هـ $س^{٤}$ + أ = ح $س^{٢}$

هـ $س^{٤}$ + أ = د $س^{٢}$

هـ $س^{٤}$ + ب س = أ

هـ $س^{٤}$ + ب س = ح $س^{٢}$

(٩) انظر المصدر في (٨) صفحة ٣١١ .

هـ س^{٤} + ب س = د س^{٢}

هـ س^{٤} + حـ س^{٢} = أ

هـ س^{٤} + جـ س^{٢} = ب س

هـ س^{٤} + جـ س^{٢} = د س^{٢}

هـ س^{٤} + د س^{٢} = أ

هـ س^{٤} + د س^{٢} = ب س^{٢}

هـ س^{٤} + د س^{٢} = حـ س^{٢}

هـ س^{٤} = حـ س^{٢} + ب س + أ

هـ س^{٤} = د س^{٢} + ب س + أ

هـ س^{٤} = د س^{٢} + حـ س^{٢} + أ

هـ س^{٤} = د س^{٢} + حـ س^{٢} + ب س

هـ س^{٤} + ب س + أ = حـ س^{٢}

هـ س^{٤} + ب س + أ = د س^{٢}

هـ س^{٤} + حـ س^{٢} + أ = ب س

هـ س^{٤} + حـ س^{٢} + أ = د س^{٢}

هـ س^{٤} + د س^{٢} + أ = ب س

هـ س^{٤} + د س^{٢} + أ = حـ س^{٢}

هـ س^{٤} + حـ س^{٢} + ب س = أ

هـ س^{٤} + جـ س^{٢} + ب س = د س^{٢}

هـ س^{٤} + د س^{٢} + ب س = أ

هـ س^{٤} + د س^{٢} + ب س = حـ س^{٢}

هـ س^{٤} + د س^{٢} + حـ س^{٢} = أ

هـ س^{٤} + د س^{٢} + حـ س^{٢} = ب س

هـ س^{٤} + أ = د س^{٢} + ب س

هـ س^{٤} + أ = د س^{٢} + ب س

هـ س^{٤} + أ = د س^{٢} + حـ ں^{٢}

هـ س^{٤} + ب‌س = حـ س^{٢} + أ

هـ س^{٤} + ب س^{٢} = د س + أ

هـ س^{٤} + ب س = د س^{٢} + حـ س^{٢}

هـ س^{٤} + حـ س^{٢} = ب س + أ

هـ س^{٤} + حـ س^{٢} = د س^{٢} + أ

هـ ں^{٤} + حـ س^{٢} = د س^{٢} + ب س

هـ س^{٤} + د س^{٢} = ب س + أ

هـ س٤ + د س٣ = حـ س٢ + أ
هـ س٤ + د س٣ = حـ س٢ + ب س
هـ س٤ = د س٣ + حـ س٢ + ب س + أ
هـ س٤ + د س٣ + حـ س٢ + ب س = أ
هـ س٤ + د س٣ + حـ س٢ + أ = ب س
هـ س٤ + د س٣ + ب س + أ = حـ س٢
هـ س٤ + حـ س٢ + ب س + أ = د س٣
هـ س٤ + أ = د س٣ + حـ س٢ + ب س
هـ س٤ + ب س = د س٣ + جـ س٢ + أ
هـ س٤ + د س٣ = حـ س٢ + ب س + أ
هـ س٤ + جـ س٢ + ب س = د س٣ + أ
هـ س٤ + ب س + أ = دس٣ + حـ س٢
هـ س٤ + د س٣ + ب س = جـ س٢ + أ
هـ س٤ + د س٣ + جـ س٢ = ب س + أ

طرق حل المعادلات من الدرجة الثالثة

١ ـ طريقة المعادلات التربيعية

بالاستناد الى واحدة من المسائل الثلاث الاخيرة للمسائل الست الشهيرة ، قام عدد من العلماء العرب بحل بعض المعادلات الخاصة من الدرجة الرابعة والسادسة .

ينسب الى الكرجي [١٠] حل نمط من المعادلات على

ا س٢ن + ب سن = حـ + ب سن = حـ

فقد حل الكرجي مسائل تؤدي الى المعادلات الجبرية الاتية :

س٤ + ٥ س٢ = ١٢٦
س٤ + ٦ س٢ = ٤٠
س٤ + ٢٤ = ١٠ س٢

---

(١٠) هو أبو بكر محمد بن الحسن الحاسب الكرجي ويسميه بعضهم بالكرخي ، ظهر في بغداد في عهد فخر الملك ابن غالب المتوفى سنة ١٠١٦م ، وقد توفى الكرجي سنة ١٠٢٩م .
وللكرجي كتاب الكافي في الحساب وكتاب الفخري في الجبر .

$\text{س}^{٤} = ٦\ \text{س}^{٢} + ٢٧$

$\text{س}^{٦} + ٥\ \text{س}^{٢} = ١٠٤$

$\text{س}^{٦} + ١٦ = ١٠\ \text{س}^{٢}$

$\text{س}^{٦} = ٦\ \text{س}^{٢} + ١٦$

أما جمشيد غياث الدين الكاشي (١١) في كتابه مفتاح الحساب (١٢) فقد حل نوعا من المسائل على الصورة الآتية :

١) اذا كان $\pm\ \text{حـ}\ \text{س}^{\text{ن}+٢} \pm \text{ب}\ \text{س}^{\text{ن}+١} \pm \text{أ}\ \text{س} = \text{صفر}$

فانه اما ان $\pm\ \text{حـ}\ \text{س}^{٢} \pm \text{ب}\ \text{س} \pm \text{أ} = \text{صفر}$ أو

اما ان $\text{س} = \text{صفر}$.

مثال ذلك :

$٦\ \text{س}^{٣} = ٨\ \text{س}^{٤} + \text{س}^{٥}$

وهذه تقترن مع معادلة الدرجة الثانية

$٦ = ٨\ \text{س} + \text{س}^{٢}$

ب) اذا كان $\text{أ}\ \text{س}^{\text{ن}} = \text{ب}\ \text{س}^{\text{م}}$

فان $\text{س}^{\text{ن}-\text{م}} = \frac{\text{ب}}{\text{أ}}$

ومنها $\text{س} = \sqrt[\text{ن}-\text{م}]{\frac{\text{ب}}{\text{أ}}}$

(١١) ولد الكاشي في اواخر القرن الرابع عشر الميلادي في مدينة كاشان ، وجاء الى سمرقند وعمل مع الامير اولوغ بك ، وكانت وفاته في عام ١٤٣٦م .

(١٢) انظر المصدر في هامش (٨) .

ومثال ذلك :

١) $\text{٦٤ س}^{٢} = \text{٤ س}^{٦}$

$$\text{س}^{٦-٢} = \frac{\text{٦٤}}{\text{٤}} = \text{١٦}$$

$$\text{س} = \sqrt[\text{٤}]{\text{١٦}} = \text{٢}$$

٢) $\text{٤٠} = \text{٥ س}^{٣}$

$$\text{س}^{٣} = \frac{\text{٤٠}}{\text{٥}} = \text{٨}$$

$$\text{س} = \sqrt[\text{٣}]{\text{٨}} = \text{٢}$$

٣) $\text{٣٤٣} = \text{٣ س}^{٤}$

$$\text{س}^{٤} = \frac{\text{٣٤٣}}{\text{٣}} = \text{٨١}$$

$$\text{س} = \sqrt[\text{٤}]{\text{٨١}} = \text{٣}$$

أما ابن بدر(١٣) فقد حل المسائل التي تؤدى الى معادلة من الدرجة الرابعة

(١٣) هو ابو عبدالله محمد بن عمر بن محمد المعروف بأبن بدر ، من علماء القرن الثالث عشر للميلاد ، من اشبيلية له كتاب في اختصار الجبر والمقابلة .

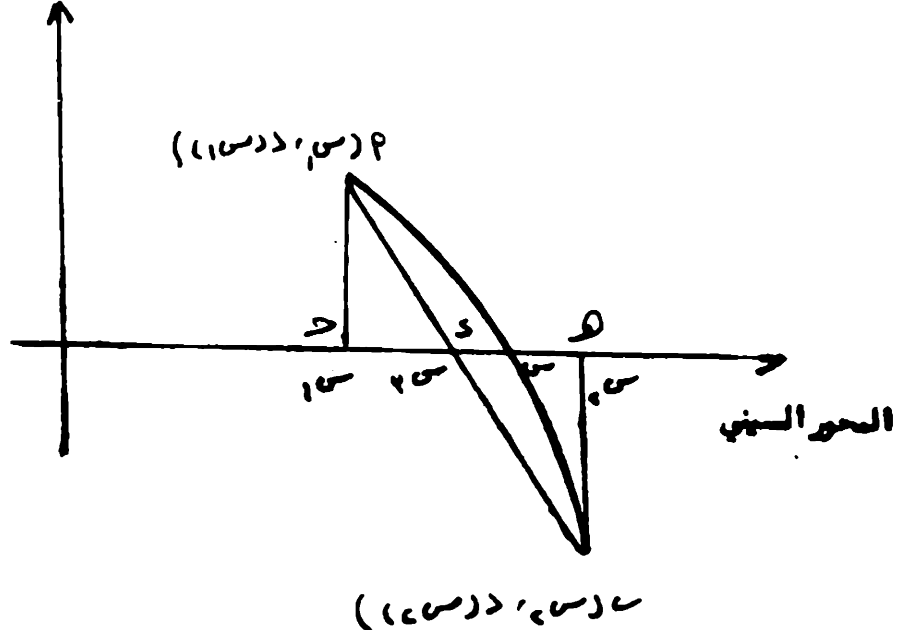
وهي من الشكل $\frac{س^4}{12} = س^3 + 24$

بأن فرض $س^2 = ص$ ثم حل المعادلة $\frac{ص^2}{12} = ص + 24$

٢ ــ طريقة موقع الخطأ المزدوج

هي واحدة من الطرق العربية لحل معادلات الدرجة الثالثة بصورة تقريبية ولتوضيحها بالاسلوب الحديث ، نفرض ان $س_2$ ، $س_1$ عددان يقعان قرب وعلى جهتي جذر س للمعادلة د (س) = ٠ فان التقاطع مع محور س والوتر الواصل بين النقطتين :

($س_1$ ، د ($س_1$) و ($س_2$ ، د ($س_2$) يعطي تقريبا س للجذر المطلوب البحث عنـه .



شكل ١

لاحظ الشكل (١) يمكن البرهنة على أن :

$$\text{س}_{٣} = \frac{\text{س}_{٢}\,\text{د}(\text{س}_{١}) - \text{س}_{١}\,\text{د}(\text{س}_{٢})}{\text{د}(\text{س}_{١}) - \text{د}(\text{س}_{٢})}$$

ويتم ذلك من المثلثين القائمي الزاوية المتشابهين أ جـ د ، د ب هـ

على ان $\frac{\text{أ جـ}}{\text{هـ ب}} = \frac{\text{جـ د}}{\text{د هـ}}$

$$\frac{\text{د}(\text{س}_{١})}{-\text{د}(\text{س}_{٢})} = \frac{\text{س}_{٣} - \text{س}_{١}}{\text{س}_{٢} - \text{س}_{٣}}$$

$$\text{س}_{٢}\,\text{د}(\text{س}_{١}) - \text{س}_{٣}\,\text{د}(\text{س}_{١}) = -\,\text{س}_{٣}\,\text{د}(\text{س}_{٢}) + \text{س}_{١}\,\text{د}(\text{س}_{٢})$$

$$\text{س}_{٣}\left(\text{د}(\text{س}_{٢}) - \text{د}(\text{س}_{١})\right) = \text{س}_{١}\,\text{د}(\text{س}_{٢}) - \text{س}_{٢}\,\text{د}(\text{س}_{١})$$

$$\text{س}_{٣} = \frac{\text{س}_{١}\,\text{د}(\text{س}_{٢}) - \text{س}_{٢}\,\text{د}(\text{س}_{١})}{\text{د}(\text{س}_{٢}) - \text{د}(\text{س}_{١})}$$

أو

$$\text{س}_{٣} = \frac{\text{س}_{٢}\,\text{د}(\text{س}_{١}) - \text{س}_{١}\,\text{د}(\text{س}_{٢})}{\text{د}(\text{س}_{١}) - \text{د}(\text{س}_{٢})}$$

٣ ـ الطريقة الهندسية :

الى جانب استعمال الرياضيين العرب الجبر في حل بعض القضايا الهندسية وضعوا طرقا هندسية لحل بعض معادلات الدرجة الثانية . وحلّ الجبريون العرب بعض المعادلات من الدرجة الثالثة والرابعة هندسيا مثل ابن الهيثم وثابت بن قرة وسنان بن الفتح وعمر الخيام وغيرهم .

هناك طريقتان هندسيتان رئيسيتان لحل معادلة الدرجة الثالثة .

الاولى : بانشاء مضلع منتظم داخل دائرة بسبعة أضلاع أو تسعة اضلاع فنجد مثلا ان « أبو الجود »[١٤] قد حل معادلة الدرجة الثالثة $س^{٣} - س^{٢} - ٢ س + ١ = ٠$ بانشاء ضلع مسبع منتظم داخل دائرة بعد ان حاول الكثيرون حل هذه المعادلة[١٥] .

أما البيروني[١٦] في كتابه استخراج الاوتار من الدائرة[١٧] ، فقد حل معادلة الدرجة الثالثة $س^{٣} = ٣س + ١$ باستخراج ضلع ذى تسعة اضلاع منتظم

---

(١٤) ابو الجود بن محمد بن الليث وهو من علماء القرن العاشر للميلاد ، اشتغل بالهندسة ورسم المضلعات المنتظمة « المسبع والمتسع » وحل المعادلات الجبرية بالقطوع المخروطية .

(١٥) « انظر » التراث العلمي العربي ، تأليف قدري طوقان سنة ١٩٥٤ ، ص ١٤ و ٧٧ .

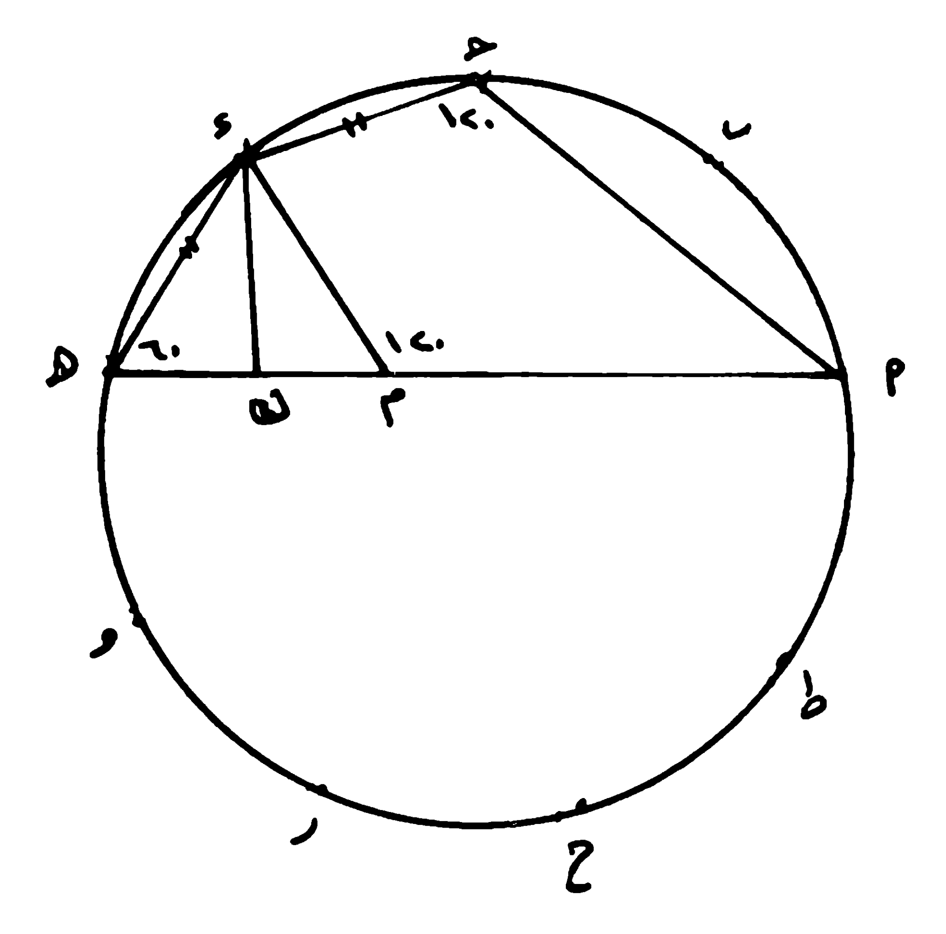
(١٦) هو أبو الريحان محمد بن احمد البيروني ، ولد في بيرون عاصمة خوارزم سنة ٣٦٢هـ = ٩٦٣م وعاش فترة طويلة من حياته في الهند ، واشتغل بالرياضيات والفلك والفيزياء والتاريخ والجغرافية والفلسفة . توفى عام ٤٤٢هـ = ١٠٥٠م .

(١٧) استخراج الاوتار في الدائرة بخواص الخط المنحني فيها ، تأليف ابي الريحان محمد بن احمد البيروني .
تحقيق الاستاذ احمد سعيد الدمرداش ومراجعة الاستاذ عبد الحميد لطفي .
المؤسسة المصرية للتأليف والانباء والنشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، اذار سنة ١٩٦٥ .

داخل دائرة ، وتتم العملية كالاتي :

« المطلوب ايجاد وتر المتسع المنتظم داخل الدائرة »

العمل : نقسم الدائرة الى تسعة اجزاء متساوية في أ ، ب ، جـ ، د ، هـ ، و ، ر ، ح ، ط . ثم نصل أ حـ ، أ د ، أ هـ ، جـ د ، د هـ ، هـ ر . ثم ننزل العمود د ل .



البرهان : نقطة د منتصف القوس أ د ر

$$\therefore \text{أ د}^{2} = \text{د هـ}^{2} + \text{أ هـ} \cdot \text{هـ ر}$$

[لأن : $\overline{\text{أد}}^{2} = \overline{\text{أل}}^{2} + \overline{\text{لد}}^{2}$

$= \overline{\text{أل}}^{2} + \overline{\text{هـد}}^{2} - \overline{\text{لهـ}}^{2}$

$= \overline{\text{هـد}}^{2} + \overline{\text{أل}}^{2} - \overline{\text{لهـ}}^{2}$

$= \overline{\text{دهـ}}^{2} + (\text{أل} + \text{لهـ})(\text{أل} - \text{لهـ})$

$= \overline{\text{دهـ}}^{2} + \text{أهـ} \cdot \text{أد}$

$= \overline{\text{دهـ}}^{2} + \text{أهـ} \cdot \text{أحـ}$

$= \overline{\text{دهـ}}^{2} + \text{أهـ} \cdot \text{هـر}$]

كذلك نقطة حـ منتصف الوتر أ حـ هـ

∴ $\overline{\text{أحـ}}^{2} = \overline{\text{دحـ}}^{2} + \text{أد} \cdot \text{دهـ}$

∴ $\text{أد} = \dfrac{\overline{\text{أحـ}}^{2} - \overline{\text{دحـ}}^{2}}{\text{دهـ}}$

وباعتبار ضلع المتسع ١ أى د هـ = د حـ = ١

يكون أد = $\dfrac{\overline{\text{أحـ}}^{2} - 1^{2}}{1} = \overline{\text{أحـ}}^{2} - 1$

$\therefore\ \overline{\text{اد}}^{٢} = \overline{\text{اح}}^{٤} + ١ - ٢\ \overline{\text{اح}}^{٢}$

وباعتبار $\text{اح} = \text{هـ ر} = \text{ام} = \text{س}$

$\therefore\ \overline{\text{اد}}^{٢} = \text{س}^{٤} + ١ - ٢\ \text{س}^{٢}$

ولكن $\overline{\text{اد}}^{٢} = \overline{\text{د هـ}}^{٢} + \text{ا هـ} \cdot \text{هـ ر} = \overline{\text{د هـ}}^{٢}$

$+ (\text{ام} + \text{م هـ})\ \text{هـ ر}$

$= \overline{\text{د هـ}}^{٢} + \overline{\text{هـ ر}}^{٢} + \text{م هـ} \cdot \text{هـ ر}$

$= \overline{\text{د هـ}}^{٢} + \overline{\text{هـ ر}}^{٢} + \text{د هـ} \cdot \text{هـ ر}$

$= ١ + \text{س}^{٢} + \text{س}$

$\therefore\ \text{س}^{٤} + ١ - ٤\ \text{س}^{٢} = ١ + \text{س}^{٢} + \text{س}$

$\therefore\ \text{س}^{٤} = ٣\ \text{س}^{٢} + \text{س}$

$\therefore\ \text{س}^{٣} = ٣\ \text{س} + ١$

وقد قام البيروني بحل هذه المعادلة بالاستقراء ووصل الى ان

$$س = 1\;\;52'\;\;45''\;\;47'''\;\;13^{(4)} = \left[1 + \frac{52}{60} + \frac{45}{60^2} + \frac{47}{60^3} + \frac{13}{60^4}\right]$$

$$أهـ = 2\;\;54'\;\;45''\;\;47'''\;\;13^{(4)}$$

باعتبار ان وتر المتســع ١ ٠ وينتــج من ذلك ان وتر المتســع هو : (٠′ ، ٤١″ ، ٢″ ٠ ، ٣٢(٤) ، ٤١(٥) ، ٥٥(٦)) وبتحويله الى كسر عشري ينتج ان وتر المتسع يساوي :

$$\frac{0}{60} + \frac{41}{60^2} + \frac{2}{60^3} + \frac{32}{60^4} + \frac{41}{60^5} + \frac{55}{60^6}$$ اى يســـــاوى

٠ر٦٨٤٠٤٠٢٧[18] .

الثانية : الطريقــة الهندســية لحل معادلات الدرجة الثالثة والرابعة باستخدام تقاطع القطوع المخروطية ، فقد استخدم هذه كل من ابن الهيثم[19] وثابت بن قرة[20] والخيـــام[21] وغيرهم ، فاذا كانت المعادلة التكعيبية من الشكل :

---

(١٨) انظر المصدر في هامش ١٧ صفحة ١٦٨ .

(١٩) ولد أبو علي الحسن بن الهيثم في البصرة في حدود ٩٦٥م وتوفى في مصر في حدود ١٠٣٩م ، حيث قصد القاهرة وعاش فيها في عهد الخليفة الفاطمي الحاكـم (٩٦٩ ــ ١٠٢١م) ونـال حظوة كبيرة في بلاطـه . وقد برز في الطبيعة والفيزياء والرياضيات .

(٢٠) اصـل ثابت بن قرة (٨٣٥ ــ ٩٠٠م) من حران في الشـام واشتهر باشتغاله بالرياضيات والطب والفلك والفلسفة .

(٢١) هو ابو الفتح عمر الخيام العالم والشاعر والفيلسوف ، ولد في نيسابور سنة ١٠٤٨م ، توفى فيها سنة ١١٢٢ . كتب في الجبر في حل المعادلات

س^{3} + أ س^{2} + ب^{2} س + حـ^{3} = ٠

فعند التعويض عن س^{2} في هذه المعادلة في ٢ م ص نحصل على :

٢ م س ص + ٢ أ م ص + ب^{2} س + حـ^{3} = ٠

ولما كانت المعادلة الناتجة تمثل قطعا زائدا والتساوى س^{2} = ٢م ص المستخدم بالتعويض يمثل قطعا مكافئا ، فأن من الواضح انه اذا رسم القطع الزائد والقطع المكافيء على محور احداثي واحد فان البعد السيني لنقطة تقاطع المنحنين ستكون جذر المعادلة التكعيبية ٠ وهناك عدد من ازواج القطوع المخروطية قد استخدمت بالطريقة نفسها لحل المعادلات التكعيبية ٠

فحل معادلة الدرجة الثالثة :

س^{3} + أ س^{2} + ب^{2} س = ب^{2} حـ

يكون بحساب المسافة الافقية لتقاطع القطع الزائد :

س (س + ص) = ب حـ والدائرة ص^{2} = (س + أ) (حـ − س)

وحل المعادلة :

س^{3} − أ س^{2} + ب^{2} س = ب^{2} حـ

يكون بحساب المسافة الافقية لتقاطع القطع المخروطي

س (ب − ص) = ب حـ والدائرة

ص^{2} = (ب − أ) (حـ − س)

وحل البوزجاني المعادلة

س^{4} + حـ س^{2} = هـ

بطريقة تقاطع القطع الزائد ص^{2} + حـ س ص − هـ = ٠ والقطع المكافيء ص^{2} = س ٠

= من الدرجة الثالثة واعتقد خطأ ان حل هذه المعادلات بشكل عام لايكون الا بالطرق الهندسية ، كما لم يبحث عن الحلول العددية الا في حالة الجذور الموجبة .

وتمكن الخيام من حل المعادلة من الدرجة الرابعة (١٠٠ − $\text{س}^{٢}$) (١٠٠ − $\text{س}^{٢}$) = ٨١٠٠ ٠

بحساب المسافة الافقية تقاطع القطع الزائد (١٠ − س) ص = ٩٠ ٠

والدائرة $\text{س}^{٢} + \text{ص}^{٢} = ١٠٠$

والآن لنأخذ المعادلة التكعيبية :

$$\text{س}^{٣} + \text{ب}^{٢}\,\text{س} + \text{أ}^{٣} = \text{حـ}\,\text{س}^{٢}$$

حيث تمثل أ ، ب ، حـ ، س اطوال قطعات مستقيمة ونحاول أن نرسم القطعة الافقيـــة لتقاطع القطوع المخروطية بالطريقة التي يعملها الرياضيون العرب ٠

ان خطوات حل المعادلة السابقة هي[٢٢] :

(أ) اذا علمت قطعات المستقيمات التي اطوالها أ ، ب ، ن ولغرض رســم قطعة مستقيم م بحيث ان م = $\frac{\text{أ}^{٣}}{\text{ب ن}}$ نقول اذا كان $\frac{\text{أ}}{\text{س}} = \frac{\text{ب}}{\text{أ}}$

فان س = $\frac{\text{أ}^{٣}}{\text{ب}}$

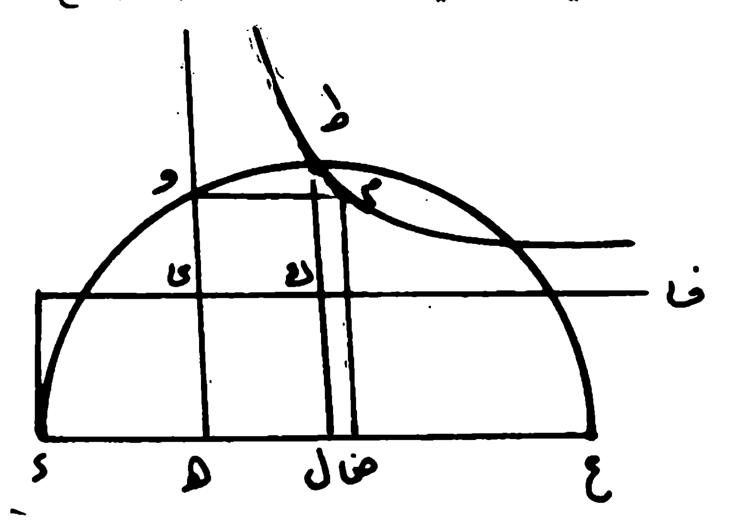
ومن ثم اذا كان $\frac{\text{أ}}{\text{م}} = \frac{\text{ن}}{\text{س}}$ فان م = $\frac{\text{أ}^{٣}}{\text{ب ن}}$

(٢٢) انظر كتاب « مقدمة في تاريخ الرياضيات » .
تأليف « هوارد ايفنز »
منشورات هلوت وانيهرات ونستون . الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٩ ، صفحة ٢٠٢ .

٣٤

(ب) نرسم شكلا فيه د هـ = ـــــــ (من أ) ، هـ ع = حـ ،
ب٢

ونرسم نصف دائرة على د ع كقطر لها ونجعل العمود الى د ع عند هـ يقطعها في و • على هـ و نعلم هـ ى = ب وخلال ى نرسم ى ف موازيا الى د ع • ونجد نقطة ص على هـ ع بحيث ان (هـ ص) (ىد) = (هـ ى) (د هـ) ثم نكمل المستطيل و هـ ص م • خلال م نرسم قطعا زائدا مستطليا له المحاذيان ى ف ، ى و ونجعله يقطع نصف الدائرة ط •



ليكن الموازى الى و ى خلال ط يقطع ى ف في ى و هـ ع في ل ثم يطلب منا هنا أن نبرهن بالتتابع :ـ

١ ـ (ى ك) (ك ط) = (هـ ص) (ى و) = (هـ ى) (د هـ) •

٢ ـ (هـ ل) (ل ط) = (هـ ى) (د ل)

٣ ـ (ل ط)٢ = (د ل) (ل ع)

٤ ـ (هـ ى)٢ / (هـ ل)٢ = (ل ط)٢ / (د ل)٢ = ل ع / د ل

٥ (هـ ى)٢ (دل) = (هـل)٢ (لع)

$$٦ - ب^٢ \left(هـ ل + \frac{أ^٣}{ب^٢} \right) = (هـ ل)^٢ (حـ - هـ ل)$$

$$٧ - (هـ ل) + ب^٢ (هـ ل) + أ^٣ = حـ (هـ ل)^٢$$

وهكذا يكون هـ ل جذر المعادلة التكعيبية المعلومة .

البرهان :

مما تقدم يكون لدينا هـ ع = حـ ، د هـ = $\frac{أ^٣}{ب^٢}$

$$د ع = \frac{أ^٣}{ب^٢} + حـ$$

نجد نقطة ص بحيث ان (هـ ص) (ى و) = (هـى) (دهـ) من خصائص القطع الزائد المستطيلي ان :

ط ك = وم = هـ ط ، ى ك = ك و

اذن (ى ك) (ط ك) = (هـ ص) (ىد) = (هـس) (دهـ) وهـذا برهان (١) لبرهان (٢) ، نكتب :

$$\frac{كط}{هـى} = \frac{دهـ}{ىك} ،$$

$$\frac{طن + هـى}{هـى} = \frac{دهـ + ىك}{ىك} ، هـى = ل ك ، ىك = هـك$$

$$\frac{طك + لك}{هـى} = \frac{دهـ + هـل}{ىك}$$

(هـل) (لط) = (هـى) (دل) وهو برهان (٢) .

لبرهان (٣) : بما ان المثلثين القائمي الزاوية د ط ل ، ل ط ع متشابهان ، لان كلا منهما يشابه المثلث القائم الزاوية د ط ع .

أو اذن : $\frac{\text{دل}}{\text{لط}} = \frac{\text{لط}}{\text{لع}}$

ومنهـا :

(ل ط)٢ = (د ل) (ل ع) وهو برهان (٣)
لبرهان (٤) نكتب من (٢) :

$\frac{\text{هـى}}{\text{هـل}} = \frac{\text{لط}}{\text{دل}}$

$\frac{(\text{هـى})^2}{(\text{هـل})^2} = \frac{(\text{لط})^2}{(\text{دل})^2} = \frac{\text{ل ع}}{\text{دل}}$

لبرهان (٥) ، نكتب
(هـ ى)٢ (د ل) = (هـل)٢ (ل ع)
والى (٦) نكتب :
ب٢ (د ل + هـل) = (هـل)٢ (هـع ـ هـل)

ب٢ (هـل + $\frac{\text{أ٢}}{\text{ب٢}}$) = (هـل)٢ (حـ ـ هـل)

واخيرا .. نكتب :ـ
(هـل)٢ + ب٢ (هـل) + أ٢ = حـ (هـ ل)٢
وهكذا يكون س = هـ ل جذر المعادلة التكعيبية :
س٣ + ب٢س + أ٢ = حـس٢
وخلاصة القول ، ان الحلول الهندسية لمعادلات الدرجة الثالثة كانت واحدة من المساهمات العظيمة للرياضيين العرب في الجبر .

التعدية بالباء في تحقيقات اللغويين

الدكتور محمد ضاري حمادي
جامعة بغداد — كلية الاداب

أشار اللغويون المحدثون الى تراكيب في منظوم الشعراء ، ومنثور الأدباء ، ومنقول المترجمين الى العربية في مختلف المعارف والعلوم ، مبيّنين أن تلك التراكيب قد عدَّتْ ما استعملته من الأفعال — أو ما جرى مجراها — بالباء تعديةً مخالفة لما تقتضيه العربية في أسلوبها العالي ، وقواعدها الدقيقة .

وقد لحظت ، وأنا أقف على أقوال أولئك العلماء ، أنّ من تحقيقاتهم ماكان موضع اختلافهم الشديد الذي قد يصل الى أن يمنع هذا ماهو الأعلى عند ذاك . وأن كلاً يسعى الى إثبات مايبدي بما يقع عنده من أدلة أواستناد . ثم لحظت أنّ من تحقيقاتهم ما لا يصح أن يوصف بصفة التحقيق ، لأنه إنما أُصْدِر مفتقراً الى التوثيق العلمي الكافي أو خلواً من أي تحقيق أو توثيق ! !

وعلى ذلك ، رأيت أن أحقق تلك التراكيب التحقيق الذي يستلزمه البحث العلمي ، مبتغياً الوصول الى حقيقته ودفع الخلاف بين الذين تصدوا لمعالجته ؛ فلم يتفقوا على القول فيه قولاً واحداً .

لقد انتهى هذا البحث الى مارآه من نتائج ، وما خلص إليه من أحكام ، بعد استقراء وتأمل ، وموازنات وترجيح وكان ذلك أسلوبه ومنهجه في جميع ما خاض فيه وما بذل ، وهو يسعى الى التركيب العربي الأصيل .

« بَصَّرَ »

خطّأ زهدي جار الله أن يقال : « بصَّرَهُ بالحقيقة » بمعنى « عرَّفه إياها » موجباً حذف الباء(١) . ولم يورد مايدعم به تلك التخطئة من شواهد أوقواعد . وقد جاء في اللسان هذا النص : « بصَّره الأمر : . . . فهَّمة إياه »(٢) مما يُعَدّ مستنداً للباحث المذكور ولمن ارتضى تلك التخطئة كمحمد جعفر الكرباسي الذي أورد النص القرآني : (يبصّرونهم) (٣) . ثم قال : . . . « فلا يقال : بصَّرهُ بالحقيقة . الصواب : بصَّره الحقيقة » (٤) . . . لكن صحة هذا التعبير (بحذف الباء) لاتعني خطأ التعبير الآخر (بإثبات الباء) ، وأن عدم ورود الاثبات في اللسان لايمنع وروده في غيره من المظان. وعلى هذا يقف هذا البحث مع محمد العدناني حين أورد إثبات الباء عن أساس البلاغة وعن المصباح المنير . يقول الأساس : « بصّرته كذا ، وبصّرته به: إذا علّمته إياه . »(٥) ، ويقول المصباح : « ويتعدى [يقصد الفعل « بصُرَ»] بالتضعيف الى ثانٍ ، يقال : بصَّرْته به تبصيراً (٦) . » ثم أشار العدناني الى إجازة الوجهين في مدّ القاموس وفي المعجم الوسيط (٧) . على أن ما

(١) الكتابة الصحيحة : زهدي جار الله ــ ٤٦ . (ط ٢ . بيروت ١٩٧٧) .
(٢) لسان العرب : ابن منظور ــ مادة (ب ص ر) . (طبعة دار صادر ــ بيروت ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م) .
(٣) المعارج ــ ١١ .
(٤) نظرات في أخطاء المنشئين : محمد جعفر ابراهيم الكرباسي ــ ١/٦٠ . (النجف ــ مطبعة الآداب ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) .
(٥) أساس البلاغة : جارالله الزمخشري ــ مادة (ب ص ر) . (بيروت ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م) .
(٦) المصباح المنير : الفيومي ــ مادة (ب ص ر) (القاهرة ــ البابي الحلبي ــ ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م) .
(٧) معجم الاخطاء الشائعة : محمد العدناني ــ ٣٨ . (بيروت ــ مكتبة لبنان ــ ١٩٧٣م) . وينظر في مادة (ب ص ر) في « مد القاموس » ــ وليم لين ، و « المعجم الوسيط » ــ مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٣٨٠هـ/١٩٦١م .

ينبغي التنبه لـه أن الصورتين ليستا على صعيد واحـد من حيث السعة والذيوع ، وأن غياب صورة الاثبات في معظم معجمات العربية ، ولا سيما التـاج واللسان ليحمل هذه الدلالة . ولقد رجعتُ الى القرآن الكريم فألفيت هذا الفعل (بصَّر) متعدياً بنفسه لابالبـاء ، ورجعت الى الحديث الشريف فلم أجد سوى ذلك ومنه « ثم لقد بصَّر أبو بكر الناس الهدى »(٨) وبذا يخلص هذا البحث إلىأن التخطئة (تخطئة الاثبات) ليست في محلها ، لأن النصوص الفصيحة تعضد صورة الاثبات ، مثلما هو يخلص إلى أن الاجازة (إجازة الوجهين) بعيداً عن بيان المستوى اللغوي وأفضلية التعبير ليست موافقة للواقع اللغوي ولا منسجمة مع مواقف المعاجم الأساسية ، وأن مايطمئن اليه هذا البحث هو اعتماد صورة الحذف من دون إنكار صورة الإثبات .

« حـــدا »

خطّأ إبراهيم اليازجي أن يقال: « حدابه » (٩) وأوجب حذف البـاء وسار في إثره إبراهيم المنذر (١٠) ، ومصـــطفى جواد(١١) . أما محمد العدناني فقــد منع البـــاء إذا كانت الدلالة عامة ؛ وهي الحثّ عامة . لكنه أجازها إذا كانت الدلالة خاصة وهي حث الابل على السير بالحُداء ؛ فانه يقال ـ: حدا الإبل واحدا بها (١٢) .

(٨) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي : فنسنك وآخرون ـ ١٨٤/١ العمود الثاني (ليدن ١٩٣٦م) .
(٩) مفالط الكتاب ومناهج الصواب : جرجي البولسي ـ ٢٩ (حريصا ـ مطبعة القديس يونس ـ د . ت) .
(١٠) نظرات في اللغة والادب : مصطفى الغلاييني ـ ١٦ (بيروت ـ مطبعة طبارة ـ ١٩٢٧م) .
(١١) المباحث اللغوية في العراق : مصطفى جواد ـ ٥٦/ الهامش الرابع . (بغداد ـ مطبعة العاني ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م) .
(١٢) معجم الأخطاء الشائعة ـ ٦٣ .

وعلى الطرف الأخر نجد مصطفى الغلاييني يرد على المنذر هذه التخطئة(١٣) ، ويجيز الوجهين معاً مستدلاً بما في اللسان والقاموس : « حدا الإبل وحدا بها » . وكذلك نجد صلاح الدين الزعبلاوي يرد على اليازجي تلك التخطئة ويقول : « لست أدري لهذه التخطئة وجهاً البتة ؛ لأنك تقول : (حدوت الابل وحدوت بها) إذا سقتها ، فتقول من ذلك على المجاز : : (حداني الأمر الى كذا ، وحدا بي) إذا ساقلك الى ماتشير إليه(١٤) » وهكذا أجاز الوجهين معاً على حدّ سواء .

إنّ ما يراه هذا البحث أنّ المحور الذي يدور عليه الخلاف هنا هو الدلالة الحقيقية الوضعية ، والدلالة المجازية . وقد عاد هذا البحث الى جمهرة المعاجم العربية الأصيلة ، فوجد أن المعنى الوضعي هو سوق الابل وأنّ التعبير عنه قد ورد بالطريقتين : « حدا الابل ، وحدا بها » . أما المعنى المجازي فقد روت المعاجم أسلوب الحذف(١٥)واحتج اللسان لذلك بحديث الدعاء : (تحدوني عليها خلّةٌ واحدة) ثم أوضح الاصل وقال :« وهو من حدو الإِبل »(١٦) . ومن هنا اختلف المحققون اللغويون : فمنهم من سار على هذا النهج مفرقاً بين حث الإِبل خاصة والحث عامة (كالعدناني) ، ومنهم من لم يشر في تحقيقه الى حث الإِبل ، مكتفياً بالقول إن الصواب هو الحذف (كاليازجي والمنذر ومصطفى جواد) ، ومنهم من أجاز الوجهين مطلقاً من دون أي إشارة الى

---

(١٣) نظرات في اللغة والأدب ــ ١٦ . وقد رجعت الى كتاب المنذر في طبعته الثالثة ١٩٢٧م فلم اجد هذه التخطئة ولعله عدل عنها .

(١٤) أخطاؤنا في الصحف والدواوين : صلاح الدين الزعبلاوي ــ ١٦٣ . (دمشق ــ المطبعة الهاشمية ــ ١٩٣٩م) .

(١٥) مادة (ح د و) في كل من : معجم مقاييس اللغة لاحمد بن فارس (٢/ ٣٥) ــ (تحقيق عبد السلام محمد هارون ــ القاهرة (البابي الحلبي) ١٩٦٩م) ، واساس البلاغة ، ولسان العرب ، وتاج العروس ...

(١٦) لسان العرب : مادة (ح د و) .

الحقيقة والمجاز (كالغلاييني) ومنهم من أجاز ذلك مع الإِشارة الى الانتقال من الحقيقة الى المجاز (كالزعبلاوي) .

ولا يشك هذا البحث في أن ما جاء به الغلاييني والزعبلاوي معقول مقبول ، وأن مبدأ تطور الدلالة من حيث تعميم الخاص يسعف في هذا الاتجاه ، وهو مبدأ علمي فسّر علماؤنا الماضون والمحدثون آلالف الدلالات في هديه ، وحسبنا هنا أن نشير الى كتاب « الزينة في الكلمات الإِسلامية العربية » لأبي حاتم الرازي (٣٢٢هـ) فإن نظرة فيه كافية في هذا المجال . هذا إلى أنّ ما وجدته في معجم مقاييس اللغة يوثق ذلك ويؤيده ؛ إذ يقول . « الحاء والدال والحرف المعتل : أصل واحد ، وهو السوق » (١٧) فاذا كان ذلك كذلك . خرج السوق عن أن يكون للإبل خاصة ، وصّح أنه عامّ أصلاً (أي بالمعنى الوضعي) ، وما عاد الأمر نقلةً من الحقيقة الى المجاز . ولقد اتجه هذا البحث ، وهو يتعقب دلالة (حدا) التي يدور عليها الخلاف الحادّ في التخطئة والتصويب . الى الحديث الشريف ، فألفى فيه هذا النص : «كان عامر رجلاً شاعراً . فنزل يحدو بالقوم يقول . . . » (١٨) ، فها هو ذا شاهد على إثبات الباء في غير ماهو خاص بالإبل ، فالنص : « يحدو بالقوم » . قاطع على أنّ خلت منه المعاجم لاتخلو منه العربية ، وأن السماع الذي لم يهتد إليه الغلاييني والزعبلاوي إنما هو حق واقع يعضد هذا الاستعمال الذي يعضده ماتقدم من تفسير دلالي سليم موافق لحقيقة اللغة العربية ومسلكها السديد في تلون الدلالة وتوزّعها توزعاً طبيعياً غاية في الدقة والايفاء .

بيد أن قناعة هذا البحث بصحة صورة الإثبات . ووهم من أسرع الى تخطئتها ، لاتنسيه أمراً جوهرياً . وهو تحديد مرتبة هذه الصورة الفصيحة . ذلك أن

(١٧) معجم مقاييس اللغة : مادة (ح د و) ٣٥/٢ .

(١٨) المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي ٤٣٨/١/العمود الأول .

إخراج هذه الصورة من دائرة الخطأ الى دائرة الصواب لايعني أن شهرتها في النصوص الفصيحة شهرة الصورة الأخرى (صورة الحذف) ، بل الحذف هو الأشهر في حث الناس ودفعهم (حداهم) وأن ما يبتغيه هذا البحث إنما هو ردُّ التخطئة من دون أن ننسى أن الوجه الأشهر هو الأوْلى ، مادمنا نروم أعلى الأساليب ، وننتقي أقوى الأوجه اللغوية المغنية عن غيرها مما هو أدنى منها .

« اسرف »

خطّأ زهدي جار الله أن يقال : « أسرف بالمال » وقال بحذف الباء لزوماً : « أسرف المال »(١٩) . ثم أعقبه في هذا محمد جعفر الكرباسي ، مخطئاً إثبات الباء (٢٠) .

ولم يذكر الباحثان شيئاً مما يوثقان به هذا القول ، فلا من شاهد في هذا ، ولامن نص قديم أوحديث !

إن المشهور المستفيض في أعلى النصوص وأبلغها أن يعدّى هذا الفعل (وما يتصل به من المصدر واسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهّة وأفعل التفضيل) بحرف الجر « في » . قال تعالى : (فلا يُسْرِف في القتل)(٢١) ، وقال تعالى : (وإسرافنا في أمرنا (٢٢) . وجاء في الحديث الشريف : « ولا يسرف أحد منكم في هذا الأمر »(٢٣) وفي مصنفاته : « باب كراهية الإسراف في الماء »(٢٤) وقال الإِرْبِليّ إن هذا الفعل إنما يساق على هذا النحو :

(١٩) الكتابة الصحيحة ــ ١٥٩ .
(٢٠) نظرات في أخطاء المنشئين ١/٢١٠ .
(٢١) الاسراء ــ ٣٣ .
(٢٢) آل‌عمران ــ ١٤٧ .
(٢٣) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ٢/٤٥٤/العمود الثاني .
(٢٤) نفسه ٢/٤٥٥/العمود الأول .

«أسرف فلان في فعله » (٢٥) . . . إلخ .

ومما يقف البحث عنده أن الباحثين المذكورين لم يغفلا عن هذا ، بل أوردا من النصوص على إثبات الحرف (في) ، وكذلك الحرف (على) ، نحو قوله تعالى : (الذين أسرفوا على أنفسهم(٢٦) . . .) ولكنهما لم يذكرا شيئاً عما هما بصدده من التخطئة والتصويب ! ! وهكذا حكما بأنّ « أسرف بالمال » خطأ صوابه « أسرف المال » لاغير ، على حين وجدنا المعاجم العربية حتى الحديث منها كالمعجم الوسيط ، إنما تشير الى التعدية بالحرف قال الوسيط مانصه : « يقال : أسرف في ماله ، وأسرف في الكلام ، وأسرف في القتل » (٢٧) . . . فما شواهد التعدية المباشرة ؟ وما مصادرها ؟ وما مبلغ ورودها في عصور الفصاحة اللغوية ؟ !

جاء في إصلاح المنطق : « سرِفتُ الشيء أسرَفَه سَرَفَاً إذا أغفلت وجهلت . . . » (٢٨) . هذا هو النص القديم ، وهو خاصّ بالثلاثي (سرف يَسْرَف) لا الرباعي (أسرف يُسرف) ، والمعنى غير المعنى . فمن أين جاءت التعدية المباشرة للرباعي وبالمعنى المألوف وهو التفريط والتبذير ؟ !

---

(٢٥) جواهر الأدب في معرفة كلام العرب : علاء الدين الاربلي ـ ٢٧٢ . (النجف ١٣٨٩هـ) .
(٢٦) الزمر ـ ٥٣ .
(٢٧) مادة (س ر ف) .
(٢٨) اصلاح المنطق : ابن السكيت ـ ١٩٢ . (تحقيق احمد محمد شاكر وعبدالسلام محمد هارون ـ القاهرة (دار المعارف ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م) .

« ظـــن »

قال الزهاوي :

أظنّ بأن الموت قد كان قاصداً
سليمى ، فقالت : إنّني أنادِ لِبْرُ

وعقّب إبراهيم الوائلي بقوله : « وفي الديوان : وظني أن الموت... ولعله تجنب تعدية الفعل « ظن » بالباء ، وهو يتعدى بنفسه ، ولا ضير من تعديته بالباء(٢٨أ) .

والحق أن تعدية الفعل « ظنّ» بالباء لاتصح دائماً ، ولا تجوز دائماً . وعليه يلزم البيان الوافي للحالة التي يتعدى فيها هذا الفعل بنفسه ، والحالة التي يتعدى فيها بالباء . ذلك أن التعدية بالباء لاتصح إلا في الحالة التي يكون فها المجرور بتلك الباء موضعاً للظن . جاء في الكتاب : « وتقول : ظننتُ به . جعلته موضع ظنك ، كما قلت : نزلت به ونزلت عليه (٢٩) » . وعلى ذلك يكون معنى قولنا مثلاً : « ظننتُ بزيدٍ الوفاء » أني ظننت الوفاء مستقراً في هذا الموضع (وهو زيد) ، لا أن زيداً هو الوفاء .

قال تعالى : « وتظنون بالله الظّنُونا »(٣٠) . « الظانين بالله ظنّ السوء »(٣١) « ظنّ المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً »(٣٢) وجاء في الحديث الشريف : « إنْ ظنّ بي خيراً فله »(٣٣) « كيف ظنك بربك ؟ » (٣٤) « ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ »(٣٥) .. .. إلخ

(٢٨أ) اضطراب الكلم عند الزهاوي : ابراهيم الوائلي ـ ٨٦ . (بغداد ـ مطبعة الايمان ـ ١٩٧١م) .
(٢٩) كتاب سيبويه ـ ٤١/١ . (تحقيق عبدالسلام محمد هارون القاهرة ـ ١٩٦٦م) .
(٣٠) الأحزاب ـ ١٠ . (٣١) الفتح ـ ٦ .
(٣٢) النور ـ ١٢ .
(٣٣) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ـ ٨٥/٤/العمود الثاني .
(٣٤) نفسه ـ ٨٧/٤/العمود الأول . (٣٥) نفسه .

وهكذا فان « ظنّ به » هي غير « ظنّه » ، وان حذف الباء يعني أن المفعول الثاني وصف للأول ؛ فقولنا : « ظننتُ زيداً وفياً » يعني أن زيداً هو نفسه الوفي ، خلافاً لقولنا « ظننتُ بزيدٍ الوفاء » على ماتقدم ، ومن هنا خطّأ شاكر شقير اللبناني (في القرن التاسع عشر) من يقول :

« ظن بها نورماندية » قائلاً : « فمن رأى في كتب العرب : ظننت بزيد عاقلاً ؟ » (٣٦) . وخطأ يوسف بركات أن يقال : « ظننت بأنك عالم» ، موجباً حذف الباء (٣٧) .

إن هذا الحذف لازم؛ لامجال للإغضاء عنه . و رجعت الى القرآن الكريم ، المصدر الأعلى في التوثيق اللغوي ، فوجدته يستعمل هذه المادة في اشتقاقات مختلفة ، وكلها لايثبت الباء في الحالة التي نحن بصددها ،(ويثبتها في الحالة الأخرى المذكورة آنفاً في هذا المبحث) ؛ فتحذف الباء باطراد لاينقطع ، وهي معدّاة بالمصدر المؤول (من أنّ – المشددة والمخففة – ومعموليها) ضمن الحالة التي ورد فيها بيت الزهاوي . قال تعالى :

– إني ظننت أنيَ ملاقٍ حسابيه (٣٨)

– (ولكن ظننتم أنّ الله لايعلمّ كثيراً مما تعملون) (٣٩) .

– وظن أهلها أَنهم قادرون عليها) (٤٠) .

– (وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً) (٤١) .

---

(٣٦) لسان غصن لبنان في انتقاد اللغة العصرية : شاكر شقير اللبناني – ٢١ . (بعبدا – المطبعة العثمانية – ١٨٩١م) .

(٣٧) فلسفة النحو : يوسف بركات – ٥٨ . (بيروت – مطبعة الانصاف – ١٩٤٩م) .

(٣٨) الحاقة – ٢٠ .

(٣٩) فصلت – ٢٢ .

(٤٠) يونس – ٢٤ .

(٤١) الجن – ٧ .

– (قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً) (٤٢) .
– (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون) (٤٣) .
– (الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم) (٤٤) .
. . . . الخ ! !

هذه شواهد من القرآن الكريم (ويزخر الحديث الشريف ، والأدب العربي بما لاحصر له من النصوص . . . . وكلها يحذف الباء .

لقد رجح الوائلي في قوله المتقدم أول هذا المبحث أن يكون الزهاوي قد تجنب تعدية الفعل « ظن » بالباء ، فعدل عن : « أظنّ بأن الموت » الى : « وظني أن الموت » . فاذا كان ذلك هو ما وقع فعلاً ، فإن الزهاوي كان قد فعل خيراً ، على أن قول الوائلي مشيراً إلى الفعل« ظنّ » :« ولاضير من تعديته بالباء » على ما نقدم أول هذا المبحث لايطابق الحقيقة في هذا الموطن من التركيب ، وأنه لامناص من الحكم بالخطأ على بيت الزهاوي في إثباته الباء في تلك الصورة ، والإ فما معنى ذلك البيت إذا جعلنا المصدر المؤول فيه مجروراً بالباء على أنه موضع للظن ؟! ثم أين الأدلة والشواهد التي تدعم هذا الإثبات . . . بعد أن رأينا من الشواهد القرآنية ما يقطع بأن لامجال أبداً لإثبات الباء في هذه الحالة ؟ !

« اعتقد »

خطأ إبراهيم المنذر(٤٥).وأسعد داغر (٤٥أ)،وزهدي جار الله (٤٥ب) ،

(٤٢) الكهف ــ ٣٥ . (٤٣) المطففين ــ ٤ .
(٤٤) البقرة ــ ٤٦ .
(٤٥) كتاب المنذر : ابراهيم المنذر ١/٩ ، ٣٣ ، ٦٥ ــ (ط ٣ : بيروت ــ مطبعة الاجتهاد ــ ١٩٢٧م) .
(٤٥أ) تذكرة الكاتب : اسعد خليل داغر : ص (٥١ ــ ٥٢) ، ص (١٢) من الملحق ــ (القاهرة ــ المطبعة العصرية ــ ١٩٣٣م) .
(٤٥ب) الكتابة الصحيحة ــ ٢٥٥ .

ومحمد الكرباسي (٤٦) أن يقال : « اعتقد به » وأوجبوا « اعتقده » ، لأن الفعل متعدٍ بنفسه .

ورفض الغلاييني هذه التخطئة المطلقة وقال بأن لامانع من الباء إذا كان المقصود بالفعل (اعتقد) هو (آمن) ؛ فإنه سيتعدى الى مفعوله بالباء على التضمين (٤٧) . ثم جاء العدناني فأيد مذهب الغلاييني في ذلك بعد أن ساق مذهب ابن سيده في أنه متى أشرب الفعل معنى فعل آخر لمناسبة بينهما تعدى تعديته أولزم لزومه(٤٨) .

والذي يبتغي هذا البحث التحقق منه والاطمئنان إليه هو ورود الفعل (اعتقد) بمعنى (آمن) في كلام العرب الفصحاء ضمن العصور المعتمدة من حيث الاستدلال اللغوي . ولقد ضرب الغلاييني هنا المثال الآتي : « اعتقد بالله ، والاعتقاد بالله » لبيان مجيء الفعل لهذا المعنى . ولكنه لم يُحِلْ على أي مصدر ، ولم يتبين للقارىء الباحث متى كان وقوع هذا الاستعمال في تاريخ العربية ، وفي أي مكان من الاصقاع والبيئات ؟ ! ومع أن العدناني قد أيد مذهب الغلاييني ، لم يستطع أن يجد معنى « آمن » بين المعاني الكثيرة التي وجدها وسردها للفعل « اعتقد »

(٤٦) نظرات في اخطاء المنشئين ــ ٢/٨٦ .

(٤٧) نظرات في اللغة والادب ــ ١١ .

قال الغلاييني هنا راداً على المنذر : « ان اللغويين لم يذكروا هذا الحرف الا متعدياً بنفسه . لذلك جعل الأستاذ (اعتقد به) خطأ ؛ لأنه لم يرد في كتب اللغة . ونحن نسلم بخطأ (اعتقد به) ان اراد الكاتب انها بمعنى « صدقه » . ولانسلم بخطئه ان أراد معنى « آمن به » . فالاعتقاد ان تضمن معنى الايمان جازت تعديته بالباء ، لأن الفعل تختلف تعديته باختلاف استعماله ، ليتضح معناه المراد . وقد قالوا : « اعتقد بالله ، والاعتقاد بالله » بمعنى آمن به ، والايمان به » .

(٤٨) معجم الاخطاء الشائعة ١٧٥ . وللعدناني تأييد آخر حيث قال [١٨٠] : « وما تضمن معناه له حكمه » .

ولقد عدت الى أشهر معاجم العربية ، ومنها الاساس ، والمصباح ، واللسان ، والتاج ، وآخرها المعجم الوسيط فما وجدت شيئاً من هذا المعنى (آمن) في أيّ منها ! ! مثلما لم أجد « الباء » مع « اعتقد » في أيّ معنى من تلك المعاني التي سجلتها له المعاجم الموثقة تلك(٤٩) ؛ فمن أين جاء هذا المعنى ؟ وهل من شاهد صحيح عليه ؟ ثم إن التضمين إنما يقع بعد ورود النصوص الفصيحة التي تحتاج الى ذلك ، فأين تلك النصوص التي حملت الباء مع الاعتقاد حتى يفكر أهل اللغة بتخريجها ؟ !

« كلف »

خطّأ إبراهيم اليازجي (٥٠) ، وإبراهيم المنذر (٥١) ، وأسعد داغر (٥٢) وكمال إبراهيم (٥٣) ، ويوسف بركات (٥٤) و مازن المبارك (٥٥) ، وعباس أبو السعود (٥٦) ، ومحمد العدناني (٥٧) ومحمد جعفر الكرباسي (٥٨) . . . أن يقال مثلاً : « كلفته بالأمر » وأوجبوا حذف الباء .

---

(٤٩) والتي منها : اشترى ، اقتنى ، عصب ، اتخذ ، اشتد ، بثبت ، ... الخ . ينظر الى التاج في مادة (ع ق د) .
(٥٠) مغالط الكتاب ــ ١٠٥ .
(٥١) كتاب المنذر ــ ١/٩ ، ٧٢ .
(٥٢) تذكرة الكاتب ــ ص (٥) من الملحق .
(٥٣) اغلاط الكتاب : كمال ابراهيم ــ ٧ . (بغداد ــ المطبعة العربية ــ ١٩٣٥م) .
(٥٤) فلسفة النحو ــ ٥٤ ، ٦٠ .
(٥٥) نحو وعي لغوي : مازن المبارك ــ ١٩٩ . (دمشق ــ مكتبة الفارابي ــ ١٩٧٠م) .
(٥٦) ازاهير الفصحى في دقائق اللغة : عباس أبو السعود ــ ٧٩ . (القاهرة ــ دار المعارف ــ ١٩٧٠م) .
(٥٧) معجم الاخطاء الشائعة ــ ٢٢١ .
(٥٨) نظرات في أخطاء المنشئين ــ ٢/٢١٦ .

وقد وقف على طرف آخر فريق لغوي كمصطفى جواد وأنستاس الكرملي(٦٠) ، وصلاح الدين الزعبلاوي(٦١) ، ومحمد علي النجار (٦٢)... يسوِّغ إثبات الباء ويلتمس له التخريج والتوجيه .

ويستند المخطّئون الى أن هذا الفعل متعدٍ بنفسه ، ولم ترد تعديته بالباء .
ويرى المجوزون أن هذا الفعل يمكن أن يضمَّن معنى فعل آخر كأن يكون : « أمرَ » أو « أغرى » (٦٤) . . . وعندها يجوز إثبات الباء .

وقد عاد هذا البحث الى مصادر التوثيق اللغوي ليقف على ما تبديه ، إن في النصوص العالية ، أو في المعاجم الأصيلة :
قال تعالى :

ـ (لايكلّف الله نفساً إلا وسعها) (٦٥) .
وقال تعالى : ـ لايكلف الله نفساً إلا ماآتاها)(٦٦) .
وجاء في الحديث الشريف : ـ « متى كلّفتموها ذلك ؟ » (٦٧) .
وجاء في الحديث الشريف : ـ كُلّف أن يحمل ترابها الى المحشر » (٦٨)
ـ وجاء في الشعر :

(٥٩) اغلاط اللغويين الأقدمين : انستاس الكرملي : ص (٣٠ ـ ٣١) . (بغداد ـ مطبعة الأيتام ـ ١٩٣٣م) .
(٦٠) نفسه ـ ٧٢ .
(٦١) أخطاؤنا في الصحف والدواوين : ص (٢٥٥ ـ ٢٥٦) .
(٦٢) محاضرات عن الأخطاء اللغوية الشائعة : محمد علي النجار ـ ٢/٤٠ (القاهرة ـ معهد الدراسات العربية العالية ـ ١٩٥٩م) .
(٦٣) أخطاؤنا في الصحف والدواوين : ـ ٢٥٥ .
(٦٤) محاضرات عن الاخطاء اللغوية الشائعة ـ ٢/٤٠ .
(٦٥) البقرة ـ ٢٨٦ .
(٦٦) الطلاق ـ ٧ .
(٦٧) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي : ٦/٥٤ ـ العمود الثاني .
(٦٨) نفسه .

– قال المثقب العبدي :

كلّفتهـا تهجيـر داويّـةٍ   من بعد شأوي ليلها الأبعدِ(٦٩)

– قال رؤبة (٧٠) :

كلّفتها المهريّة الضوابعا .

ذلك هو الأصل في استعمال هذا الفعل وما يتصل به ، وهو الوصول الى المفعول بلاباء ؛ بشهادة مايتعذر إحصـاؤه من أعلى النصوص العربية وأنقاها مما يستدل به في علوم اللغة العربية . وهو ماحمل المعاجم العربية خلال التاريخ أن تسجله على هذه الصورة وحدها من غير إجازة لإثبات الباء . وكان ذلك في الجمهرة ، والمقاييس ، والصحاح ، والعباب ، واللسان ، والمصباح ، والتاج ، . . . وآخرها الوسيط (٧١) . وفي هذا كله مايغني عن غيره ، وما يحقق القناعة بصواب موقف المخطّئين ، الذين رفضوا الباء ، وطلبوا حذفها في التعبير الحديث

إنّ المجوّزين لم يقدموا ما يحقق هذه القناعة ولاشيئاً منها ، وأن كل ما فعلوه لايعدو أنهم حاولوا جاهدين تخريجاً لتعبير حديث وجدوه مخالفاً للأصل الصحيح ، لاأنهم وجدوا نصاً مما يحتج به حمل الباء ، فحاولوا تخريجه على التضمين ، وحل إشكاله .

---

(٦٩) مجلة معهد المخطوطات العربية – ٣٠/١٦ (القاهرة – معهد المخطوطات العربية في جامعة الدول العربية – ١٩٧٠م) .

(٧٠) نفسه – ٩٣/١٦ . وينظر الى الصفحات : الآتية في المجلد نفسه : ٧ ، ٨٩ ، ١٢٤ ، ١٥٠ ، وارقام الأبيات هي على التوالي : ٨٥ ، ٥٥ ، ١٣٨ ، ٥٤ .

(٧١) ينظـر في مادة (ك ل ف) من تلك المعجمات .

« التقى »

خطّأ إبراهيم المنذر (٧٢) ، وأسعد داغر (٧٣) ، وكمال إبراهيم ، وصلاح الدين الزعبلاوي (٧٥) ، ومحمد العدناني (٧٦) ، ومحمد جعفر الكرباسي (٧٧) . . . أن يقال : « التقى به » وأوجبوا حذف الباء . بيد أن كمال إبراهيم بيّن – بعد التخطئة – أن حمل هذا الفعل على معنى « اجتمع » يمكن من تعدية الفعل بالباء فيثبت (٧٨) .

والحق ان هذا الفعل متعدٍ بنفسه ، وان أفعالاً أخرى من مادته متعدية كذلك بنفسها وهي : لقي ، ولاقى ، وتلقى . قال تعالى : (وتتلقّاهم الملائكة) (٧٩) . وقد جاءت بذلك معاجم العربية التي تستمد مادتها من شواهد العربية العالية ، نحو قول الشاعر :

لمّا التقيت عُميراً في كتيبته

عاينت كأس المنايا بيننا بددا(٨٠)

وهكذا نجد « الأساس » يثبت « التقيته » (٨١) ، ونجد اللسان » و« التاج » على الموقف نفسه حيث نصّا على : « التقاه »(٨٢) . فلا يجد هذا

---

(٧٢) كتاب المنذر – ١/٩ .
(٧٣) تذكرة الكاتب – ٣٨ .
(٧٤) اغلاط الكتاب : ص (٥٧ – ٥٨) .
(٧٥) اخطاؤنا في الصحف والدواوين – ٢٥٩ .
(٧٦) معجم الاخطاء الشائعة – ٢٣٠ .
(٧٧) نظرات في أخطاء المنشئين – ٢/٢٤٣ .
(٧٨) اغلاط الكتاب : ص (٥٧ – ٥٨) .
(٧٩) الأنبياء – ١٠٣ . وقال تعالى :
– « اذ تلقونه » [النور – ١٥]
– « واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه » [البقرة – ٢٢٣] .
(٨٠) أساس البلاغة – مادة (ل ق ي) .
(٨١) نفسه .
(٨٢) لسان العرب ، وتاج العروس – مادة (ل ق ي) .

البحث مايدعو الى التضمين تجويزاً لإثبات الباء ، وليس هناك ما يقتضي الناظم أو الناثر الانصراف عن الفصاحة والسماع المحقق .

على أن ماستوقف هذا البحث الطريقة التي استعمل فيها القرآن الكريم (وما وقف عليه هذا البحث من شواهد الحديث الشريف) للفعل « التقى » :

قال تعالى : (فالتقى الماءُ على أمر قد قدر) (٨٣) .

وقال تعالى — (مرَجَ البحرَيْن يلتقيان) (٨٤) .

وقال تعالى — (يوم التقى الجمعانِ) (٨٥) .

وجاء في الحديث الشريف : — « اذا التقى المسلمان فتصافحا »(٨٦) .

— «وقد التقت صفوف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم »(٨٧) .

— « إن أرواح المؤمنين تلتقي على مسيرة يوم . . . » (٨٨) .

وهكذا يلحظ المتأمل اختيار القرآن والحديث لهذا اللون من استعمال الفعل « التقى » ، وهو الاكتفاء بالفاعل من دون انتقال الى المفعول بالحرف أو بنفسه ؛ سواءُ أكان الفاعل مفرداً أم مثنى أم جمعاً . وإذْ إن من طبيعة الدلالة في هذا الفعل أن يوجد طرفان يتحقق بينهما اللقاء ؛ فليس من الضروري أن نجعل أحدهما فاعلاً و نجعل الآخر مفعولاً . بل إن الطرفين معاً هما اللذان يشتركان في هذا الأمر ، وان من الإيفاء أن نعدّ كلاً منهما فاعلاً . وعلى هذا يمكن أن نستبدل بقولنا مثلاً :« التقى الرجلُ الآخر » قولنا : « التقى الرجلان » ؛ فيكون هذا المثنى دليلاً على إن كلاً من الرجلين قد التقى صاحبه ، وأن أحدهما فعل ما فعل الآخر .

(٨٣) القمر — ١٢ .
(٨٤) الرحمن — ١٩ .
(٨٥) آل‌عمران — ١٥٥ ، ١٦٦ . الأنفال — ٤١ .
(٨٦) المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي : ٦/١٤٤/العمود الأول .
(٨٧) نفسه .
(٨٨) نفسه .

ذلك هو التأليف الغالب . والاستعمال الأمثل . بيْد أنه لا يحول بين المتكلم ورغبته في جعل أحد الطرفين فاعلاً والآخر مفعولاً ، وعندها إنّ الواجب على المتكلم أن يعدي هذا الفعل بنفسه ، وأن يتجنب الباء .

« همّ »

خطأ زهدي جار الله قولهم : « همّ بأن يسافر » وقال بأن الصواب هو حذف الباء (٨٩) . ثم مضى الى أبعد من ذلك حين خطّأ هذا الأسلوب على لسان الشاعر القديم قائلاً : « لايؤبه لقول الشاعر القديم : (هممت بأن أفعل وكدتُ وليتني . . .) ، فقد أدخل الباء حتى يحافظ على وزن البيت » (٩٠) .

ومن الغريب أن نجد هذا الانكار وعلى هذا النحو من التشدد والتخطئة . فالمقرر في النحو العربي أن حرف الجر هو الوسيلة في وصول اللازم الى مفعوله . وأن المتكلم إذا أراد حذفه فله حقٌ كامل في ذلك إذا كان المجرور (وهو مفعول اللازم) مصدراً مؤولاً من « أنْ » أو « أنّ » ومعموليها . أما إذا لم يكن كذلك . فليس هناك إلا الحذف السماعي الخاص . قال ابن مالك : (٩١) .

وعد لازماً بحرف جرّ	وإن حُذِفْ فالنصب للمُنْجرّ
نقلاً . وفي « أنّ » و« أنْ » يطردُ	مع أمْن كبس ، كعجبت أن يدُوا

(٨٩) الكتابة الصحيحة ـ ٣٨٠ .
(٩٠) نفسه .
(٩١) شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك : ٢/١٤٩ ـ ١٥٠ (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . ط ١٦ : بيروت ـ دار الفكر ـ ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م) .

فلا إلزام بالحذف ، لأن الاثبات هو الأصل ، وأنّ الحذف قد جرى في العربية على صورتين : صورة سماعية ، وأخرى قياسية ، فليس الموضوع هو الاثبات ، ولكنه هو الحذف ، وكيف يكون جوازُه : أسماعي أم قياسي ؟ وفي كلتا الحالتين لايمس الإثبات ! فكيف يكون الإثبات خطأ ؟ ! ! يقول ابن عقيل : « إنّ الفعل اللازم يصل الى المفعول بحرف الجر . ثم إن كان المجرور غير « أَنَّ » و« أَنْ » لم يجزْ حذف حرف الجر إلا سـماعاً ، وإن كان « أنَّ » و« أنْ » جاز ذلك قياساً عند أمن اللبس ، وهذا هو الصحيح . »(٩٢)

البحث إذن في الحذف ومعالجته : أجائز هو أم ممتنع ؟ ولئن خطأ زهدي الشاعر القديم في إثباته الباء مع المصدر المؤول . . . لقد كان ذلك متناقضاً مع مطالبته الكتّاب أن يثبتوا الباء مع المصدر الصريح حين أوجب عليهم أن يقولوا : « همَّ بالسفر » (٩٣) . هل يختلف المصدر الصريح هنا عن المصدر المؤول ؟ و في أي شيء ؟ ! لماذا وكيف يصحّ أن يقال : « همَّ بالذهاب » ، ولا يصح أن يقال : « همَّ بأن يذهب » ؟ ! أليس ذلك من العجب ؟ ! وإذا كانت مجازفة ذلك الباحث دفعته الى تخطئة الشاعر العربي القديم صاحب اللغة ومصدرها . . . فهل هو قادر على أن ينسب علّة المحافظة على الوزن ــ وهي على ما هي عليه من الوهن والتهافت ــ الى كل شاعر آخر قديم ؟ ! هذا هو العجّاج يقول : (٩٤) .

فقلتُ للحَوْباء حينَ هَمّتِ بأن تَخِفّ جزَعاً أو خَفّتِ

هل أنا الا رجُل من أمتي ؟

---

(٩٢) نفسه : ١٥٣/٢ .

(٩٣) الكتابة الصحيحة ــ ٣٨٠ .

(٩٤) ديوان العجاج (رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي وشرحه) ــ ٢٧٥ . (تحقيق : د.عزة حسن . بيروت ــ مكتبة دار الشرق ــ ١٩٧١م) .

ماذا يقول ؟ ! هل يقول عن العجّاج ماقال عن ذلك الشاعر القديم ؟ !

إنه لوفعل . . . لقلنا له : وما قولك في الحديث الشريف :
« فهلكت ، وقد كانت همَّتْ بأن تعتق » (٩٥) ؟ ذلك حسُبنا .

« وعــد »

ثمة أمران مهمان ، قد بدا فيهما الاختلاف بين علماء اللغة ، ولفّ عرضهما لون من الاضطراب المفضي إلى الإلباس والإيهام . . .

أولاً ـ المعنى :

مامعنى « وعد » ؟ وما معنى « أوعد » ؟

قال الأزهري في « التهذيب » : كلام العرب : وعدت الرجل خيراً ، ووعدته شراً . وأوعدته خيراً ، وأوعدته شراً . فاذا لم يذكروا الخير قالوا : (وعدته) ، وإذا لم يذكروا الشر قالوا : (أوعدته)(٩٦) .

فالفعل « وعد » ـ وما يتصل به ـ يستعمل في الخير ، سواءٌ أكان الخير مذكوراً أم محذوفاً ، أي إن الذكر معه جائز لاواجب . فاذا أراد المتكلم استعماله في الشر جازله ذلك أولاً ، ووجب عليه ذكر الشر ثانياً .

أما الفعل « أوعد » ـ وما يتصل به ـ فيستعمل في الشر سواءٌ أكان الشر مذكوراً أم محذوفاً . أي إنّ الذكر معه جائز لاواجب . فاذا أراد المتكلم استعماله في الخير جاز له ذلك أولاً ، ووجب عليه ذكر الخير ثانياً .

وقد خطّأ جماعة في العصر الحديث من يقول ، « وعدته شراً » ، ورأت أن « وعد » لاتكون في الشر ! والحق أن « وعد » تكون للخير وتكون

---

(٩٥) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ـ ٧/١٠٥/العمود الثاني .
(٩٦) تهذيب اللغة : الأزهري : مادة (و ع د) ـ (القاهرة ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة) .

للشر كذلك ، وأن منع استعمالها في الشر لايسنده دليل معتمد يصح الركون إليه . قال تعالى : (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً)(٩٧)، وذلك هو الخير . وقال تعالى ، (وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم)(٩٨) ، وذلك هو الشر .

لقد خطّأ محمد جعفر الكرباسي استعمال « وعد » في قولهم « وعدت الرجل شراً » قائلاً : « يقولون : وعدت الرجل شراً . والصواب : أوعدت الرجل شراً(٩٩) وكان محمد العدناني قد أشار الى أن آخرين كانوا « يخطّئون من يقول ، (وعدته شراً كبيراً) ، ويقولون : إن الصواب هو : (أوعدته بشر كبير) (١٠٠) . ومن الغريب أن يحتج الكرباسي بكلام الأزهري السابق والذي نصّ على أن كلام العرب هو « وعدته شراً » وأن يردَ في مبحثه النص القرآني الكريم الذي يصرّح باستعمال هذا الفعل في الشر وهو: « الشيطان يعدكم الفقر »(١٠١) . . . ومع ذلك وجدناه يخطىء قولهم : « وعدت الرجل شراً » !

ثانياً ـ التعدية :

خطّأ زهدي جار الله قولهم : « وعدته بالمساعدة » (١٠٢) وخطّأ الكرباسي قولهم : وعد فلاناً بشيء » (١٠٣) . . . وقالا بأن الصواب هو

(٩٧) المائدة ـ ٩ .
(٩٨) التوبة ـ ٦٨ .
(٩٩) نظرات في أخطاء المنشئتين ـ ٣/١٩٣ .
(١٠٠) معجم الاخطاء الشائعة ـ ٢٦٩ .
(١٠١) البقرة ـ ٢٦٨ .
(١٠٢) الكتاب الصحيحة ـ ٣٩٣ .
(١٠٣) نظرات في أخطاء المنشئين ـ ٣/١٩٣ .

حذف الباء . ثم قالا بأن الحذف أفصح (١٠٤) .

ويرى هذا البحث بادىء ذي بدء أن يكتفي الباحثان بأحد القولين فإما أن يقولا « الصواب هو الحذف » ، وذلك يعني أن الخطأ هو الإثبات . وإما أن يقولا : « الأفصح هو الحذف » وذلك يعني أن الفصيح هو الإثبات . فلاتجتمع العبارتان في صعيد واحد .

إن الحكم على الإثبات بالتخطئة لايثبت أمام الأدلة اللغوية وفي رأسها ما صرّحت به المعاجم الكبرى إن « لسان العرب » أوثق المعاجم العربية يقول في نص صريح : « وعده الأمر وبه » (١٠٥) ، وهذا هو « المصباح المنير » المعجم الأصيل يثبت أن هذا الفعل الثلاثي (وعد) يتعدى الى مفعوله بنفسه ، و وبحرف الجر الباء(١٠٦) ، وهذا « تاج العروس » وهو الشرح المفصل للقاموس المحيط يقول مانصه : « وعده الأمر : متعدياً بنفسه . ووعده به متعدياً بالباء » (١٠٧) ثم جاء المعجم الوسيط في عصرنا الحديث فأقر هذا الاستعمال (١٠٨) وثبته . وكذلك فعل من بعده معجم الأفعال المتعدية بالحرف (١٠٩)

ولكن ، كيف جاءت تلك التخطئة ؟ ذلك ماتتبعه هذا البحث لقد ذكر تاج العروس أن جماعة منعت دخول الباء مع الثلاثي (وعد) وقالت

(١٠٤) قال زهدي جارالله [الكتابة الصحيحة ـ ٣٩٣] : « استعمال (وعد) دون تعدية بالباء أفصح » .
وقال محمد جعفر الكرباسي [نظرات ـ ٣/١٩٣] :
« فاستعمال (وعد) من دون تعديته بحرف الجر أفصح » .

(١٠٥) لسان العرب ـ مادة (و ع د) .

(١٠٦) المصباح المنير ـ مادة (د ع د) .

(١٠٧) تاج العروس ـ مادة (و ع د) .

(١٠٨) المعجم الوسيط ـ مادة (و ع د) .

(١٠٩) معجم الأفعال المتعدية بالحرف : موسى بن محمد بن الملياني الأحمدي ـ ٤٣٦ . (ط ١ : بيروت ـ دار العلم للملايين ـ ١٩٧٩م) .

إنما يكون ذلك مع الرباعي (أوعد) (١١٠) فرأى هذا البحث أن يتتبع هذا الرأي في مصادره الأولى فوجد في إصلاح المنطق لابن السكيت (٢٤٤ هـ) مانصه : « إذا أدخلوا الباء جاؤوا بالألف » .

وفي الصحاح مانصه :
« فإن أدخلوا البـاء في الشر جاؤوا بالألف . » (١١٢) ، وفي اللسـان : « وإذا أدخلوا الباء لم يكن الافي الشر كقولك: أوعدته بالضرب »(١١٣) ... وفي هـذا كلـه ما يشير إلى العلاقـة بيـن « البـاء » و« الألـف » ؛ وإلى أن مجيء الباء يعني مجيء الألف . بيد أن المجيء هنا يرتبط بالشر ، وهذا الارتباط يحتاج الى جلاء في مراد هذه النصوص فابن السكّيت أطلق القول ولم يعيّن خيراً أو شراً ، بل ألزم المتكلم الإتيان بالالف إذا أتى بالباء . وإن ابن منظور حدّد الأمر بالشر وقال إن الإتيان بالباء يعني حصر الموضوع بالشر ولايجوز غير ذلك أما الجوهري فعبارته بين بين ؛ إذ يقول بأن إدخال الباء في حالة الشر يوجب الإتيان بالألف ، وهذا يعني أن إدخال الباء يمكن أن يكون في غير حالة الشر وهي حالة الخير .

هنا يتحصل سؤالان مهمان :

الأول ــ هل يوجب الباء مجيء الألف ؟

الثاني ــ هل يوجب اجتماع الباء مع الألف حالة الشر ؟

فاذا خلصنا من هذه النصوص الى الإجابة بـ« نعم » عن السؤال الأول ،

---

(١١٠) تاج العروس ــ مادة (و ع د) .
(١١١) اصلاح المنطق ــ ٢٩٤ .
(١١٢) الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) : الجوهري ــ مادة (و ع د) ــ تحقيق د. أحمـد عبـدالغفور عطار) .
(القاهرة ــ دار الكتاب العربي ــ ١٩٥٦م .
(١١٣) لسان العرب ــ مادة (و ع د) .

فإن هذه الاجابة سترتطم بما ذكرته أوثق المعاجم العربية التي سقنا طرفاً من نصوصها فيما سبق وقد أقرت فصاحة أن يقال : « وعده الأمر ، وبه ».

واذا خلصنا الى الأجابة بـ « لا » عن السؤال نفسه ، فإن النصوص السابقة التي ربطت الباء بالألف لاتساعد ولا تسمح بهذه الإجابة .

هذا عن السؤال الأول . أما عن السؤال الثاني :

فاذا خلصنا الى أن صورة الباء مع الألف خاصة بالشر وحده ، فان نصّ اللسان هو الذي يسعف في تأييد هذه الاجابة ، ولايسعف نصّا ابن السكيت والجوهري الإسعافَ نفسه على ماتقدم .

ومن هذا الموضع يتولد سؤال جديد :

إذا كانت صورة الباء مع الألف خاصة بالشر وحده ، فهل يمكن الاستغناء عن أحد طرفيها هذين : الباء والألف ؟

هل يمكن أن يقال : « وعدته بالشرّ » بإسقاط الألف ؟

أم هل يمكن أن يقال : « أوعدته شراً » بإسقاط الباء ؟

لاجواب موحداً هناك

فهذا الأزهري يقول بأن هذه الصورة (أوعدته شراً) هي « كلام العرب » — وقد مضى نصه في هذا المبحث .

وهذا ابن دريد يقول بأن هذه الصورة (أوعدته شراً) هي الخطأ الذي لايقال ؛ وهذا نصه : « أوعدته بالشر ، ولا يقال أوعدته شراً ،

إنما يقال : أوعدته بشرّ » (١١٤) .

أما صورة (وعدته بالشر) فلا نجد فيها جواباً أفضل أو أحسن حظّاً من جواب صورة (أوعدته شراً) . ذلك أن من النصوص ما أوجب الإتيان بالألف في حال الإتيان بالباء . وقد مضت تلك النصوص في هذا المبحث ، وأولها نص ابن السكيت ، وأن من النصوص ما أجاز بصريح القول الإتيان بالباء في غياب الألف ، وقد مضت تلك النصوص في هذا المبحث وأولها نص اللسان .

هذا الاضطراب هو الذي مدّ ظله الى التحقيقات اللغوية الحديثة ، فراحت تمنع وتمنح ، في مسلك غامض . فالكرباسي منع أن يقال : « وعد فلاناً بشيء » وأعلن أن الصواب حذف الباء ، وسبقه الى هذا المنع زهدي جار الله حيث منع أن يقال « وعدته بالمساعدة » وأعلن أن الصواب حذف الباء . وقد مضت الإشارة الى ذلك في هذا المبحث .

المسألة خلافية إذن ، وأصحاب المعاجم الأساسية لم يقولوا كلمة واحدة . . .

لقد رأى هذا البحث أن يرجع الى القرآن الكريم ، وكفى به شاهداً على اللغة الموثقة ، والأسلوب الصافي ، فيخلص في هديه الى القول الفصل .

لقد نظرت في القرآن الكريم فوجدته يستعمل هذه المادة اللغوية في مختلف اشتقاقاتها ، فلم أجد الباء في واحد من تلك النصوص إنْ في الخير أو في الشر . . . وهذا طرف من النصوص الكريمة :

---

(١١٤) جمهرة اللغة : ابن دريد ـ مادة (و ع د) : ٣/٤٤١ ـ العمود الأول . (ط ١ : حيدر آباد الدكن ـ مطبعة دائرة المعارف العثمانية ـ ١٣٤٤هـ)

١ ـ « وعـد » :

لقد ورد الماضي : « وَعَدَ الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً »(١١٥آ) . وورد المضارع : « الشيطان يعدكم الفقر »(١١٦) . وورد الأمر « وشاركهم في الأموال والاولاد وعِدْهم » (١١٧ ، والمصدر : « ولا تحسبنّ الله مُخْلِفَ وعدِهِ رُسُله » (١١٨) ، والمبني للمجهول : « مثل الجنة التي وُعِدَ المتقون » (١١٩) ، وصيغ أخرى نحو : « واليوم الموعود » (١٢٠) و« وما كان استغفار إبراهيم لأبيه الإ عن موْعدةٍ وعدها إياه » (١٢١) ، و « إن جهنم لموعدهم أجمعين » (١٢٢) .

إن هذه النصوص الكريمة طرف مما جاء في القرآن الكريم لكنها تمثل مختلف أحوال الصياغة الصرفية الخاصة بالثلاثي (وَعَدَ) ، ولم أجد في جميع ما في القرآن الكريم من تلك الصياغة ماهو معدّى بالباء (١٢٣) .

٢ ـ « أوعد » :

لقد ورد المضارع : « ولا تقعدوا بكل صراط توعدون » ، وواضح أن الباء هنا غير متعلقة بالفعل « توعد » بل بالفعل « تقعد » أما تعدي الفعل

---

(١١٥) المائـدة ـ ٩ .
(١١٦) البقرة ـ ٢٦٨ .
(١١٧) الاسراء ـ ٦٤ .
(١١٨) ابراهيم ـ ٤٧ .
(١١٩) الرعـد ـ ٣٥ .
(١٢٠) البروج ـ ٢ .
(١٢١) التوبة ـ ١١٤ .
(١٢٢) الحجر ـ ٤٣ .
(١٢٣) قال تعالى [طه ٨٧] : (قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا) . وواضح أن هذه الباء لاتتعلق بـ « موعد » بل تتعلق بـ « اخلف » ، ذلك أن المعنى هو « ما اخلفنا موعدك بأن ملكنا امرنا » أي : لو ملكنا امرنا وخيلنا وراءنا لما اخلفناه ... » [الكشاف للزمخشري ٢/٥٥٠ ـ طبعة بيروت (دار الفكر)] وقال ابن كثير يفسر « بملكنا » : « أي : عن قدرتنا واختيارنا » [تفسير القرآن العظيم لابن كثير ـ ٣/٢١٥ ـ طبعة عمان (دار الفكر)] .
(١٢٤) الأعراف ـ ٨٦ .

« توعد » فالى محذوف . قال ابن كثير في تفسيره : « أي : تتوعدون الناس بالقتل » (١٢٥) .

فالقرآن لم يذكر مابعد الفعل حتى نقف على إثبات الباء أو حذفه .

وظهر الفعل مبنياً للمجهول (تُوعدون) و (يُوعدون) مرات كثيرة في القرآن الكريم ، ولا وجود للباء معه . قال تعالى : « هذا يومكم الذي كنتم توعَدون » (١٢٦) ، وقال تعالى : « ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون »(١٢٧) ، وواضح أن الباء لو كانت هنا، لكان النص : (توعدون به)، و : (يوعَدون به) . . .

ومع هذا ، لانستطيع أن نجعل هذا المضارع المبني للمجهول خاصاً بالفعل الذي نحن بصدده في هذه الفقرة ، وهو « أوعد » ، لأن هذا المبني للمجهول يصلح أن يكون أيضاً للفعل « وعد » في حالة المضارع « يعِد » ، أو « تَعد » .

هنا ، قصدت الى الحديث الشريف ، فوجدت هذا الفعل (الرباعي) في هذا النص : « ويوعدهم الخير » (١٢٨) ، وفي هذا النص : « فإيعاد بالشر » (١٢٩) . . . (وهو مصدر أوعد) . فاستقررت على هذا واطمأننت إليه ، وخلصت الى أن هذا الفعل يكون للخير ويكون للشر ، وأنه إن كان للشر كان مع الباء .

ينتهي هذا البحث في هذه المادة الى الآتي :

---

(١٢٥) تفسير القرآن العظيم ــ ٣١٨/٢ .
(١٢٦) الأنبياء ــ ١٠٣ .
(١٢٧) المعارج ــ ٤٤ .
(١٢٨) المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي ــ ٢٥٧/٧/العمود الاول .
(١٢٩) نفسه ــ ٥/٥٥٤/العمود الأول .

أولاً ـ « وَعَدَ » :

١ ـ تستعمل في الخير ، وذكر الخير جائز .
٢ ـ تستعمل في الشرّ ، وذكر الشر واجب .
٣ ـ الأسلوب الأمثل أن يحذف معها الباء .

ثانياً ـ « أوعد » :

١ ـ تستعمل في الشر ، وذكر الشر جائز .
٢ ـ تستعمل في الخير ، وذكر الخير واجب .
٣ ـ الأسلوب الأمثل أن يحذف معها الباء في حالة الخير ، ويثبت في حالة الشر .



المعاني المشتركة بين حروف الجر

الدكتور فاضل صالح السامرائي
الاستاذ بكلية الآداب ـ جامعة بغداد

هناك معانٍ مشتركة تؤديها طائفة من حروف الجر كالتعليل والظرفية والبدلية والاستعلاء وغيرها .

فالتعليل مثلاً يؤدى باللام وبمن والباء وفي و غيرها .

والظرفية تؤدى بفي والباء وعلى و غيرها .

والاستعلاء يؤدى بعلى والباء وعن ومن وغيرها ، ونحو ذلك .

فهل يكون المعنى المشترك متماثلاً في هذه الأحرف ؟ هل التعليل باللام والباء ومن واحد ؟ وهل الظرفية بالباء وفي وعلى واحدة ؟

وقل مثل ذلك على سائر المعاني .

والذي يبدو لي أن هذه المعاني ليست متماثلة في الأحرف التي تشترك بها بل يبقى لكل حرف خصوصيته في اداء المعنى واليك ايضاح ذلك .

التعليل :

يؤدى التعليل باللام كقوله تعالى : (والانعام خلقها لكم فيها دفء ـ النحل ٥) وقوله : (ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون ـ الروم ٤٤) وقوله : (ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ـ هود ١٨ ـ ١٩) .

ويؤدى بالباء نحو قوله تعالى : (ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون ـ

البقرة ١٠) وقوله : (فبظلم من الذين هادوا حرّمنا عليهم طيبات أُحِلَّت لهم – النساء ١٦٠) .

ويؤدى بمن كقوله تعالى : (ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم – الانعام ١٥١) وقوله : (مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً – نوح ٢٥) .

ويؤدى بفي نحو قوله تعالى : (لمسّكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم – النور ١٤) وقوله صلى الله عليه وسلم : (دخلت امرأة النـار في هرة حبستها . . .) وغير ذلك ، فهل معنى التعليل في هذه الأحرف متماثل ؟

الحق انه غير متماثل وان كان المعنى العام واحداً . فالتعليل بالباء غيره باللام غيره بمن وفي . فان لكل حرف من حروف التعليل معنى خاصاً وان كانت كلها تفيد التعليل ولذا لايصح ابدال حرف مكان آخر دوماً . فلايصح مثلاً في قوله تعالى : (وإذ استسقى موسى لقومه – البقرة ٦٠) ان نقـول (واذ استسقى موسى بقومه او في قومه) لأداء المعنى نفسِه . ولايصح في قوله تعالى : (سخرها لكم – الحج ٣٧) ان نقول (سخرها بكم أو فيكم أو منكم) . ولايصح في قوله تعالى : (والأرض وضعها للأنام – الرحمن ١٠) ان نقول : (والأرض وضعها على الأنام او في الأنام او بالأنام أو من الانام) لارادة معنى التعليل . ولو كانت المعاني متماثلة لصح ابدال حرف بآخر .

ان التعليل بالباء انما هو بمقابل شيء حصل تقول (عاقبته بذنبه) فالعقاب مقابل الذنب الذي اقترفه صاحبه وهو كأنه عوض عنه أو ثمن له جرى عليه بسببه . قال تعالى : (بل لعنهم الله بكفرهم – البقرة ٨٨) فاللعنة مقابل الـكفر . وقال : (ولهـم عذاب اليم بما كانوا يكذبون – البقـرة ١٠) فالعذاب مقابل كذبهم . وقال : (سنلقي في قلوب الذين كفروا

الرعب بما أشركوا بالله – آل عمران ١٥١) وقال : (انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا – آل عمران ١٥٥) أي مقابل ذاك . وقال : (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس – الروم ٤١) فإن ظهور الفساد مقابل ما فعله الناس .

وليست اللام كذلك فان اللام تفيد سبب حدوث الفعل وليست مقابلاً لشيء حصل فأنت تقول (جئت للاستفادة) فالاستفادة ليست مقابل شيء . وتقول (أرسلته لاختباره) فالاختبار ليس مقابلاً لشيء وانما ذكرت سبب المجيء والارسال وتقول (ارسلته لتجربته) و (أرسلته بتجربته) فقد أفادت الاولى أنه ارسله ليجربه والثانية ارسله لأنه مجرب اي مقابل تجربته التي حدثت قبل ارساله .

ان التعليل باللام يختلف عن التعليل بالباء وذلك ان العلة المقترنة بالباء تكون حاصلة قبل حدوث الفعل في الغالب وان الفعل حصل مقابلاً لها ، أما العلة المقترنة باللام فقد تكون حاصلة قبل الفعل وقد تكون مراداً تحصيلها قال تعالى (بل لعنهم الله بكفرهم) فاللعن مقابل الكفر والكفر حاصل قبل اللعن . وتقول (جئت للاطلاع) فالاطلاع غير حاصل في اثناء المجيء وانما يطلب تحصيله ، وتقول (جئت لمعالجة فلان) فالمعالجة هي السبب الداعي للمجيء وهي غير حاصلة في اثناء المجيء بل يراد تحصيلها . وقد يكون السبب موجوداً وهو الدافع الى الفعل كقولك (عاقبته لاساءته الى فلان) و (رسب لاهماله) فالاساءة هي سبب العقوبة وهي موجودة قبل العقاب وكذلك الاهمال .

ولذا لايصح تعاقب الحرفين دوماً قال تعالى : (وأقم الصلاة لذكري طه ١٤) ولاتقول (بذكري) . وقال : (انما نطعمكم لوجه الله – الانسان ٩) ولاتقول (بوجه الله) . وقال : (ينبت لكم به الزرع والزيتون – النحل ١١) ولاتقول (ينبت بكم به الزرع) .

ان التعليل بالباء يفيد المقابلة والثمن بخلاف اللام التي تفيد الاختصاص والاستحقاق .

وأما التعليل بمن ففيه معنى الابتداء فعندما تقول (قتله من املاق) يكون المعنى ان القتل صدر من الاملاق وحصل منه فهو مبدأ الفعل . ونحوه (بكى من الألم) و (عض اصبعه من الندم) بمعنى حصل البكاء من الألم وصدر منه . فالندم أسبق من العض ومنه حصل العض ، والألم اسبق من البكاء ومنه صدر البكاء . فالعلة بمن أسبق وجوداً من الحدث .

فـ (من) التعليلية تفيد الابتداء ، والباء تفيد المقابلة ، واللام تفيد الاستحقاق والاختصاص .

تبين مما سبق ان العلة المسبوقة بالباء و (من) موجودة قبل الحدث اما العلة المسبوقة باللام فقد تكون واقعة قبل الحدث وقد تكون مراداً تحصيلها .

وتبين لنا أن التعليل بالباء و (من) مختلفان . فالتعليل بالباء يفيد العوض والمقابلة وأما التعليل بمن فيفيد الابتداء فقوله تعالى (ولا تقتلوا أولادكم من املاق) لايصح منه أن نقول (باملاق) . وقولنا (عض أصبعه من الندم) لايصح ان نقول فيه : بالندم . وقولنا (قعد من الجبن) لايصح ان نقول فيه (قعد بالجبن) لأنه ليس مقابلاً للقعود وانما حصل منه القعود ونشأ منه .

قال تعالى : (وضربت عليهم المسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ـ البقرة ٤١) فما حصل هو مقابل كفرهم .

وقد تحسن معاقبة الباء و (من) في تعبير واحد وكل على تقدير معنى فمثلاً قوله تعالى : (مما خطيئاتهم اغرقوا فأدخلوا نارا ـ نوح ٢٥) المعنى فيه ان الماء دخل عليهم من خطيئاتهم أي جاءهم من هذا المكان كأن الخطيئات

ثغرة دخل منها الماء فهي للابتداء . ولو قلت (بخطيئاتهم اغرقوا) لكان المعنى ان الغرق مقابل للخطيئات كأنهم ادّوا ثمن الخطيئات وهو الغرق . وقال تعالى : (فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ـ النساء ١٥٣) اي هذا مقابل ذاك فالصاعقة ثمن الظلم ولو قال(من ظلمهم) لكان المعنى أن الصاعقة جاءتهم من موطن الظلم .

فالباء تفيد المقابلة والعوض و (من) تفيد الابتداء . جاء في (شرح الرضي على الكافية) : « وقد تجيء ـ يعني من ـ للتعليل نحو (لم آتك من سوء أدبك) اي من أجله وكأنها ابتدائية لأن ترك الاتيان حصل من سوء الادب » (١) .

واما التعليل بـ (على) ففيه معنى الاستعلاء فاذا قات (كافأته على احسانه) كان المعنى كأنك وضعت المكأفاة على الاحسان . واذا قلت (عاقبته على اساءته) كان المعنى كأنك جعلت العقوبة على الاساءة اي وضعتها عليها . قال تعالى : (ولتكبروا الله على ماهداكم ـ البقرة ١٨٥) اي يكون التكبير على الهداية كما تقول (كبّر على النصر) جعل النصر شيئاً يكبّر عليه كما يكون التكبير على الذبيحة ونحوها .

وأما (في) فتفيد الظرفية فقوله تعالى (لمسّكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم ـ النور ١٤) معناه انه جعل العذاب في الافاضة فكأن هذه الافاضة ظرف في داخله العذاب . ونحوه أن تقول (عذبته في فعلته) فكأن الفعلة حلّ فيها العذاب وقد تضمنته واحتوته احتواء الظرف على ما في داخله قال صلى الله عليه وسلم ـ: (دخلت امرأة النار في هرة حبستها فلاهي اطعمتها ولاهي تركتها تأكل من خشاش الأرض) والمعنى دخلت امرأة

(١) الرضي ٣٥٨/٢ .

النار في هذه الفعلة على معنى أن هذه الفعلة ظرف احتوى المرأة وادخلها النـــار .

وقد تتعاقب الحروف كلها في تعبير واحد منها وكل منها على تقـدير معنى فمثلاً نحن نقـول : اخذته الصـاعقـة لظلمه وبظلمه ومن ظلمه وفي ظلمه . وكل له معنى .

فأما (اخذته الصاعقة لظلمه) فمعناه ان ظلمه سبب استحقاق العذاب اي استحق العذاب لهذا .

واما (بظلمه) فمعناه انه مقابل ظلمه .

واما (من ظلمه) فكأن الصاعقة اخذته من ذلك المكان اي جاءته ودخلت عليه من الظلم .

واما (على ظلمه) فكأن الصاعقة وقعت على ظلمه .

واما (في ظلمه) فمعناه ان الظلم تضمن الصاعقة واحتواها . والله اعلم .

الظرفية :

تستعمل (في) للظرفية نحو (محمد في الدار) و (الزيت في القـارورة) ونحو قوله تعـالى (فأرسـلنا عليهم ريحاً صرصراً في ايام نحسات — فصلت ١٦) .

ويستعمل الباء للظرفية ايضاً نحو (ولد بالبصرة) ونحو قوله تعالى : (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة — آل عمران ١٢٣) وقوله : (من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن — الأنبياء ٤٢) .

وقالوا قد تستعمل (على) لذلك نحو قوله تعالى : (ودخل المدينة على

حين غفلة من اهلها – القصص ١٥). أي في حين غفلة . ونحو قولنا (كان ذلك على عهد الواثق) و (جمع المصحف على عهد أبي بكر) .

فما معنى الظرفية في كل حرف من هذه الأحرف ؟ وهل هي ظرفية متماثلة ؟

ان ظرفية (في) ظرفية تضمن واحتواء ، وظرفية الباء ظرفية ملاصقة واقتران . نقول (الماء في الحب) و (الزيت في القارورة) ولا نقول : (الماء بالحب) ولا (الزيت بالقارورة) لأن الحب يحتوي الماء ، والقارورة تحتوي الزيت . ونقول (دفن في القبر) لأن القبر تضمنه واحتواه قال تعالى : (افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور – العاديات ٩ ، ١٠) ونقول : (كان في السفينة) قال تعالى : (حتى اذا كنتم في الفلك – يونس ٢٢). لأن الفلك تضمنت من فيها ولا نقول (بالسفينة) .

ونقول (أقام بالبصرة) على معنى الملاصقة والاقتران . فان قلت (اقام فيها) فعلى معنى تضمنته واحتوته . ونقول (ذهب في الناس) أي دخل فيهم فهم احتووه وتضمنوه ولانقول (دخل بهم) على هذا المعنى. ونقول: (أدخلت الخاتم في اصبعي والقلنسوة في رأسي) ولا نقول باصبعي ولا برأسي جاء في (الأصول) : « واعلم ان العرب تتسع فيها – أي في حروف الجر – فتقيم بعضها مقام بعض اذا تقاربت المعاني ، فمن ذلك الباء تقول : فلان بمكة وفي مكة . وانما جازا معاً لأنك اذا قلت (فلان بموضع كذا وكذا) فقد خبرت عن اتصاله والتصاقه بذلك الموضع وإذا قلت (في موضع كذا) فقد خبرت بـ (في) عن احتوائه اياه واحاطته به » (١) .

فالباء للملاصقة والاقتران ، و (في) للاحتواء قال تعالى (ينفقون اموالهم بالليل والنهار – البقرة ٢٧٤) وقال : (وهو الذي يتوفاكم

(١) الأحوال ١/٥٠٥ – ٥٠٦ .

بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ــ الانعام ٦٠) فجاء بالباء لأن الانفاق مقترن بوقت الليل والنهار وكذلك التوفي بخلاف قوله تعالى : (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ــ الحج ٦١) فانه جاء بـ (في) لارادة التضمن والاحتواء والدخول فقد جعل النهار ظرفا لليل والليل ظرفاً للنهار كأنه يحتويه اي يدخل فيه فلما كان كذلك جاء بفي بخلاف ما مر فان التوفي لايدخل في الليل ولا الانفاق وانما يقترن الفعل بهذا الوقت فجاء بالباء لارادة المصاحبة والاقتران وجاء بفي للتضمن والاحتواء .

ونقول (نزل بالبئر) و(نزل في البئر) فالاولى على معنى انه نزل بقربها كما تقول : اكلنا بالعين وشربنا بها أي أقمنا بقربها . فان اردت النزول في داخلها فلاتقول الا (نزل في البئر) فالباء للملاصقة وفي للاحتواء .

ونقول (هو ينفق المال بالليل) و (هو ينفق المال في الليالي الحمراء) فان معنى الاولى ان وقت الانفاق هو الليل أي يقترن الحدث بهذا الوقت ويصاحبه .

واما الثانية فعلى معنى انه يُذهبه في الفسوق فجعل الليالي وعاء يرمي فيه المال .

ف (في) تفيد الولوج والتضمن واما الباء فللاقتران والمصاحبة والملاصقة .

وأما (على) فقد جاءت للظرفية في قوله تعالى (ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها ــ القصص ١٥)ـ أي في حين غفلة كما يقول النحاة .

والحق انها ليست بمعنى (في) تماماً فأن ثمة فرقا بين قولنا (جاءنا على غفلة) و (جاءنا في غفلة) ألا ترى انا نقول (هاجمه في وقت الغفلة) ولا تقول (هاجمه على وقت الغفلة) . ونقول (دخل المدينة في وقت العصر) ولانقول (على وقت العصر) ؟ ولو كانت بمعناها لصح ذلك .

الذي يبدو أن قولنا (هاجمه في غفلة) معناه انه هاجمه وهو داخل في الغفلة وكذلك (جاءه في غفلة) اي جاءه وهو داخل في الغفلة .

وأما (هاجمه على غفلة) فليس معناه انه غارق في الغفلة وانما كان عليها ، اي لم تحتوه ولم تتضمنه فقولك (هاجمه على غفلة) معناه انه انتهز فرصة غفلة عرضت له وهاجمه .

ومثله ما نقوله في الدارجة (جئت على أولها) و (جئت في أولها) و (جئت على اول الصلاة) و (جئت في اولها) فمعنى (جئت في اولها) انك جئت وهم داخلون في اولها ، واما (جئت على اولها) فالمعنى انك استعليت على اولها وشاهدته فالمجيء أسبق .

وتقول (جئت على حين قُتل اسماعيل) و(جئت في حين قُتل اسماعيل) فمعنى الاولى انك جئت مستعليا على الوقت وشاهدت الفعلة ، ومعنى الثانية انك جئت وقد دخلت في هذا الوقت . فالمجيء الاول اسبق وربما لم يشاهد الفعلة في الثانية . ومما يوضح هذا انك تقول (جئت على سفر محمد) و(جئت في سفر محمد) فمعنى الاولى انك جئت وهو متهيء للسفر فشاهدت سفره واما قولك (جئت في سفر محمد) فمعناه انك جئت وهو مسافر ولم تشاهده .

وتقول (دخلت الموصل في حين غرق بغداد) اي دخلتها في هذا الوقت ولم تشاهد غرق بغداد واما (جئت على غرق بغداد) فمعناه انك شاهدته .

فـ (في) تفيد الدخول و (على) تفيد الاستعلاء وليس معناها الدخول .

واما قولهم (كان ذلك على عهد فلان فالظاهر انه يختلف عن قولهم كان ذلك في عهده .

فالذي يبدو أن قولهم (كان ذلك على عهده) معناه ان الحدث مختص بأمر من امور الدولة او بما هو من شأنها كأن تقول (جمع المصحف على عهد ابي بكر) و (بنيت البصرة على عهد عمر) و(فتحت عمورية على عهد المعتصم) كأن العهد حمل هذه الاعمال وقام بها ولاتقول (بنيت داراً على عهد الواثق) ولا (سافرت الى البصرة على عهد المتوكل) لأن ذلك ليس من شأن الدولة .

وأما (في) فهي لعموم الظرفية فتقول (بنيت داراً في زمن المتوكل) و (تزوجت في عهد فلان) و (انتصر الروم على الفرس في عهد الرسول وفي زمن الرسول) لأن الحدث تم في ذلك الوقت ولاتقول على عهده لأنه لم يفعله وهو ليس من شأن حكومته صلى الله عليه وسلم فان عهده لم يتحمل هذه المسألة .

فـ (على) للاستعلاء وذلك انها تفيد ان الحكم اضطلع بالأمر أوهو من شأنه ان يفعله والله اعلم .

الاستعلاء :

اصل الاستعلاء ان يؤدى بعلى وذلك نحو (هو على الجبل) وذكروا انه قد يؤدى ايضاً بالباء وعن والكاف واللام ومن وغيرها وذلك نحو قوله تعالى (من إن تأمنه بقنطار ريؤدّه اليك ـ آل عمران ٧٤) وقوله : (ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ـ محمد ٣٨) وقوله : (ويخرون للاذقان سجدا ـ الاسراء ١٠٧) وقوله :(ونصرناه من القوم الذين كذبوا ـ الانبياء ٧٧)ـ ونحوها . قالوا ان هذه الأحرف بمعنى (على) .

والحق ان (على) هي التي تفيد الاستعلاء على وجه التحقيق اما بقية الاحرف فانه يمكن صرف الاستعلاء عنها أو في الأقل يكون هذا المعنى فيها مشرباً بمعنى الحرف الاساسي واليك ايضاح ذلك .

ان (على) تفيد الاستعلاء حقيقياً كان ام مجازياً ولفظها يدل على ذلك فهي من العلو جاء في (المقتضب) : « على تكون حرف خفض على حد قولك (على زيد درهم) وتكون فعــلاً نحو قولك (علا زيدٌ الدابة) و(على زيدٍ ثوب) و(علا زيداً ثوب) والمعنى قريب » (١) .

فمن الاستعلاء الحقيقي قولك (هو على الجبل) و(حمله على ظهره) . ومن الاستعلاء المجازي قولهم (عليه دين) كأن الدين علاه وركبه ولذا تقول العرب : ركبتني ديون « كأنه يحمل ثقل الدين على عنقه او ظهره . ومنه عليّ قضاء الصلاة وعليه القصاص لأن الحقوق كأنها راكبة لمن تلزمه »(٢) . وتقول (هو عليهم أمير)لاســـــتعلائه عليهم من جهة الأمر (٣) فان أمره أعلى وأنفذ من امرهم .

جاء في (كتاب سيبويه) : « أما (على) فاستعلاء الشيء تقول : هذا على ظهر الجبل وهي على رأسه ... وتقول عليه مال وهذا كالمثل كما يثبت الشيء على المكان كذلك يثبت عليه فقد يتسع هذا في الكلام ويجيء كالمثل »(٤) .

قال تعالى : (الرجال قوامون على النســـاء – النساء ٢٤) أي يتولون امرهن وفيه معنى الاستعلاء فان العرب تقـول (قام عليـه) بمعنى تولى أمره . وتقول (قام به) بمعنى فعله قال تعالى (كونوا قوّامين بالقسط – النسـاء ١٣٥) وتقول (قام له) أي لأجله قال تعالى : -(ياايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله – المائدة ٨) ، وتقول (قام عنه) بمعنى انصرف عنه وتقول (قام اليه) بمعنى (قام ذاهباً اليه) ففي (على) معنى الاستعلاء .

وتقول العرب (انت على ضـــلال) و (انت في ضلال) ، فمعنى

---

(١) المقتضب ٤/٤٢٦ .
(٢) الرضي ٢/٣٧٩ وانظر المقتضب ١/٤٦ .
(١) ابن يعيش ٨/٣٧ .
(٢) سيبوية ٢/٣١٠ .

(في ضلال) انه ساقط في الضلال سقوطه في اللجة أو أن الضلال احتواه احتواء الظرف على ما في داخله . ومعنى (على ضلال) أنه اتخذ الضلال مركباً يقوده الى كل سوء ، جاء في (تفسير الرازي) في قوله تعالى (اولئك على هدى من ربهم – البقرة) : « معنى الاستعلاء في قوله (على هدى) بيان لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه حيث شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه . ونظيره (فلان على الحق او على الباطل) وقد صرحوا به في قوله : جعل الغواية مركباً ، وامتطى الجهل » (١) .

وتستعمل العرب (على) للأفعال الشاقة المستثقلة قال ابن جني : « وقد يستعمل (على) في الافعال الشاقة المستثقلة تقول : قد سرنا عشراً وبقيت علينا ليلتان ، وقد حفظت القرآن وبقيت عليّ منه سورتان . . . وانما اطردت (على) في هذه الافعال من حيث كانت (على) في الأصل للاستعلاء والتفرع فلما كانت هذه الاحوال كلفاً ومشاقّ تخفض الانسان وتضعه وتعلوه وتتفرعه حتى يخنع لها ويخضع لما يتسدّاه كان ذلك من مواضع على ، الا تراهم يقولون : هذا لك وهذا عليك فتستعمل اللام فيما نؤثره و (على) فيما تكرهه » (٢) .

اما الباء في نحو قوله تعالى (من أن تأمنه بقنطار – آل عمران ٧٤) وقولهم فيها ان الباء تفيد الاستعلاء وهي بمعنى (على) بدليل قوله تعالى (هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على اخيه من قبل – يوسف ٦٤) وقول الشاعر :

أربٌّ يبول الثعلبان برأسه

لقد هان من بالت عليه الثعالب (٣) .

---

(٣) التفسير الكبير ٣٣/٢ .
(١) لسان العرب ٣٢١/١٩ .
(٢) المغني ١٠٤/١ – ١٠٥ .

فالحق ان المعنى مختلف فقولك (أمنته به) يختلف عن قولك (أمنته عليه) فقولك (لا آمنهعليك) معناه لاآمنه ان يحيف عليك او يهجم عليك او يتعدى عليك وما الى ذلك ففيه الاستعلاء والتسلط والعدوان .

واما قولك (لا آمنه بدرهم) فمعناه لاآمنه من ان يتصرف به أو يعبث به لأن (على) تفيد الاستعلاء و (الباء) تفيد الالصاق والمعنى انه لايلتصق أمنه بدرهم بل ستفارقه امانته ويتصرف به

فأمنه عليه تستعمل للهجوم والاعتداء وأمنه به تستعمل للتصرف كما ذكرنا .

ولذلك والله اعلم استعمل القرآن (أمنه على) مع الاشخاص و (أمنه به) مع الأموال . فقال : (قالوا ياابانا مالك لاتأمنّا على يوسف — يوسف ١١) وقال : (هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على اخيه من قبل — يوسف ٦٤) . وقال في الأموال : (ومن اهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لايؤده اليك — آل عمران ٧٤) لأن في الاولى معنى العدوان وفي الثانية معنى التصرف وان كان يجوز ان يقال (لا آمنه على هذا المال) بمعنى التسلط والاستحواذ . « وقيل ان معنى قولك أمنتك بدينار أي وثقت بك فيه وقولك : (أمنت عليه) أي جعلتك أميناً عليه وحافظاً له » (١) .

واما البيت فانه قد يوقع الشاعر حرفا موقع حرف آخر ومع ذلك فالمعنى محتمل المغايرة فقوله (أربّ يبول الثعلبان برأسه) كأنه جعل رأسه وعاء بال فيه . وقوله (لقد هان من بالت عليه الثعالب) معناه من علته الثعالب ببولها من فوق الى اسفل فكسته اياه .

ونحو ذلك ماذكر عن الاستعلاء بـ (عن) وذلك نحو قوله تعالى :

(١) التفسير الكبير ٨/١٠٠ .

(ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه ـ محمد ٣٨) فقد ذكر أن (عن) هنا بمعنى (على) . وقيل بل هي على بابها والمعنى يبعد الخير عن نفسه بالبخل (١) .

وهو أولى وذلك ان ثمة فرقاً بين قولك (يبخل على نفسه) و (يبخل عن نفسه) . فقولك (يبخل على نفسه) معناه ان عاقبة بخله تعود عليه كقوله تعالى : (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ـ البقرة ٢٨٦) لما كانت العاقبة سوء جيء بعلى وكقوله تعالى : (انما بغيكم على انفسكم ـ يونس ٢٣) .

ويحتمل معنى آخر هو أنه لاينفق على نفسه اي يثقلها بالبخل فكأن البخل حمل يعلوه . وأما بخله عن نفسه فمعناه أنه يبخل منصرفاً عن نفسه أي منصرفاً عن مصلحة نفسه مبتعداً عنها فان البخل في الحقيقة ابتعاد عن مصلحة النفس فكأنه يبتعد عن نفسه بالبخل بخلاف الانفاق فانه لها .

قيل ومن هذا المعنى قوله تعالى (إني احببت حب الخير عن ذكر ربي ـ ص ٣٢) .

« أي قدمته عليه . وقيل هي على بابها وتعلقها بحال محذوفة أي منصرفاً عن ذكر ربي » (٢) .

وكذلك ماقيل عن الاستعلاء بالكاف نحو قولهم (كن كما انت) فقد قيل ان المعنى : كن على ماانت .

واظن ان كونها للتشبيه ظاهر أي كن مثلما انت عليه الآن لا تغيّر أي لتشبه حالتك في المستقبل حالتك الآن (٣) .

---

(٢) التصريح ٢/١٥ .
(٣) المغني ١/١٤٧ .
(٤) المغني ١/١٧٦ وانظر حاشية الصبان ٢/٢٢٥ .

وكذلك الاستعلاء باللام نحو قوله تعالى :(ويخرون للأذقان سجداً — الاسراء ١٠٧) وقوله : (وان اسأتم فلها — الاسراء) (١) .

أما قوله (يخرون للأذقان) فليس المعنى والله أعلم (على الأذقان) لأن هناك فرقاً بين قولك خر على وجهه وخر لوجهه . فخر على وجهه معناه سقط على وجهه واما خرّ لذقنه فمعناه أنه خر حتى بلغ في ذلك الذقن ، أو الاختصاص اي حتى خص ذقنه بذلك .

وقوله (وان اسأتم فلها) معناه انكم لم تسيئوا لأحد وانما اساءتكم لكم أي خصصتم انفسكم بالاساءة . جاء في (الكشاف) في تفسير هذه الآية : « أي الاحسان والاساءة كلاهما مختص بأنفسهم لايتعدى النفع والضرر الى غيركم . وعن علي رضي الله عنه : ما احسنت الى أحد ولا أسأت اليه : وتلاها » (٢) .

ومنه قوله تعالى :(دعانا لجنبه — يونس ١٢). قالوا بمعنى على جنبه .

ولا أرى انها بمعنى (على) بل هي للاختصاص وإيضاح ذلك ان (على) وردت في القرآن الكريم مع الجنب مرتين قال تعالى : (ان في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض — آل عمران ١٩٠ — ١٩١) .

وقال :(فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم فاذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة — النساء ١٠٢). فجاء بلفظ (على) في هاتين الآيتين .

---

(١) المغني ٢١٢/١ .
(٢) الكشاف ٢٢٥/٢ .

وجاء باللام في هذه الآية : (وإذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما – يونس ١٢) .

وسر ذلك والله أعلم انه إذا مس الانسان الضر دعا ربه ملازماً لجنبه أوقاعداً أو قائماً . فان الانسان اذا مسه الضر اكثر مايلازم جنبه ثم القعود ثم القيام فذكر هذه الحالات بحسب الترتيب فقال (لجنبه أو قاعداً او قائماً) في حين أخر ذكر الجنب في غير هؤلاء فقال (الذين يذكرون الله قياما وقعوداً وعلى جنوبهم) وقال (فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم) فقدم القيام في حالة العافية ثم القعود ثم الاضطجاع على الجنب فخالف بين حالتي الضر والعافية ، فقدم الجنب في حالة الضر وأخر القيام ، وقدم القيام في حالة العافية وأخر الاضطجاع على الجنب .

وجاء باللام الدالة على الاختصاص في حالة الضر بمعنى ملازم لجنبه . وجاء بـ (على) الدالة على الاستعلاء في حالة العافية بمعنى مضطجع على جنبه .

ونحوه الاستعلاء بـ (من) نحو قوله تعالى : (ونصرناه من القوم الذين كذبوا – الانبياء ٧٧)- فقد قيل ان (من) ههنا بمعنى (على) .

والذي اراه انها ليست كذلك فان هناك فرقاً في المعنى بين قولك (نصره منه) و(نصره عليه) فالنصر عليه يعني التمكن منه والاستعلاء عليه والغلبة قال تعالى : (ويخزهم وينصركم عليهم – التوبة ١٤) وقال :

-(فانصرنا على القوم الكافرين – البقرة ٢٨٦)- أي مكنا منهم – وليس هذا معنى نصره منه .

اما (نصرناه منهم) فانه بمعنى نجيناه منهم أو منعناه منهم قال تعالى : (وياقوم من ينصرني من الله إن طردتهم – هود ٣٠) فليس المعنى من ينصرني على الله بل من ينجيني ويمنعني منه ؟

وقد تقول : ما الفرق بين قولنـــا (نجيناه من القوم) وقولنا (نصرناه من القوم) ؟

والجواب ان التنجية تتعلق بالناجي فقط فعندما تقول : (نجيته منهم) كان المعنى انك خلصته منهم ولم تذكر انك تعرضت للآخرين بشيء كما تقول (أنجيته من الغرق) ولا تقول (نصرته من الغرق) لأن الغرق ليس شيئاً يُنتصف منه .

اما النصر منه ففيه جانبان : جانب الناجي وجانب الذين نُجّي منهم فعندما تقول (نصرته منهم) كان المعنى انك نجيته وعاقبت اولئك او اخذت له حقه منهم .

ومما يدل على ان (من) ههنا ليست بمعنى (على) قـــوله تعالى : (وياقوم من ينصرني من الله ان طردتهم — هود ٣٠) وقوله (فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا — غافر ٢٩). اذ لايصح ان تكون بمعنى (على) كما هو واضح .

يتبين مما مر أن المعاني المشتركة في حروف الجر ليست متماثلة بل يبقى لكل حرف خصوصيته ومعناه في اداء المعنى المشترك والله اعلم .



مراجع البحث

- التفسير الكبير لفخر الدين الرازي – المطبعة البهية – مصر .
- حاشية الصبان على شرح الاشموني – دار إحياء الكتب العربية .
- شرح التصريح على التوضيح لخالد بن عبد الله الازهري – دار احياء الكتب العربية .
- شرح رضي الدين الاسترابادي على الكافية لابن الحاجب .
- شرح المفصل للزمخشري لموفق الدين ابن يعيش طبع ونشر ادارة ادارة الطباعة المنيرية .
- كتاب الأصول لابن السراج تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي – مطبعة النعمان – النجف الاشرف .
- كتاب سيبويه مصور على طبعة بولاق – نشر مكتبة المثنى ببغداد .
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لجار الله الزمخشري مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر سنة ١٣٦٧هـ – ١٩٤٨م) .
- لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري – مصور على طبعة بولاق .
- مغني اللبيب عن كتب الاعاريب لابن هشام الانصاري تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .
- المقتضب لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة – القاهرة ١٣٨٦ هـ .

رسالة الخط والقلم

المنسوبة الى ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦هـ

تحقيق

الدكتور حاتم صالح الضامن

كلية الآداب ـ جامعة بغداد

المقدمـــة

ازدهرت صنعة الكتابة عند العرب ابّان سيادة الحضـارة العربيـة الاسلامية ، وأصبحت من الحِرَف المتميزة التي تحتاج الى صفات كثيرة ، ولابُدّ للكاتب أنْ يتحلى بها ، ومن هذه الصفات : حسن الخطّ ، وسرعة البديهة ، وشدة الذّكاء ، وتوقّد القريحة ، ونزاهة النفس ، ورجاحة الفهم ، وصواب المنطق ، والأمانة ، والوقار ، والتميّز عما في الطبقات الأُخَر من الطّيش ، وخفّة الأحلام ، وزلل اللسان .

فالكُتّابُ نظـامُ الأمور ، وجمـالُ المُلكِ ، وبهاءُ السّلطانِ ، والألسنةُ النّاطقـةُ عنـه ، وخـزّانُ أموالـهِ ، والأُمَناءُ على رعيّته وبلادهِ ، وهم أغنى النّاس عن الملوك والرعيّة ، وأولاهم بالحِباء والكرامة ، وأحقّهم بمحبّة السّلامة .

وكانت صنعة الكتابة من الحِرَف الصعبة التي اكتسبت مهابة ، ورُزقت الاقبال والتنافس عليها ، وكانت ترقى بالنابغين فيها الى أعلى المناصب وهو الوزارة .

ومن أجل ذلك وُضعت المصنّفات لتنشئة الكُتّاب ، ليقفوا على هذه الصنعة ، وما يحتاجون اليه فيها من علم وثقافة ومعرفة بآلات الكتابة .

وتعدّ وصية عبدالحميد الكاتب للكُتّاب من الآثار المتقدمة في هذا الباب . ثم أُلّفت بعدها كتب ورسائل تتعلق مباشرة بهذا الفنّ ، ومن أهمّ ما وصل الينا منها :

١ ــ كتاب الكُتّاب وصفة الدواة والقلم وتصريفها : لعبدالله بن عبدالعزيز البغداديّ ، المتوفّى بعد سنة ٢٥٦هـ .
٢ ــ أدب الكاتب : لابن قُتَيْبَةَ ، المتوفّى سنة ٢٧٦هـ .
٣ ــ الرّسالة العَذراء : لابراهيم بن المُدَبّر ، المتوفّى سنة ٢٧٩هـ .
٤ ــ أدب الكُتّاب : لأبي بكر الصّوليّ ، المتوفّى سنة ٣٣٥هـ .
٥ ــ عمدة الكُتّاب : لأبي جعفر النّحّاس ، المتوفّى سنة ٣٣٨هـ .
٦ ــ كتاب الكُتّاب : لابْنِ درستويه ، المتوفّى سنة ٣٤٧هـ .
٧ ــ رسالة في علم الكتابة : لأبي حَيّان التوحيديّ ، المتوفّى سنة ٤١٤هـ .
٨ ــ موادّ البيان : لعليّ بن خلف الكاتب ، المتوفّى بعد سنة ٤٣٧هـ .
٩ ــ احكام صنعة الكلام : لأبي القاسم الكَلاعيّ الإشْبيليّ ، المتوفى في النصف الأول من القرن السادس الهجري .
١٠ ــ معالم الكتابة ومغانم الاصابة : لعبدالرحيم بن عليّ بن شيث القرشي ، المتوفّى سنة ٦٢٥هـ .
١١ ــ منهاج الاصابة في معرفة الخطوط وآلات الكتابة : لمحمد بن أحمد الزِّفتاويّ ، المتوفّى سنة ٨٠٦هـ .
١٢ ــ صبح الأعشى في صِناعة الإنشا : لأحمد بن عليّ القَلْقَشَنْدِيّ ، المتوفّى سنة ٨٢١هـ .

ولابد من الاشارة هنا الى أن قسماً من المؤلفين حاولوا تقديم جمل

وأساليب جاهزة للكـُتـّاب ، كعبدالرحمن بن عيسى الهـَمـَذانيّ ، المتوفـّى سـنة ٣٢٠هـ في كتابه : الألفاظ الكتابيـة ، وقدامـة بن جعفر المتوفـّى سنة ٣٣٧هـ في كتابه : جواهر الألفاظ .

(رسالة الخطّ والقلم)

نسبتها :

نسب الشـّيـْزَرِيّ ، المتوفـّى بعد سنة ٦٢٢هـ ، هذه الرسالة الى ابن قتيبـة ، المتوفـّى سنة ٢٧٦هـ(*) في كتابه الذي ماْزال مخطوطاً : (جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام) .

وبعد أنْ درست هذه الرسالة ، وانتهيت من تحقيقها ومقابلتها بكتاب ابن قتيبـة (أدب الكاتب) وبالنصـوص التي وصلت الينا من كتاب (آلة الكـُتـّاب) لابن قتيبة نفسه ، تبيـّن لي أنّ هذه الرسالة ليست لابن قتيبة ، وانما نـُسبت اليه غلطاً ، للأمور الآتية :

أوّلاً ــ بدأت الرسالة بـ :

« أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قـُتـَيـْبـَة الدّيِنـَوَرِيّ في ذكر الخطّ والقلم .

قال أبو محمد المذكور :....

وقال غيرُهُ :....

(*) لم أتحدث عن حياة ابـن قتيبة لكثرة ماكتب فيه . ومن أراد التوسع ، فليرجع الى المصادر المذكورة في :

ــ ابن قتيبة العالم الناقد الأديب : د. عبد الحميد سند الجندي ، القاهرة .

ــ ابن قتيبة : د. محمد زغلول سلام ، القاهرة .

ــ دراسة في كتب ابن قتيبة : د. عبدالله الجبوري ، مجلة آداب المستنصرية ع٢ و ع٣ .

قال ابن قتيبة :.....

وقال عبدالله بن عبدالعزيز :........ » .

فعبارة : « وقال غيره » ، تنفى نسبة الكتاب اليه . والنقل عن عبدالله ابن عبدالعزيز فيه نظر .

ثانياً ــ جاء في الرسالة نصّان نُقلا عن أبي العباس المبرد ، المتوفّى ٢٨٥هـ وهما :

ــ « وروى أبو العباس محمد بن يزيد المبرد : .... » .

ــ « قال أبو العباس : .... » .

وابن قتيبة ، لم يرو في كتبه عن المبرد الذي تُوفّي بعده .

ثالثاً ــ ثمة أقوال في الرسالة تخالف ما ذهب اليه ابن قتيبة في كتابه (أدب الكاتب) .

جاء في الرسالة :

« تقول : أتربتُ الكتاب أُتْرِبه إتْراباً ، وترَّبْتُه تتريباً : اذا ألقيتَ عليه التّراب . واذا أمرتَ ، قلت : أَتْرِبِ الكتابَ إترابا جيّداً ، وتَرِّبْه تتريباً » .

وجاء في كتابه (أدب الكاتب) ص ٣٨٠ .

« أَتْرِبِ الكِتابَ ، ولا يُقالُ : تَرِّب » .

وقد أكّد هذا ابن السِّيد في كتابه : (الاقتضاب في شرح أدب الكُتّاب) ١/١٨٢ ، فقال :

« ومن اللغويين مَنْ يقول : أتربت ، ولا يُجيز : ترَّبْتُ .

وكذلك قال ابن قتيبة في الأدب » .

رابعاً ــ ثمة نصوص كثيرة في الرسالة جاءت في كتاب (الكتاب وصفة الدواة والقلم وتصريفها) لعبدالله بن عبدالعزيز البغدادي من غير إشارة اليه ، منها على سبيل المثال لا الحصر :

١ ـ جاء في هذه الرسالة :

« واذا تركت شحمه عليه ، ولم تأخذه ، قلتَ : أشحمت القلم ، فهو مشحم . واذا أخذت شحمه ، قلت : شحمته أشحمه شحماً ، وهو قلم مشحوم » .

وجاء في (كتاب الكتاب وصفة الدواة والقلم) ص ٥٠ :

« فاذا تركت شحمه عليه ، ولم تأخذه ، قلت : أشحمت القلم ، وهو قلم مشحم ، فاذا أخذت شحمه ، قلتَ : أشحمت القلم أشحمه شحماً ، وهو قلم مشحوم » .

٢ ـ جاء في هذه الرسالة :

« ويقـال للشحمة التي في رأس القلم : الضَّـرَّة ، شبّـهت بضرّة الا ِبْهام . فاذا أخذت الشحمة ، قيل لموضعها : الحفرة ، وهو قلم محفور » .

وجاء في (كتاب الكتاب وصفة الدواة والقلم) ص ٥٠ :

« ويقال للشحمة التي في أصل رأس القلم : الضَّرَّة ، شبّـهت بضرّة الابهام ، وهي اللحمة التي في أصل الابهام ، فاذا أخذت تلك الشحمة ، قيـل لموضعها : الحفرة ، وقلم محفور »(*) .

٣ ـ جاء في هذه الرسالة :

« فاذا قطر من رأس القلم شيء من المِداد ، قيل : رعف القلم يرعف ، وهو قلم راعف . فاذا أخذت مداداً فقطر ، قلت : أرعفت القلم إرعافاً ، وهو قلم مرعف . وتقول : استمدد ولا ترعف ، أي : لا تكثر المِداد حتى يقطر القلم » .

(*) في طبعة بغداد : الجفرة ... ومجفور ، بالجيم . وهو تصحيف والصواب ما في طبعة سورديل .

وجاء في (كتاب الكتاب وصفة الدواة والقلم) ص ٥٠ :

« فاذا قطر من رأس القلم من المداد ، قيل : رعف القلم يرعف ، وهو قلم راعف . فاذا أكثرت مداده فقطر ، قلتَ : أرعفت القلم إرعافاً ، وهو قلم مرعف . ويقال : استمدد ولا ترعف ، أي : لا تكثر المِداد حتى يقطر » .

٤ ـ **جاء في هذه الرسالة :**

« وتقول : نظرت الى الكُتُب فاختمتها ، أي : وجدتها مختومة ، كقولك : أبخلت الرجل : وجدته بخيلاً » .

وجاء في (كتاب الكتاب وصفة المداوة والقلم) ص ٥٤ :

« ويقال : نظرت الى الكتب فأختمتها ، أي : رأيتها مختومة ، كما تقول : أبخلت فلاناً ، اذا وجدته بخيلاً » .

أقول : انّ النقل عن البغدادي من غير إشارة اليه ، فيه نظر ، اذ أنّ البغدادي كان معاصراً لابن قتيبة ، ولا يمكن أنْ يسلخ ابن قتيبة كتابه ، وما عُرِفَ عنه مثل هذا .

خامساً ـ لابن قتيبة كتابٌ سمّاه ابن السِّيد في (الاقتضاب):

(آلة الكُتّاب) ، ونقل منه نصوصاً ، نذكر منها :

١ ـ **جاء في (الاقتضاب) ١٦٤/١ :**

« وقد حكى ابن قتيبة في (كتاب آلات الكُتّاب) : أنّه يُقالُ للمداد : نِقْسٌ ونَقْس ، بالكسر والفتح . قال : والكسر أفصح وأَعْرَبُ . ويُقال : مددت الدّواة أَمُدُّها مدّاً : اذا جعلتَ فيها مِداداً . فاذا كان مداداً ، فزدتَ عليه ، قلت : أمددتها اِمداداً . واذا أمرته أن يأخذ بالقلم من المِداد ، قلت : استمدد . واذا سألته أنْ يعطيك على القلم مِداداً ، قلتَ :

أمْدِدْني من دواتك . وقد استمددته : اذا سألتَهُ أنْ يُمِدَّكَ . وحكى الخيل : مُدَّني وأَمِدَّني ، أي : أعْطِني من مِدادِ دَواتك ، وكلّ شيء زاد فهو مِداد .

قال الأخطل :

رأوا بارقاتٍ بالأكُفِّ ، كأَنَّها

مصابيحُ سرج أُوقِدَت بمِدادِ

يعني : بالزيت » .

أقول : هذا القول يخالف ما ورد عن المداد في هذه الرسالة .

٢ ـ جاء في الاقتضاب ١٦٩/١ :

« ويُقال للشحمة التي تحت بَرْيَة القلم : الضَرَّة ، شُبِّهَتْ بضرّة الابهام ، وهي اللحمة في أصلها . كذا قال ابن قتيبة في (آلة الكُتّاب) .

٣ ـ جاء في الاقتضاب ١٧١/١ :

« وقال أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة في (كتاب آلة الكُتّاب): ذكر أبو المُنْذر هِشام بن محمد بن السائب الكلبيّ عن أبيه ، قال : أوّل من وضع الخطّ نفر من طيء بن بولان ، وهم : مُرامر بن مُرّة ، وأسلم بن سدرة ، وعامر بن جَدَرة ، فساروا الى مكّة ... » .

أقول : انّ ابن قتيبة استوفى في كتابه (آلة الكُتّاب) القولَ في المداد والقلم والخط والحِبر وغيرها من آلات الكتابة ، فكيف يؤلف رسالة في الخط والقلم ؟ .

سادساً ـ جاء في (كتاب تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول اللّه من الحِرَف والصنائع والعمالات الشرعية) للخزاعي ،

المُتَوفَّى سنة ٧٨٩هـ عند كلامه على الديوان (ص ٢٤٨) :

« وقال ابن قتيبة في (صناعة الكتابة) : وانما هى بالياء على لفظه ، قال : وداله بالكسر ، ولا تفتح » .

اقول : ولم يرد هذا الكلام في هذه الرسالة عند الحديث عن (الديوان) .

وقد ذكر الخُزاعي في ذكر موارد كتابه (ص ٧٩٦) : أدب الكاتب ، وعيون الأخبار ، والمعارف ، وصناعة الكتابة لأبي جعفر النَّحّاس ، وصِناعة الكتابة لابن قتيبة .

وأنا أُرجّح أنّ (آلة الكُتّاب) الذي ذكره ابن السِّيد ، (وصناعة الكتابة) الذي ذكره الخُزاعيّ ، هما كتاب واحد .

وبعد ، فهذه الملاحظات تدفع نسبة هذه الرسالة عن ابن قتيبة ، واللّه أعلمُ .

مصادر الرسالة :

ليس في الرسالة ذكر للكتب التي اعتمدت عليها . ولكننا عند دراستنا لها ، اتّضح لنا أن جامع الرسالة نقل عن عبداللّه بن عبدالعزيز مرة واحدة ، وعن أبي عبيدة ثلاث مرات ، وعن الأصمعي ثلاث مرات ، وعن المبرد مرتين ، وعن الأُمَويّ عبداللّه بن سعيد مرة واحدة ، وورد اسم ابن قتيبة مرتين .

شواهد الرسالة :

اولاً ـ القرآن الكريم :

استشهد صاحب الرسالة بخمس آيات من القرآن الكريم .

ثانياً ـ الأمثال والأقوال :

استشهد صاحب الرسالة بأربعة من الأمثال والأقوال .

ثالثاً ـ الأشعار والأرجاز :

في الرسالة ثمانية عشر بيتاً من الشعر ، وسبعة أبيات من الرجز .

مخطوطة الرسالة :

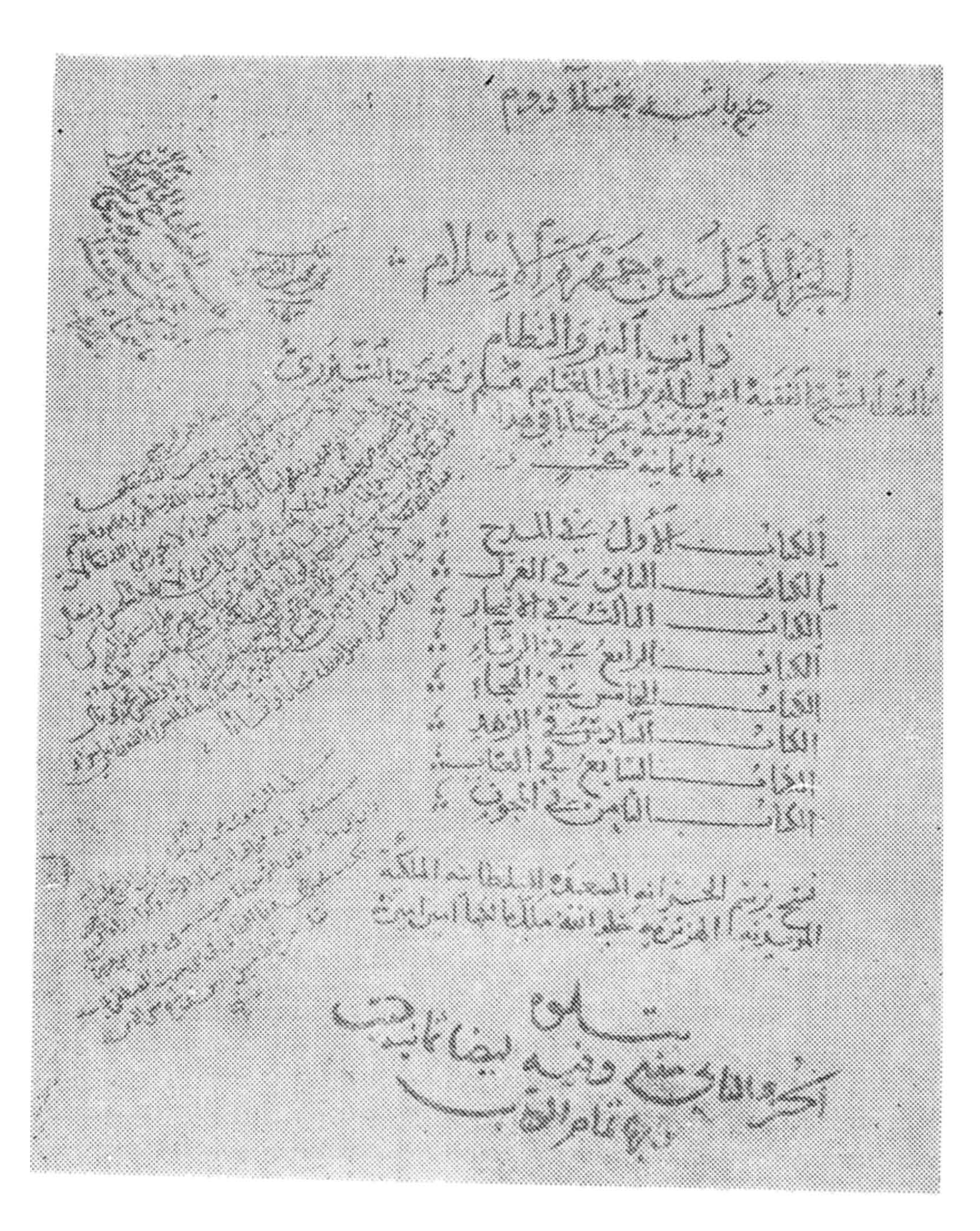
اعتمدت في تحقيق هذه الرسالة على نسخة فريدة من كتاب (جمهرة الاســلام ذات النثر والنظــام) لأمين الدولة أبي الغنائم مسلم بن محمود الشَّيْزَريّ ، المتوفَّى بعد سنة ٦٢٢هـ ، تحتفظ بها مكتبة جامعة لايدن بهولندا برقم ٢٨٧ .

وتقع هذه المخطوطة في ٥٢٦ صفحة ، في كل صفحة ٢٩ سطراً ، وتاريخ نسخها ٦٩٧هـ .

أَمّا رسالتنا هذه ، فتقع في الصفحات ٢٨٤ ـ ٢٨٩ من هذه المخطوطة .

وقد أرفقت صوراً لعنوان المخطوطة وللصفحتين الأولى والأخيرة من الرســالة .

والحمدُ للّه الذي هدانا لهذا ، وما كُنّا لنهتدي لولا أنْ هدانا اللّه ، وما توفيقي الاّ باللّه عليه توكلت واليه أنيب .



الجزء الأول من حماسة الإسلام

ذات النثر والنظام

الكتاب الأول في المدح

الكتاب الثاني في الغزل

الكتاب الثالث في الاعتبار

الكتاب الرابع في الرثاء

الكتاب الخامس في الهجاء

الكتاب السادس في الزهد

الكتاب السابع في العتاب

الكتاب الثامن في الأجوبة

تم الكتاب

صفحة العنـوان

الصفحة الأولى من الرسالة

الصفحة الأخيرة من الرسالة

(نص الرســالة)

أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري في ذكر الخط والقلم .

قال أبو محمد المذكور : يُسمَّى القلمُ الذي يُكتبُ به قلماً ، لأنّه قُلِّمَ وقُطِعَ . ومنه : قلَّمْتُ أظفاري . ومنه قيلَ : قُلامَةُ الظُّفرِ ، لِما يُقْطَعُ منه[1] .

وقالَ غيرُهُ : يُقالُ للشيءِ الذي يُقلَّمُ به : مِقْلَمٌ .

قالَ ابنُ قُتَيْبَةَ : وقد تُسمَّى القِداحُ أقلاماً ، وانّما سُمِّيَتْ بذلك لأنَّها تُبْرَى . قالَ اللهُ ، عزّ وجَلَّ : (اذْ يُلْقُونَ أقْلامَهُمْ أيُّهُم يَكْفُلُ مَرْيَمَ)[2] . قالَ : كانوا تَشاحُّوا في كَفالتها ، فضربوا عليها بالقِداحِ ، فخرج[3] قِدْحُ زكريّا ، فكفلها .

وقالَ عبدالله بن عبدالعزيز[4] : كُلُّ قصبة قُطِعَتْ منها قِطعة ، فالقطعةُ قَلَمٌ . وكلُّ عودٍ نُجِرَ وعُلِّمَ رأسُهُ بعلامةٍ ، فهو قَلَمٌ .

وقالَ في قوله عزّ وجَلَّ : (اذ يُلْقُونَ أقلامَهُمْ) : جاء في التفسير أنّها كانت عِيداناً ، مكتوب على رؤوسها أسماؤهم .

وجمع القلم : أقلام وقِلام ، مثل : جَبَل وأَجْبال وجِبال .

(البَرْيُ ووجوهُهُ)

قال أبو عُبَيْدة[5] : لا يُقالُ للقلم (قلم) حتى يُبرى ، والاّ فهو

---

(١) ينظر عن القلم : ادب الكتاب ٨٦ ، كتاب الكتاب ٩٥ ، الاقتضاب ١٦٥/١ .

(٢) آل‌عمران ٤٤ . وينظر : تفسير القرطبي ٨٦/٤ .

(٣) مكررة في الأصل .

(٤) الكتاب وصفة الدواة والقلم ٤٩ . وعبدالله بن عبد العزيز البغدادي كان مؤدباً للخليفة المهتدي بالله . (نكت الهميان ١٨٢ ، الوافي بالوفيات ٢٩٢/١٧) .

(٥) معمر بن المثنى ، ت ٢١٠هـ . (مراتب النحويين ٤٤ ، معجم الأدباء ١٩/ ١٥٤) .

قصبة» . ولا يُقالُ للرمح (رمح) الاّ وعليه سِنان ، والاّ فهو قناة» . ولا يُقالُ للمائدة (مائدة) الاّ وعليها طعام» ، والاّ فهي خِوان» ، ولا يُقالُ للكأس (كأس) الاّ وفيها شراب» ، والاّ فهي زجاجة» . ولا يُقالُ للسرير (أريكة) الاّ وعليها حَجَلَة» ، والاّ فهي[6] سرير» .

ويُقال من البَرْي[7] : بَرَيْتُ القلمَ أبريه بَرْياً وبراية» ، وقلَم» مَبْرِيّ» ، غير مهموز ، فأنا بارٍ للقلم . ويُقال لما يسقطُ منه عندَ البَرْي (بُراية) ، على وزن فُعالة ، والفُعالة اسم» لكلّ فَضْلَةٍ تفضلُ من شيءٍ قليل أو كثير ، كالقُمامة ، والكُساحة[8] ، والجُرامة[9] : وهو اسم لمَا بقى من كَرَب النَّخْل .

فاذا أمرتَ من البَرْي ، قلتَ : إبْرِ قلَمَكَ بَرْياً جَيِّداً وبِراية» جَيِّدَة» . قالَ الشّاعرُ[10] :

يابارِيَ القَوْسِ بَرْياً ليسَ يُحْكِمُهُ
لا تُفْسِدِ القوسَ ، أَعْطِ القَوْسَ بارِيها

وأصلُ البَرْي التّرقيق والارهاف ، ومنه قيل : بَرَتِ العِلّةُ جسمَ فلانٍ ، اذا أَنحلته ؛ لأنّ باري القلم يرقّ موضع سِنّهِ عن سائِرِهِ .

وتقولُ : قَطَطْتُ القلمَ أَقُطُّهُ قَطّاً ، اذا قطعتَ سِنَّهُ . والأصلُ في القَطّ القَطْعُ ، ومنه يُقال : ضَرَبَهُ على مَقَطّ شعرِهِ ، وهو حيثُ يُقطع شعرُ الرّأس من القَفا .

---

(6) في الأصل : وهي . وينظر : المدخل الى تقويم اللسان ق ١/٥١ وشرح مقصورة ابن دريد للخمي ٤٦٨ .
(7) ينظر عن البري : ادب الكتاب ٨٦ ، كتاب الكتاب ٩٥ .
(8) المزهر ٢/١١٩ .
(9) في الأصل : الحرامة ، بالحاء المهملة ، وكذا في المزهر . والصواب ما اثبتنا . ينظر : المعجم في بقية الاشياء ٦٧ واللسان والتاج (جرم) .
(10) بلاعزو في جمهرة الأمثال ١/٧٩ ومجمع الأمثال ٢/١٩ .

ويُقالُ للعودِ الذي يُقَطُّ عليه القَلَمُ : مِقَطٌّ ، وجمعه : مَقاطٌّ ، وأنشــدَ(١١) :

رابي المَجَسِّ جَيِّدُ المَخَطِّ
كأنّما قُطَّ على مِقَطِّ

وتقولُ : قلمٌ مقطوط وقَطيط ، مثل : مقتول وقتيل . وأنا قاطٌّ ، والأصلُ : قاطِطٌ ، كقولك : ضَرَبْتُ ، وأنا ضارِبٌ ، فأدغمتَ إحدى الطّاءَين في الأخرى .

فاذا أَمَرْتَ منه ، قلتَ : قُطَّ قلمَكَ . وانْ أَظْهَرْتَ التخفيفَ ، قلتَ : اقطُطْ قَلَمَكَ .

وتقولُ : قَصَمْتُ القلمَ أقصمُهُ قَصْماً ، وهو مقصومٌ . وأصلُ القَصْمِ الكَسْرُ ، ومنه قولهم : انقصمت ثنيّتُهُ ، اذا انكسرتْ (٢٨٥) من عَرْضها . ويُقالُ : ثنيّــةٌ قَصْماءُ ، ورجلٌ أَقْصَمُ ، وامــرأةٌ قَصْماءَ . فان انكسرتِ الثنيّــة طولاً ، فهــو أَنْقَصُ ، وقد انقاصتْ ثَنِيَّتُهُ(١٢) .

ويُقالُ لِسِنِّ القلم : الجِلْفَةُ(١٣) ، وهي مؤنّثة ، مأخوذٌ من سِنِّ الانســانِ .

واذا تركتَ شَحْمَهُ عليه ، ولم تأخذه ، قلتَ : أشحمتُ القلمَ ، فهو مُشْحَمٌ(١٤) . واذا أخذتَ شَحْمَهُ ، قلتَ : شحمتُهُ أشحمُهُ

---

(١١) لأبي النجم العجلي ، ديوانه ١٣١ وروايتهما :

ضخمَ القذالِ حسن المَخَطِّ
كأنّهُ . . . . .

(١٢) ينظر : خلق الانسان لثابت ١٧٨ .

(١٣) ينظر : كتاب الكتاب ٩٥ ، صبح الأعشى ٢/٤٦٠ ، حكمة الاشراق ٧٩ .

(١٤) في الأصل : مشحوم . وينظر : الكتاب وصفة الدواة والقلم ٥٠ .

شَحْماً ، وهو قلمٌ مشحومٌ"[١٥] .

وانِ استأصلتَ شحمَهُ ، وأخذتَ من بطنِهِ ، قلتَ : قلمٌ مُبَطَّنٌ ، وقد بَطَّنْتُهُ تبطيناً[١٦] .

ويُقالُ للشّحمة التي في رأس القلم : الضَّرَّة ، شُبِّهَتْ بضرَّةِ الابهام . فاذا أخذتَ الشحمة ، قيلَ لموضعها : الحَفْرَة ، وهو قلمٌ محفورٌ"[١٧] .

ويُقال : قلمٌ مُذْنَبٌ ، اذا بُرِيَتْ له سِنٌّ غليظة غير مشقوقة تُصْلَحُ بها اللِّيقة . وقد ذَنَّبْتُ القلمَ تَذْنيباً ؛ لأنّه مفعول به . وليس كقولهم : بُسْرَةٌ مِذْنَبَةٌ ؛ لأنّ التَّذْنيبَ ظهرَ منها ، فنُسِبَ الفعلُ اليها . وكذلكَ : جرادةٌ مِذْنَبَةٌ ، وفرسٌ ذَنوبٌ : اذا كانَ طويلَ الذَّنَبِ ، وقلمٌ ذَنوبٌ : طويلُ الذَّنَبِ[١٨] .

(الدَّواة)

تقولُ العربُ : دَواة ودياة ودَوِيّ ، ودَوًى مقصور[١٩] ، وهو الجمعُ الكثيرُ . قالَ الشّاعرُ[٢٠] :

دَعِ الأَطْلالَ يندُبْها السَّوِيُّ
ويَبْكِ على مغانيها الوَلِيُّ

وتَرْقُشْها السَّواري والسَّوافي
كما رَقَشَتْ مَهارِقَها الدَّوِيُّ

(١٥) القول بتمامه في كتاب الكتاب وصفة الدواة والقلم ٥٠ .
(١٦) ينظر : الكتاب وصفة الدواة والقلم ٥٠ .
(١٧) القول في الكتاب وصفة الدواة والقلم ٥٠ وفيه : الجفرة ... مجفور ، بالجيم .
(١٨) القول بتمامه في الكتاب وصفة الدواة والقلم ٥٠ .
(١٩) ينظر عن الدواة : أدب الكتاب ٩٨ ، كتاب الكتاب ٩٥ ، الاقتضاب ١٦١/١
(٢٠) بلا عزو في منهاج الاصابة ٢٠٢ .

وتقولُ : أدويتُ دَواةً ، أي : اتخذتُ دواةً ، وأنا مُدْوٍ .

واذا أمرتَ غيرَكَ ، قلتَ : إدْوِ يافُلانُ .

ويُقالُ للذي يبيع الدَّوِيّ : دَوّاء ، كقولك : تَبّان ، وشَعّار ، وخيّاط .

ويُقـالُ للذي يعمـل الدَّوِي : مُدَوٍّ ، كما يُقالُ للذي يصلحُ القَنَا : مُقَنٍّ . قال الرّاجزُ[21] :

كما أقامَ دَرْءَها المُقَنّي

ويُقال للذي يحمل الدَّواة : داوٍ ، كما يُقال للذي يحمِلُ السَّيفَ : سائف ، والذي يحملُ الرُّمْحَ : رامِح ، والذي يحملُ التُّرْسَ : تارِس .

(اللّيقة)

يُقالُ للصُّوفةِ والقُطْنةِ التي تكونُ في الدَّواة : لِيقة[22] ، وتجمع أَلْياقاً . وانّما سُمِّيَتْ : لِيقة ؛ لأنّها تَحْبِسُ ما جُعِلَ فيهـا من السـواد وتُمسكُهُ ، مأخـوذ من قولهـم : « فلانٌ ما تَليقُ كَفُّهُ درهماً»[23] ، أي : ما تحبسه فتمسكه . وكفٌ ما يليقُ بها درهمٌ ، أي : ما تحبس ولا تستمسك . قال الرّاجزُ[24] :

كفّاكَ : كَفٌ ما تليقُ دِرْهَما
جُوداً ، وكَفٌ تُعْطِ بالسيفِ الدَّما

(٢١) بلا عزو في كتاب الكتاب وصفة الدواة ٤٨ .
(٢٢) ينظر عن الليقة : ادب الكتاب ٩٩ ، كتاب الكتاب ٩٦ ، صبح الأعشى ٤٦٩/٢ .
(٢٣) صبح الأعشى ٤٦٩/٢ .
(٢٤) بلا عزو في معاني القرآن ٢٧/٢ وتفسير الطبري ١١٦/١٢ والزاهر ٨٦/٢ والمنصف ٧٤/٢ والدر المصون ٣٨٧/٦ .

وروى أبو العبّاس محمد بن يزيد المُبَرِّد[٢٥] قال : دخل الأصمعي[٢٦] على الرَّشيد بعدَ غَيْبَةٍ غابها فقالَ : كيفَ حالك ، يا أَصْمَعِيُّ ؟ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، ما ألاقتني[٢٧] أرض ، أي : ما حبستني حتى خرجت عنها . فأمسكَ الرَّشيدُ . فلمّا تفرَّقَ أهلُ المجلس ، قال له[٢٨] : ما معنى ألاقَتْني ؟ قال : حبستني ، فقال الرَّشيد : لا تكلمني في مجلس العامّة بما لا أعلمُ .

وتقولُ : أَلَقْتُ الدَّواةَ ، فهي مُلاقة . ولِقْتُها ، فهي مَلِيقَة ، اذا جمعتَ مِدادَها في صوفِها وقُطْنِها .

وقولهم : « ما يليقُ هذا الأمرُ بصَفَرِي »[٢٩] ، أي : قلبي ، أي ما يُمسكه ويجتمع فيه . وأنشدَ العامريّ[٣٠] :

لعمرك إنَّ الحبَّ يا أُمَّ مالكٍ
بجسمي جزاني اللّهُ منك لَلائقُ

ويُقالُ : لِقْتُ الدَّواةَ ، وهي مَلِيقة[٣١] . هذا اذا أصلحتَها ، وزدْتَ في سَوادِها . فأما اذا لم تكن فيها لِيقة ، فجعلتَ فيها لِيقةً ، فأَلَقْتها بالألف ، لا غير . واذا أمرتَ من ألقت ، قلتَ : أَلِقْ دَواتَكَ ، بقطع الألف ، الاقةً ، وأنتَ مُلِيق . واذا أمرتَ من قولك : < لقت ،

---

(٢٥) ت ٢٨٥هـ . (اخبار النحويين البصريين ١٠٤ ، تهذيب اللغة ١/٢٧) .
(٢٦) ابو سعيد عبد الملك بن قريب ، ت ٢١٦هـ . (مراتب النحويين ٤٦ ، تاريخ بغداد ١٠/٤١٠) .
(٢٧) في الأصل : لاقتني ، في الموضعين . ينظر : أدب الكتاب ٩٩ ، صبح الأعشى ٢/٤٦٩ ، اللسان والتاج (ليق) .
(٢٨) في الأصل : فقال له .
(٢٩) اللسان والتاج (ليق) .
(٣٠) قيس بن الملوح ، ديوانه ٢٠٣ ورواية عجزه : بقلبي براني الله منه للاصق ولا شاهد فيه على هذه الرواية .
(٣١) في الأصل : مليله . وهو تحريف .

قلت > : لِقِ الدواة ليقاً جيِّداً ، وأنتَ لاقٍ • وقد أَمَهْتُ اللّيقةَ أَميهُها اماهةً (٢٨٦) ، فأنا مُميه" لها ، اذا أكثرتَ ماءَها • وقد ماهَتْ ، فهي تماهُ وتموهُ ، وهي مائِهة" اذا كثر ماؤها •

ويُقالُ : صُفْتُ الدَّواةَ أصُوفُها صَوْفاً : اذا جعلتَ فيها ليقةً من صوف • وكَرْسَفْتُها أُكَرسِفُها كرسفةً وكرسافاً ، اذا جعلتَ فيها لِيقة من كُرْسُفٍ ، وهو القُطْنُ •

(المِـــداد)

يُقالُ : هو المِدادُ ، وهي المِداد[٣٢] ؛ لأنّه جَمْعُ مِدادةٍ • وكلُّ جمعٍ ليس بينه وبين واحِدِه الاّ الهاء ، فانّه يُذكّر ويؤنث ، مثل غمامة وغمام ، وحمامة وحمام ، وشجرة وشجر[٣٣] •

ويُقال : مَدَدْتُ الدَّواةَ أمُدُّها مَدّاً ، وهي دواة" مُمَدَّة" ، اذا جعلتَ فيها مِداداً • وانْ كانَ فيها مِداد" ، فزدْتَ فيها مداداً آخرَ ، تقولُ : أمددتُها امداداً ، فهي مُمَدَّة" • وكلُّ شيء يَزِيد في شيءٍ بنفسه، فانّهُ يُقال فيه : مَدَّهُ يَمُدُّهُ • قاه اللّه تعالى : (والبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ)[٣٤] •

فانْ كانَ الشّيءُ يزيد في الشّيء بغيره فهو بالألف ، يُقال : أمددتُهُ بالرّجال وبالمال • قال اللّه تعالى : (وأَمْدَدْناكُمْ بأَمْوالٍ وبَنِينَ)[٣٥] •

ويُقالُ لِما أُمِدَّ به السِّراج[٣٦] من الزيت : مِداد" • وكلُّ شيءٍ

---

(٣٢) ينظر عن المداد : كتاب الكتاب ٩٦ ، الزاهر ٢/٢٥٤ ، صبح الأعشى ٢/٤٧١ .

(٣٣) ينظر : المذكر والمؤنث للمبرد ٨٦ .

(٣٤) لقمان ٢٧ .

(٣٥) الاسراء ٦ .

(٣٦) في الأصل : السراج فيه .

أمددتَ به شيئاً ، فهو مِداد ، ومنه أُخِذَ اسم المِداد . وأنشدَ الأخطلُ[37] :

رأتْ بارقاتٍ بالأكُفِّ ، كأنّها
مصابيحُ سُرْجٍ أُيِّدَتْ بمِدادِ

أي : بزيتٍ ، فسمّاه مِداداً ؛ لأن السِّراجَ يُمَدُّ به . فهذا دليلٌ على ما قلناه .

وتقولُ : اسْتَمْدِدْ من الدَّواة ، اذا أمرتَهُ أنْ يأخذَ على القلم مِداداً . واستمددْ فلاناً ، اذا سألته أنْ يجعَلَ على قلمك مِداداً ، فيقول : قد أمددتُك امداداً .

وتقول : أَمِدَّني على قلمي مِداداً ، وأمدّني من دَواتِكَ ، أي : أمْكِنِّي من مِدادها فاستمدّ منه[38] .

فاذا قَطَرَ من رأسِ القلمِ شيءٌ من المِدادِ ، قيلَ : رَعَفَ القلمُ يرعُفُ ، وهو قلمٌ راعِفٌ . فاذا أخذتَ مِداداً فقَطَرَ ، قلتَ : أرعفتُ القلمَ ارعافاً ، وهو قلمٌ مُرْعَفٌ .

وتقولُ : استمِددْ ولا تُرْعِفْ ، أي : لا تُكْثِرِ المِدادَ حتى يقطرَ القلمُ[39] .

(الحبر)

يُقالُ للحِبْرِ[40] : اللون . يُقالُ : انّ فلاناً لنَاصعُ الحِبْرِ ،

---

(37) ديوانه 136 .
(38) ينظر : الكتاب وصفة الدواة والقلم 49 .
(39) القول بتمامه في الكتاب وصفة الدواة والقلم 50 .
(40) ينظر عن الحبر : الزاهر 2/253 . ادب الكتاب 100 ـ 103 ، صبح الأعشى 2/471 .

يُراد به اللون النّاصع الصّافي من كلِّ لونٍ • قالَ ابنُ أحْمَرَ[٤١] :

سَبَتْهُ بفاحِمٍ جَعْـدٍ
وأَبْيَضَ ناصعِ الحِبْرِ

يُريدُ سوادَ شعرِها وبياضَ لونِها •

ويُقالُ : فلانٌ قد ذهَبَ حِبْرُهُ وسِبْرُهُ[٤٢] • فالحِبْرُ : الحُسْنُ ، والسِبْرُ : الثّيابُ والهيئةُ •

وقال الأصمعي[٤٣] : انّما سُمِّي حِبْراً ، لتأثيره • يُقالُ : على أسنانه حِبرٌ ، اذا كثرتْ صُفْرتُها حتى تضرِبَ الى السّواد • والحِبْرُ : الأَثَرُ يبقى في الجلد من الضَّرْب • يُقالُ : قد أحْبرَ جلده ، اذا بَقِيَ به أَثَرٌ بضربٍ ، وأنشد[٤٤] :

لقد أشمتَتْ بي أهْلَ فَيْدٍ ، وغَادَرَتْ
بكفِّيَ حِبـراً بنتُ مَصّانَ بادِيا

قال أبو العبّاس[٤٥] : وأنا أحسبُ أنّه سُمِّيَ بذلك ، لأن الكتبَ تُحَبَّرُ به ، أي تُحَسَّنُ •

وقال الأُمَوي[٤٦] : انما سُمِّيَ الحبرُ حبراً ، لأنّ البليغَ اذا حَبَّرَ بـه ألفاظَهُ ، وأَتَمَّ بيانَهُ ، أحضرَ معانيَ الحِكَمِ آنَقَ من حَبَرات اليَمَن ، ومفوّفات وَشْيِ صَنْعاء •

---

(٤١) أخلّ به شعره . وهو له في صبح الأعشى ٢/٤٧١ .
(٤٢) أساس البلاغة ٧١ (حبر) .
(٤٣) صبح الأعشى ٢/٤٧٢ .
(٤٤) لمُصَبِّح بن منظور الأسدي في اللسان والتاج (حبر) .
(٤٥) هو المبرد في صبح الأعشى ٢/٤٧٢ والتاج (حبر) .
(٤٦) عبدالله بن سعيد اللغوي . (الفهرست ٥٤ ، انباه الرواة ٢/١٢٠) .

(الكتاب)

قال أبو عُبَيْدَةَ وغيره من أهل اليمن : يُسمّى الكِتابُ كتاباً ، لتأليف حروفه ، وانضمام بعضها الى بعض . وكلُّ شيءٍ جمعتَهُ ، وضممتَ بعضَهُ الى بعض ، فقد كتبتَهُ[47] . قال الشاعر[48] :

لا تأمَنَنَّ فَزارِيّاً خلوتَ به
على قَلُوصِكَ واكْتُبْها بأَسْيارِ

أي : ضُمَّ شُفْرَيْ[49] حَيائِها واجْمَعْهُما .

وتقولُ : قد كتبتُ الكتابَ كَتْباً وكِتاباً وكِتابةً ومكتبةً ، اذا جَمَعْتَ بين حروفه وضممتَ بعضَها الى بعض ، وأنا كاتبٌ ، والجمعُ : كاتِبون ، وكُتّاب ، وكَتَبَة ، وكتب[50] .

ويُقالُ (287) للخيلِ اذا جُمِعَتْ ، وضُمَّ بعضُها الى بعضٍ : كَتِيبَة .

ويُقالُ : كَتَبَ الرَّجُلُ ، اذا خَطَّ . وأكْتَبَ يكتبُ اكتاباً ، اذا صارَ حاذِقاً بالكتابِ .

ويُقالُ : أَتَيْتُ فُلاناً فأكتَبْتُهُ ، اذا وجدتَه كاتباً . كقولهم : أبخلتُهُ : وجَدته بخيلاً ، وأَسْخَيْتُهُ : وجَدْته سَخِيا[51] .

ويُقال : قد استكتبَ فُلان : اذا ادّعى أنْ يكونَ كاتباً .

والمُكَتِّبُ[52] : المُعَلِّمُ . والمَكْتَبُ : الموضعُ الذي <يكتب>

---

(47) ينظر : المسائل الحلبيات ٣٠٣ ـ ٣٠٧ ، جمال القراء وكمال الاقراء ٢٨/١ ، البرهان ٢٧٦/١ ، التاج (كتب) .
(48) سالم بن دارة في الكامل ٩٨٨ وخزانة الأدب ٥٣١/٦ .
(49) في الأصل : شفرتي .
(50) القول في الكتاب وصفة الدواة والقلم ٥٠ .
(51) القول في الكتاب وصفة الدواة والقلم ٥١ .
(52) ينظر : اللسان والتاج (كتب) .

فيه . والمُكْتَّب : الموضع الّذي يتعلم فيه الكتابة[٥٣] .

وتقولُ : قد كَتَّبْتُ الغُلامَ أُكَتِّبُهُ تكتيباً ، وأَكْتَبْتُهُ اكتاباً ، اذا علَّمْتَهُ الكتابةَ[٥٤] .

وتقولُ : قد كاتبتُ فُلاناً ، أي : خايرته ، فكتبتُهُ ، أي : غلبته في جودةِ الخَطِّ ، فكنتُ أَكْتَبَ منه ، فهو مكتوبٌ ، كقولك : فاخرته ففَخَرْتُهُ ، أي : فكنت أَفْخَرَ منه . وفاطَنْتُهُ ، ففطَنْتُهُ ، أي : كنتُ أَفْطَنَ منه .

ويُقالُ للحافِظِ العالِم : الكاتِبُ ، ومنه قول الشّاعر :

أَوْصَيْتُ بالحَسناءِ قَلْباً كاتبا

وزخرفته : اذا حَسَّنْتَه ، وزيَّنْتَهُ ، ونَمَّقْتَهُ .

وأنشد المُرَقِّشُ[٥٥] :

الّدارُ وَحْشٌ ، والرسومُ كما

رَقَّشَ في ظَهْرِ الأدِيمِ قَلَمْ

وبهذا البيت سُمِّي المُرَقِّش[٥٦]

وتقولُ العربُ[٥٧] : زَبَرْتُ الكتابَ أَزْبُرُهُ زَبْراً وزَبوراً ، اذا كتبتَهُ .

والزُّبُرُ : الكُتُبُ ، واحدها زَبور ، وهو فَعول في موضع مفعول ، كما قالوا : ناقة رَكُوب وحَلُوب ، أي : مركوبة ، ومحلوبة . وقد يكون زَبور بمعنى زابِر ، أي : كاتِب ، كقولك : ضارِب وضَروب . قالَ امْرُؤُ

---

(٥٣) القول في الكتاب وصفة الدواة والقلم ٥٢ .
(٥٤) القول في الكتاب وصفة الدواة والقلم ٥٢ .
(٥٥) شعر المرقش الأكبر ٨٨٤ .
(٥٦) الزاهر ١٢٣/٢ .
(٥٧) الزاهر ١٦٩/١ .

القَيْس[58] :

أَتَتْ حِجَجٌ بعدي عليها فأَصْبَحَتْ
كخَطِّ زَبُورٍ في صحائفِ رُهْبانِ

أي : بخطِّ كاتِبٍ . وقالَ أبو ذُؤَيْب[59] :

عَرَفْتُ الدِّيارَ كرَقْمِ الدَّوا
ةِ يَزْبرُهُ الشّاعِرُ الحِمْيَرِيّ

أي : يكتبه . ومَنْ رَواه : يَذْبُرُهُ ، بالذّال ، أراد : يقرؤه . وقوله : كرَقْمِ الدَّواة ، أي : بالكتابة[60] بالدّواة . قالَ اللّهُ عزّ وجَلَّ : (كِتابٌ مَرْقُومٌ)[61] . وقال الشّاعِرُ[62] :

سأَرْقُمُ بالماءِ القَراحِ اليكُمُ
على نَأْيِكُمْ انْ كان للماءِ راقِمُ

< المطّ >

المَطُّ في الكتاب والمَدُّ سواء ، تقولُ : مَطَطْتُ الحرفَ ، أي : مَدَدْتُهُ ، وهو حرفٌ ممطوطٌ ، وأنا ماطٌّ ، والأصل : ماطِطٌ على وزن فاعِل . أُدْغِمَت احدى الطّاءَين في الأخرى[63] .

فاذا أمرتَ ، قلتَ ، اذا أَدْغَمْتَ : مُطَّ حُروفَكَ يافتى .
والطّاءُ والتّاءُ والدّالُ يتعاقَبْنَ . فجعلَ بَعْضَهُنّ مكانَ

(58) ديوانه 89 .
(59) ديوان الهذليين 1/64 وفيه : يزبرها الكاتب ...
(60) في الأصل : بالكتاب .
(61) المطففين 9 ، 20 .
(62) بلا عزو في الزاهر 1/202 . وفي الأصل : على ناركم .

بعضٍ ، لأنهنّ مجهورات متقاربات المخارج من الفَم[٦٤] • ومنه يُقالُ : مَتَتْتُ الى فلان بكذا وكذا ، أي : مددتُ اليه به ، فالتّاءُ في موضع الدّال ، لقُربها منها •

(التَّطْليس)

والتَّطْليس في الكتاب مثل التَّرْميد ، والاسمُ الطَّلْسَةُ[٦٥] • وانّما أُخِذَ من الطَّيلساء ، ممدود ، وهي لونُ الليلِ • ومنه قيل للطَّيْلَسان الأزرق : طَيْلَسان[٦٦] • قال الشّاعر[٦٧] :

الاّ روائدَ في المحلّة بينَها
كالطَّيْلَسانِ من الرَّمادِ الأَزْرَقِ

ومنه قيلَ : ذِئْبٌ أَطْلَسُ ، وهو الذي يُشْبِهُ لونُه لونَ الرَّمادِ •

(القِرْطاس)

تقولُ العرب : قِرْطاس وقُرْطاس وقَرْطاس ، ثلاث لغات[٦٨] • وقِرْطَس وقَراطِس ، مثل : دِرْهَم ودَراهِم •

وتقولُ : قد تقرطَسْتُ قِرطاساً : اذا كتبتَ في القِرطاس ، وأنا مقرطس بقِرطاس •

---

(٦٤) مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا . (ينظر : الكتاب ٢/٤٠٥ ، وسر صناعة الاعراب ٤٧ ، والتحديد في الاتقان والتجويد ١٠٥ ، ومخارج الحروف وصفاتها ٨٢) .

(٦٥) الطلس : لغة في الطرس . والطلس : المحو . وطلس الكتاب طلسا وطلسه فتطلس كطرسه . ويقال للصحيفة اذا محيت طلس وطرس . (ينظر : اللسان والتاج : طرس وطلس) .

(٦٦) ضرب من الأكسية .

(٦٧) لم أقف عليه . وفي الأصل : راودد .

(٦٨) الدرر المبثثة ١٦٨ .

وتقولُ : قد قَرْطَسَنا فلانٌ ، اذا أتَى بقِرطاس .

(السّحاة)

تقول : سَحاة ، وسَحا : قشر . تقول : اسْحَيْتُ الكتابَ أُسْحِيهِ اسحاءً : اذا جعلتَ عليه سَحاةً .

واذا أمرتَ ، قلتَ : أَسْحِ كتابَكَ ، أي : اجعَلْ عليه سَحاةً ، وهو كتابٌ مُسَحىً . واذا أمرتَ ، قلتَ : سَحِّ كتابَكَ .

وتقولُ : سَحَوْتُ القِرطاس (٢٨٨) أسحوه سَحْواً ، وسَحَيْتُهُ أسحاهُ سَحْياً ، اذا أخذتَ منه سَحاة .

وهو قِرْطاسٌ مَسْحُوٌّ ، من قولك : سَحَوْتُ . ومَسْحِيٌّ من قولك : سَحَيْتُ .

وأصلُ السَّحْوِ : القَشْرُ ، ومنه يُقالُ : سَحَوْتُ الطِينَ عن رأسِ الدَّنِّ : اذا قَشَرْتَهُ . ومنه سُمِّيتِ المِسحاةُ مِسحاةً ؛ لأنّها تقشرُ الأرضَ .

وجمع السَّحاة : سَحاءات وسِحاء . وجمع السَّحاية : سَحايات وسَحايا(٦٩) .

(التراب)

تقولُ : أَتْرَبْتُ الكتابَ أُتْرِبُهُ اِتْراباً(٧٠) ، وتَرَّبْتُهُ تتريباً ، اذا ألقيتَ عليه التُّرابَ .

واذا أَمَرْتَ ، قلتَ : أَتْرِبْ كتابَكَ اتْراباً جَيِّداً ، وتَرِّبْهُ تَتْريباً .

---

(٦٩) ينظر عن السحاة : الكتاب وصفة الدواة والقلم ٥٣ ، ادب الكتاب ١٢٥ ، كتاب الكتاب ٩٧ ــ ٩٨ ، الاقتضاب ١/١٨٣ .

(٧٠) ينظر عن التراب : كتاب الكتاب ٩٧ ، الاقتصاب ١/١٨٢ .

وكتاب" مُتْرَب" ، من قولك : أَتْرَبْتُ • ومُتَرَّب" ، من قولك : تَرَّبْتُ[71] •

وتقولُ اذا ألقيتَ عليه الأُشــارةَ ، وهي ما ألقاهُ الميشار[72] : أشَّرْتُ أؤشّرُ تأشيراً •

(العنوان)

تقــولُ العــربُ : هــو عُنْــوانُ الكتــابِ وعُنْيانُهُ ، وقــد مُعَنْوَن" ، وعنَّنتُهُ تَعْنيناً ، وهو كتاب" مُعَنَّن" •

ويُقالُ : عُنْوانُ كلِّ شيءٍ أَثَرُهُ • قال حسّانُ بنُ ثابت[75] :

ضَحَّوا بأَشْمَطَ عُنوانُ السُّجُودِ به
يُقَطِّــعُ الليــلَ تَسْبيحاً وقرآنا

أي : أثرُ السُّجودِ بَيِّن" بوجهه • وجمع العُنوان : عَناوِين[76] •

(الطين)

تقول : طِنْتُ الكتابَ أَطَنْتُهُ طَيْناً ، مفتوح الطّاء ، اذا جعلتَ عليه طِيناً ، وهو كتاب" مَطِين" ، وأنا طائِن" • واذا أمرتَ ، قلتَ : طِنِ الكِتابَ طَيْناً جَيِّداً • قالَ الشّاعر[77] :

---

(٧١) قال ابن قتيبة في أدب الكاتب ٣٨٠ : أترب الكتاب ، ولا يقال : ترب .
(٧٢) المئشار ، بالهمز ، والميشار ، بغير همز ، والمنشار ، بالنون . ويقال لما يسقط من الخشبة : الأشارة والوشارة والنشارة . (الاقتضاب ١٨٢/١) .
(٧٣ ، ٧٤) في الأصل : عنوت عنوة .
(٧٥) ديوانه ٩٦/١ .
(٧٦) ينظر عن العنوان : أدب الكتاب ١٤٣ ، كتاب الكتاب ٩٨ ، مواد البيان ٣٣٩ ، الاقتضاب ١٨٩/١ .
(٧٧) بلا عزو في منهاج الاصابة ٢٤٤ وفيه : اعن الكتاب .

وَعَنِ الكِتابَ اذا أَرَدْتَ جَوابَهُ
وطِنِ الكِتابَ لكي يُسَرَّ ويُكْتَما

فاذا أَعَدْتَ الطّينَ مرّةً بعدَ مرّةٍ على الكتاب أو غيره ، قلتَ : طيَّنْتُهُ تَطْيِيناً ، وهو مُطَيَّنٌ • ويُقالُ للّذي يُجْعَلُ فيه الطّينُ : مِطْيَنَةٌ[٧٨] •

(الخاتم)

يُقالُ : خاتِمٌ ، وخاتَمٌ ، وخاتامٌ ، وخَيْتامٌ ، وخاتِيام[٧٩] •

وأنشدوا في الخَيْتام[٨٠] :

ولقد وَعَدْتَ ، وأنْتَ أكرمُ واعِدٍ
لا خَيْرَ في وَعْدٍ بغيرِ تَمامِ
انّ الأُمُورَ حَمِيدَها وذَمِيمَها
في النّاسِ مِثْلُ عَواقبِ الخَيْتامِ

وأنشدوا في الخاتيام[٨١] :

أخَذْتَ من سُعداك خاتياما
لِمَوْعِدٍ يُكْسِبُكَ الآثاما

وتقول : نظرت الى الكتب فأختمتها ، أي : وجدتها مختومةً ، كقولك : أَبْخَلْتُ الرَّجُلَ : وجَدْتُهُ بخيلاً[٨٢] •

---

(٧٨) ينظر عن الطين : كتاب الكتاب ٩٨ ، الاقتضاب ١/١٨٩ .
(٧٩) ينظر عن الخاتم : الكتاب وصفة الدواة والقلم ٥٤ ، أدب الكتاب ١٣٩ ، كتاب الكتاب ٩٨ ، الاقتضاب ١/١٨٦ ، اللسان والتاج (ختم) .
(٨٠) لعبد الله بن أيوب التيمي في منهاج الاصابة ٢٤٦ .
(٨١) بلا عزو في منهاج الاصابة ٢٤٦ .
(٨٢) القول في الكتاب وصفة الرواة والقلم ٥٤ .

ويُقال في الخَتْم : الخِتام ، ولا يُقالُ : الخاتم[٨٣] .

(القراءات ووجوهها)

يُقال : قرأتُ الكِتابَ أقرؤُهُ قِراءة ، وأنا قارىءٌ ، وهو كتابٌ مقروءٌ[٨٤] .

واذا أَمَرْتَ ، قلتَ : اقْرَأْ هذا الكِتابَ . فانْ لقيَ الفعلُ ألفاً ولاماً ، كسرتَ الهمزةَ ، فقلتَ : اقْرَأِ الكِتابَ .

وأصلُ القراءةِ جمعُ بعضِ الحروف الى بعض . وانّما سُمِّيَ (القرآنُ) قُرآناً ، لاجتماع بعضِ سُوَره الى بعض[٨٥] . قالَ اللّهُ تعالى : (فاذا قَرأْناهُ فَاتبعْ قُرآنَهُ)[٨٦] . أي : اذا جَمَعْناه ، فاتبع جمعَهُ . ويُقال : اذا أَلَّفْناهُ[٨٧] .

وقال أبو عُبَيْدة : تقـول : قد قرأ البعيرُ العَلَفَ ، اذا جمعه في شِدْقِه . قال عمرو بن كُلْثوم[٨٨] :

ذِراعَيْ حُـرَّةٍ أَدْماءَ بَـكْرٍ
هِجانِ اللَّوْنِ لم تَقْرَأْ جَنِينا

أي : لم تجمعه في رَحْمِها .

ومنه قولهم : « ما قَرَأَتِ النّاقةُ سَلىً قَطُّ »[٨٩] ، أي : لم

(٨٣) القول في الكتاب وصفة الدواة والقلم ٥٤ وفيه : ويقال : الكتاب في الختم والختام ولا يقال في الخاتم .
(٨٤) ينظر : اللسان والتاج (قرأ) .
(٨٥) ينظر : تفسير غريب القرآن ٣٣ ، الزاهر ١٦٧/١ ، بصائر ذوي التمييز ٨٨/١ .
(٨٦) القيامة ١٨ .
(٨٧) وهو قول أبي عبيدة في مجاز القرآن ١/١ ـ ٣ .
(٨٨) شرح القصائد السبع الطوال ٣٨٠ ، شرح القصائد التسع ٦٢٠ .
(٨٩) الزاهر ١٦٧/١ ، الأضداد في كلام العرب ٥٧٥ .

تجمعه ، ولم تشتمل عليه . والسَّلَى[٩٠] : الجلدة الرّقيقة[٩١] تكونُ على رأسِ المولودِ اذا خرج من بطنِ أُمّهِ .

ومنه قولهم للحوضِ : مِقْراة ؛ لأَنَهُ يُجْمَعُ فيه الماء .

ومنه سُمِّيَتِ القُرَى ، لأَنّها مجامِعُ النّاسِ الّذين يَنْزِلُونها[٩٢] .

(الديوان)

ديوان أصله دِوّان[٩٣] . وكذلك الدّينار والقيراط : دِنّار وقِرّاط ، فكرهوا التّضعيف والكسرة ، فأبدلوا من المُضاعَف الأوّل الياءَ للكسرة . فاذا زالتِ الكسرةُ (٢٨٩) ، واتصلَ أحد الحرفين من الآخر ، رجع التّضعيف ، فقلتَ : دُنَيْنير وقُرَيْريط ودُوَيْوين .

قال الأصمعي[٩٤] : والدّيوانُ أعجميٌّ[٩٥] في الأصل عَرّبَتْهُ العرب وكانَ أصله « أيْ ديوانه » ! وأوّلُ مَنْ قالَ ذا كِسرى ، وكان أَمَرَ الكُتّابَ أنْ يجتمعوا في داره ، ويعملوا حِسابَ السوادِ في ثلاثة أيّام ، وأعجلهم في ذلك وأخذوا فيه ، فاطّلع عليهم فرأى قوماً يحسِبُون كأسرعِ ما يكون من الحساب ، ويكتبون . فعجب من سرعة حركتهم ، فقالَ : « أي

---

(٩٠) في الأصل : السلا ، في الموضعين .

(٩١) في الأصل : الرقيق .

(٩٢) اللسان والتاج (قرا) .

(٩٣) سر صناعة الاعراب ٧٣٥ .

(٩٤) المعرب ٢٠٢ .

(٩٥) قال الخفاجي في شفاء الغليل ١١٩ : وقال المرزوقي في شرح الفصيح : هو عربي . من دونت الكلمة اذا ضبطتها وقيدتها ، لأنه موضع تضبط فيه احوال الناس وتدون . هذا هو الصواب ، وليس معربا ، ويطلق على الدفتر ، وعلى محله ، وعلى الكتاب ، ويخص في العرف بما يكتب فيه الشعر .

ديوانه » ، أي : هؤلاء شياطين وسُمِّي موضعهم ديواناً . فاستعملت العربُ هذا الاسم حتى جعلوا لكلِّ مُحَصَّلٍ مجموعٍ من شعرٍ أو كلامٍ أو حسابٍ ديواناً[96] .

والعونُ من أعوان الدّيوان ، مشتقٌ من الاعانة . تقول : أَعنته أُعِينُهُ اعانةً ومعونةً ، فجعل العونَ اسماً للمعين ، وجمعه أعوان .

(التاريخ)

تقول : أَرَّخْتُ الكتابَ أُؤَرِّخُهُ تأريخاً[97] ، وهو كتابٌ مُؤَرَّخٌ ، مهموز ، وأنا مؤرِّخٌ . ووَرَّخْتُهُ أُوَرِّخُهُ توريخاً ، وهو مُوَرَّخٌ ، بغير همز ، وأنا مُوَرِّخٌ . وأَرَخْتُهُ ، بالتّخفيف ، أرخه اراخاً . وهو كتابٌ مأروخٌ ، وأنا آرِخٌ ، على مثال فاعل . واذا أمرتَ ، قلتَ : أَرِّخ الكتابَ تاريخاً . واذا أمَرْتَ من : وَرَّخت ، قلتَ وَرِّخِ الكتاب توريخاً . واذا أمرت من : أَرَخْت ، مخفّفة ، قلتَ : رِخِ الكتابَ رِيخاً ، وللاثنين رِيخا ، وللجمع : رِيخوا[98] .

---

(96) ينظر عن الديوان : الكتاب وصفة الدواة والقلم ٥٦ ، أدب الكتاب ١٨٧ ، الاقتضاب ١٩٢/١ ، صبح الأعشى ٨٩/١ وفيه نقلا عن صناعة الكتاب للنحاس : ((والمعروف في لغة العرب أن الديوان الأصل الذي يرجع اليه ويعمل بما فيه . ومنه قول ابن عباس : اذا سألتموني عن شيء من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر ، فان الشعر ديوان العرب)) .

(97) ينظر عن التاريخ : أدب الكتاب ٧٨ ، الكتاب ٧٩ ــ ٨٠ ، الاقتضاب ١٩٦/١ .

(98) القول بتمامه في كتاب الكتاب وصفة الدواة والقلم ٥٥ ــ ٥٦ .

حَقِيقَةُ اللُّغَةِ وَمُفْرَدَاتُهَا

الدكتور عدنان محمد سلمان
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

ذهب المعجميون العرب الى أن لفظة (اللغة) مشتقة من (اللغو) (١) ، وهو : النطق (٢) ، وأن أصلها من حيث التصرف هو (لَغْوَةَ) على وزن (فَعْلَة)(٣) ، حذف لامها حذفاً اعتباطياً ؛ لأنّ هذا الحذف ليس مبنيّاً على قياس ، وليست له علّة صرفية أو نحوية ، وقد جاء مثل هذا الحذف في قسم من الألفاظ العربية ، مثل : كرَةٍ وقُلَةٍ وثبةٍ ، فقد حذفت لامات هذه الالفاظ وعوّض عنها بالتاء في آخرها(٤) . ويسمّي اللغويون هذه الألفاظ ألفاظاً ناقصة (٥) ، اذ لم تستوف ما تستحقه من عدة بنيتها ، فجاءت ناقصة اللام . وعلى هذا يكون وزنها التصريفي هو : (فُعَة) .

وقد ترجح عندى ان لفظة (اللغة) ليست من الالفاظ العربية الموغلة في القدم ، فهي ليست من الألفاظ القرآنية ، ولا من الفاظ الشعر الجاهلي ، اذ لم أعثر على بيت جاهلي وردت فيه هذه اللفظة ، مع كثرة التتبع والاستقراء ، وقد استعنت بأناس من ذوى الدراية بالشعر الجاهلي ، لعلّهم يلتقطون لي بيتاً واحداً وردت فيه هذه فلم يتمكنوا من ذلك .

---

(١) انظر مادة (لغو) في كتاب العين ٤/٤٤٩ ، ومجمل اللغة ٣/٨١٠ ، واللسان (لغا) ، وتاج العروس (لغا) .
(٢) الجمهرة ٣/٢٦٤ ، اللسان (لغا) .
(٣) الخصائص ١/٣٣ ، اللسان (لغا) .
(٤) الخصائص ١/٣٣ . وانظر شرح مختصر العزى ٢٥ ، اللسان (لغا) .
(٥) الجمهرة ٣/٥٠٩ ، اللسان (لغا) .

والناظر في القرآن الكريم والشعر العربي القديم يرى ألفاظاً كثيرة تشارك مفردة اللغة في جذرها اللغوي ، وتلتقي معها في الدلالة على النطق ، مثل : الغوا ، ولاغية ، وتلغى ، ولغوى وملغاة ، من ذلك مثلاً قوله تعالى : (وقال الّذين كفَروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغَوْا فيه) (٦) ، وقوله (في جنّةٍ عاليةٍ ، لا تَسمَعُ فيها لاغيَةً) (٧)،وقول الشاعر الجاهلي (٨) :

باكرته قَبل أن تلغى عَصافِرُه مستخفياً صاحبي وغيرُهُ الخافي

ومادة (اللغو) ، التي هي الأصل الاشتقاقي لمفردة (اللغة) ، قد وردت في في القرآن الكريم والشعر الجاهلي ، من ذلك قوله تعالى : (لايَسْمعُون فيها لَغْواً ولا تأثيماً) (٩) ، وقول الشاعر (١٠) .

باكرتهم بسباء جون ذارع قبلَ الصباح وقبلَ لَغْوِ الطّائرِ

وأقدم نص تراثي وردت فيه مفردة (اللغـة) ، هو الحديث النبوي الشريف . من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « لم يبعث الله نبياً إلا بلغة قومه » (١١) .

أما القرآن الكريم ، فقد عُبِّر فيه عن مفهوم اللغة بلفظة (المنطق)في آية واحدة ، وهي قوله تعالى : (ياأيّها النّاسُ عُلّمنْا مَنْطِقَ الطّيرِ)(١٢) ، وعبر عن مفهومها أيضاً فيه بلفظة (اللسان) . وقد تكرر ذلك ، ومنه قوله تعالى : (وما أَرْسَلْنا مِنْ رسـول الا بلسان قومه) (١٣) ، وقوله :

(٦) فصلت ٢٦ ، وانظر كتاب العين ٤٤٩/٤ .
(٧) الغاشية ١١ .
(٨) هو عبد المسيح بن عسلة . انظر المفضليات ٢٨٠ .
(٩) الواقعة ٢٥ .
(١٠) هو ثعلبة بن صعير ، جاهلي قديم ، انظر المفضليات ولسان العرب (لغا).
(١١) انظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى/مادة (لغا) ١٣٠/٦ .
(١٢) النحل ١٦ .
(١٣) ابراهيم ٤ .

(لسانُ الّذي يُلْحِدونَ إليه أعجميّ ، وهذا لسان عربيٌّ مبينٌ) (١٤) ، وقوله : (ومن آياته خلْقُ السّموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم) (١٥) ،

وتكرر مجيء (اللسان) بمعنى (اللغة) في الحديث ، من ذلك : (فاكتبُوها بلسان قُرَيْش) ، و(طلاقُ كلّ قوم بلسانهم) ، و(ألسنتهم ألْسِنَةُ العرِب) ، و « إن الله يعلم الألسنة كلّها » (١٦) .

واستعمال (اللسان) بمعنى (اللغة) استعمال مجازى ، لأنه في الأصل موضوع للدلالة على العضو المعروف الذّي هو آلة النطق والكلام .

وقد تصرفت العرب بلفظة (اللسان) فكنوا بها عن الكلمة أو الرسالة ، من ذلك قول أعشى باهلة (١٧) :

إنّي أتَتْني لِسان لا أُسرُّ بها

ومثله قول الأخر (١٨) :

أتَتْني لسانُ بني عامر

وقد يعبّرون بها عن (الكلام) من ذلك قول الحطيأة (١٩) :

ندمت على لسان فات مني فلَيْتَ بأنه في جوفِ عَكْم

واشتقوا من (اللسان) ألفاظاً ، أسماءاً وأفعالاً ، وكلها تدل على الكلام ؛

(١٤) النحل ١٠٣ .
(١٥) الروم ٢٢ .
(١٦) انظر هذه الاحاديث في المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي مادة (لسن) ١١٦/٦ ـ ١١٧ .
(١٧) اللسان (لسن) .
(١٨) المصدر نفسه .
(١٩) المصدر نفسه .

فقالوا مثلاً : فلانٌ لَسِن بيِّن اللَّسَن ، اذا كان ذا بيان وفصاحة(٢٠) . وجاء في حديث عمر (رضى الله عنه) : انه وصف امرأة ، فقال ، « إنْ دَخلَتْ عليك لَسَنَتْكَ » ، أي : أخذتك بلِسانها ، يصفها بالسلاطة وكثرة الكلام (٢١) .

ويبدو لي أن استعمال (اللسان) للدلالة على ما تدل عليه مفردة (اللغة) أمر شائع في كثير من اللغات المعروفة ، فقد جاءت في الانكليزية مثلاً – لفظة « Tongue » ، ومعناها اللسان مرادفة ، للفظة (Languaje) التي معناها (اللغة) . ووقع مثل هذا الاستعمال في الفرنسية والألمانية والروسية والكردية والتركية .

وجاء في العبرية استعمال (الشفة) بمعنى (اللغة) (٢٢) ، وهو استعمال مجازى أيضاً . وورد في العربية شيء قريب من ذلك ، اذ اشتقت العرب من (الشفة) ألفاظاً تتّصل بالكلام الذي هو جوهر اللغة ، فقالوا شافهته مشافهة ، وقالوا : شفهي وشفوى (٢٣) . وجاء في كلامهم : إن شَفَةَ الناس عليك لحسنة ، ويعنون بالشَّفَةَ هنا الثناء (٢٤) ، وهو إنّما يكون بالكلام والحديث ، لفظاً أو كتابةً ، و(اللغة) في حقيقة أمرها لاتعدو هذين الأمرين .

وبقي استعمال (اللسان) في العربية بمعنى (اللغة) دارجاً على ألْسِنة أهلها وأقلام علمائها ، فقد سمّى ابن منظور معجمه (لسان العرب) ،

---

(٢٠) المصدر نفسه .

(٢١) المصدر نفسه [المجلة : وفي القاموس المحيط : « ولسنهُ : اخذه بلسانه، وغلبه في الملاسنة للمناطقة » ولم يذكر « السلاطة »] .

(٢٢) قاموس عبرى – عربي ٩٧١ ، وانظر معجم جيب/انكليزى – عربي ، وعبري – عربي ٣٠٣ .

(٢٣) اللسان (شفة وشفي) .

(٢٤) اللسان (شفه) .

وهو يعني بلا ريب (لغةَ العرب) ولكن الذي ساد في مختلف عصور العربية هو مفردة (اللغة) ، ولا سيما في الدلالة الاصطلاحية ، وتجرى الآن محاوت لتسيير مصطلحات مأخوذة من مادة (اللسان) ، مثل : اللسانيات والألسنية ، وهي مصطلحات ليست ببعيدة عن جوهر اللغة ومضمونها .

وقد استقرت مفردة (اللغة) وغدت منذ قرون كثيرة هي اللفظة المستعملة عند العرب عامتهم ، وخاصتهم ، وأصبحت عُنواناً ينضوي تحته كلّ ما ينطِق به اللسان العربي من ألفاظ لها معانٍ ، مفردة أومركبة ، وارتبطت هذه اللفظة من حيث المضمون بعلم دراسة العربية ، فصار (علم اللغة) و (فقه اللغة) من علومها التي اشتغل بها علماء الأمة درساً وتأليفاً ، ومن ثَمّ صارت (اللغة) من المصطلحات العلمية التي حرص العلماء على أن يَضَعُوا لها الحدود التي تكشف عن مدلولها .

ويترجح عندى أن أول من وضع لها حداً ، هو ابن جنّي المتوفى سنة (٣٩٢) هـ ، حيث قال ، « أمّا حدها ، فإنّها أصوات يعبّر بها كل قوم عن اغراضهم »(٢٥) . وهذا لاينطبق على العربية وحدَها ، بل يشمل كل اللغات ، وقد نص ابن سِيده على هذا الشمول ، فوصف هذا الحدّ بأنه : « عام لجميع اللغات ، لأن الحد طبيعيّ » ، ولأنّه « حد دائر على محدوده ، محيط به لا يلحقه خلل ،اذْ كل صوت يعّبر به عن المتصور في النفس لغة ، وكل لغة فهي صوت يعبر به عن المعنى المتصور في النفس » (٢٦) .

وقد ترجح عندى أن الفارابي الفيلسوف المتوفى سنة (٣٣٩ هـ) قد سبق ابن جنّي في التوصل الى الربط بين اللغة والأصوات ، وأنه هو الذي مهّد له السبيل ، ليضع هذا الحدّ الدقيق للغة . حيث نص على أن الإنسان

(٢٥) الخصائص ٣٣/١ .
(٢٦) المخصص ٦/١ .

اذا « احتاج أن يعرف غيره ما في ضميره ، أو مقصودة بضميره ، استعمل الإشارة أولاً في الدلالة على ما كان يُريد ممن يلتمس تفهيمه اذا كان من يلتمس تفهيمه بحيث يُبصر إشارته ، ثم استعمل التصويت ، وأوّل التّصويتّات النداء ، فإنه بهذا ينتبه من يلتمس تفهيمه أنه هو المقصود بالتفهيم ، لا من سـواه ، وذلك حين ما يقتصر في الدلالة على ما في ضـميره بالإشارة الى المحسوسات ، ثم من بعد ذلك يستعمل تصـويتات مختلفة ، يدّل بواحد واحد منها على واحد واحد ممّا يدل عليه بالإ شارة اليه والى محسوساته ، فيجعل لكل مشار اليه محدود تصويتاً مّا محدوداً لايستعمل ذلك التصويت في غيره » (٢٧) .

وتناول علماء أصول الفقه حد اللغة لصلتها الوثيقة بعلوم الشريعة ، فهي عندهم من علوم الآلة ، لأنها اداة التعبير ، وفهم النصوص الشرعية من قرآن وسنة متوقف على فهم لغة تلك النصوص وكان ابن حزم الاندلسي المتوفّى سنة (٤٥٦هـ) ـ وهو أحد علماءأصول الفقه ـ من جملة الذين وضعوا للغة حدّاً ، حيث قال : « اللغة ألفاظ يعبر بها عن المسميات وعن المعاني المراد إفهامها » (٢٨) . وهذا الحدّ ، لا يخرج في مضمونه عن حد ابن جِنّي ، لأن الألفاظ ـ كما يقول الآمـدي ـ وهو أيضاً من علماء الأصول ـ إنما تحدث من اختلاف تركيبات المقاطع الصوتية (٢٩) .

وظل حد ابن جِنّي للغة هو الحد المعوّل عليه عند علماء العربية وغيرهم (٣٠) ، لأ نه حدّ جامع مانع ، جاء بعبارة وجيزة ، دلّت على طبيعة اللغة ووظيفتها ، وميّزتها من غيرها من الدوالّ ، كالاشارة والخط والرسوم

(٢٧) كتاب الحروف ١٣٦ .
(٢٨) الاحكام في اصول الاحكام لابن حزم ٤٦/١ .
(٢٩) الاحكام في اصول الاحكام للأمدي ١٦/١ .
(٣٠) اللسان (لغا) .

والرموز التي استعملها الأنسان للتعبير عن أغراضه المختلفة (٣١) .

والأصل في لفظة (اللغة) في العربية أنها تدلّ على لغة العرب الموحّدة المختارة ، ولكن أصبح لها مدلول ثانٍ إبّانَ عصر التدوين ، فصارت تطلق أيضاً على لغات العرب الفرعية التي تختلف شيئاً مّا عن اللغة الموحدة ، ومن هنا صرنا نجد في كتب العربية لغات منسوبة الى قبائل أو اقاليم أو مدن معينة ، مثل : لغة الحجاز ، ولغة قُرَيْش ، ولغة تَميم ، ولغة نَجْد ، ولغة هُذَيْل . ولغة أهل المدينة ، ولغة أهل البصرة ، ولغة أهل الكوفة ولعل أول من استعمل هذا الاصطلاح هو أبو عمرو بن العلاء المتوفّى سنة (١٥٤ هـ) . فقد قيل له ، أخبرنا عما وضعت مما سميته عربية أيدخل فيه كلام العرب كله ؟ فقال ، لا » ، فقيل له ، « كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة ؟ » قال ، « أعمل على الكثير ، وأسمي ماخالفني لغات» (٣٢) .

وقد سار علماء العربية على هدى ما أصّلَهَ أبو عمرو بن العلاء ، فوجدناهم يطلقون لفظة (لغة) على ما جاء خارجاً عن جمهور كلام العرب وقد ينسبون هذه اللغة الى قبيل معين من العرب ، وقد لا ينسبونها (٣٣) .

وسعى علماء العربية الى تقويم لغـات القبائل والأمصار ، فوصفوا قسماً منها بأنها جيّدة ، أو كثيرة . ووصفوا أخرى بأنها ضعيفة ، أو رديئة ، أو رديئة جدّاً . أو قليلة (٣٤) . بل ربما سمّوا بعضها (لُغَيَّة) (٣٥) على سبيل التصغير ، وذلك لقلّتها وندرتها .

(٣١) البيان والتبيين ١/٧٦ ، والمغني لابن فلاح م ٢/٢٢ .
(٣٢) طبقات النحويين واللغويين ٣٩ .
(٣٣) انظر الكتاب ٢/٣ ، ١٩١ ، ٢٧٧ ، ٢٨٧ ، ٣١٣ ، ٣٦١ .
(٣٤) انظر الكتاب ٢/٥٠ ، ٥١ ، ٢٨٧ ، ٢٩٤ ، ٣٥٨ ، ٣٧٠ ، ٣٨٢ .
(٣٥) الانصاف في مسائل الخلاف ١/٣٩٢ ، واوضح المسالك الى الفية ابن مالك ١/٢٣٨ .

وقد استحدثت في عصرنا هذا لفظة حلّت محلّ (اللغة) الفرعية ، وهي مفردة (اللهجة) ، فصرنا نقرأ في الكتب اللغوية الحديثة ، مثل : لهجة تميم ، ولهجة هُذيل ، ولهجة الحِجاز ، وعلماء العربية المتقدمون منهم والمتأخّرون ، لم يعرفوا هذا الاستعمال ، فضلا عن أن المعجمات العربية الأصلية لم يرد فيها هذا المعنى الحديث لمفردة (اللهجة) ، فهو معنى مولّد شاع في المؤلّفات الحديثة ، ثم استقرّ استعماله واستحكم .

وما نسميه الآن (لهجة) ، يدخل ضمن حدّ (اللغة) ، لأنّ اللهجة مهما اختلفت عن اللغة الأم في بعض من المفردات والتراكيب والأساليب ، لا تَعدو أنْ تكون ألفاظاً بسيطة ومركبة ، وأصل هذه الألفاظ اصوات متآلفة وضعت ليعبر بها الإنسان عن أغراضه ، وهذا هومفهوم اللغة وحدّها .

فاللغة – أعني أيّ لغة – لا تخرج عن كونها أصواتاً ، واختلافُ اللغات في عامّته منحصر في طرق تأليف المفردات من هذه الأصوات ، وفي اختلاف أساليب تركيب هذه المفردات في الكلام ففي العربية مثلاً يصح تقديم الاسم على الفعل المبنيّ عليه ، كما يصح تقديم الفعل على الاسم فيجوز أن نبدأ الكلام بالاسم ، فنقول مثلاً : الرجل ذهب ، ويجوز أيضاً أن نبدأه بالفعل ، فنقول : ذهب الرجل ، أما في الانكليزية ، فيجب تقديم الاسم على الفعل ، فلا يصح الا أن يقال : « The man Went »

فاختلاف اللغات اذن ، غير قائم في غالب الأمر على اختلاف المادة الصوتية التي تتألف منها المفردات اللغوية في اللغات الإنسانية المختلفة ، وذلك لأن جُلّ هذه الأصوات مشترك بينها . فلو انعمنا النظر في المادة الصو تية التي تتألف منها مفردات اللغات الإنسانية ، لوجدنا هذه المفردات مؤلفة من أصوات متشابهة في غالب الأمر والاختلاف بينها في هذا الأمر

يسير ، فقد توجد أصوات في لغة ، وهي غير موجودة في لغة أخرى ، ولنأخذ مثلاً على ذلك العربية والانكليزية ، فجُلّ أصوات أبجديتهما مشترك مثل : السين والباء والتاء والنون واللام والكاف والميم والراء والهمزة والألف والواو والياء وغير ذلك من الأصوات وما فيهما من اختلاف فهو يسير ، فمثلاً : الخاء ، والحاء ، والقاف ، والعين ، غير موجودة في الإنكليزية ، وهي موجودة في العربية . ويقابل هذا وجود مثل هذه الأصوات (P. V. ch.) في الانكليزية ، وانتفاؤها من العربية الفصحى وهذا الاختلاف وقع جُزافاً ، ولا علاقة له بطبيعة جهاز النطق في أصل التركيب الخلقي ، عند كل من الفريقين ، لأن كلاً من الناطقين بالعربية أو الانكليزية أصالة ، يستطيع بالتدريب والمران أن يلفظ الأصوات غير المستعملة في لغته لأن أجزاء آلة النطق عند جميع الخلق واحدة ، فضلاً عن أن العمليات الذهنية والعضوية المرتبطة بإصدار الأصوات اللغوية تجري على نمط متشابه عندهم ايضاً . فالانسان قادر على أن يلفظ أي صوت غير وارد في أصوات لغتِهِ الأصلية ، لما أعطي من قدرة على محاكاة الذين يختلط بهم ،ولاسيما اذا ماطالت مدة الاختلاط وقد تنبه الى شيء من هذا (الجاحظ) ، فقال : (إنا نجد الحاكية من الناس يحكي ألفاظ سكان (اليَمَن) مع مخارج كلامهم ، لايغادر من ذلك شيئاً ، كذلك تكون حكايته للخراساني والأهوازى والسّنْدى والأحباش . وغير ذلك . نعم . حتى تجده أطبع منهم) (٣٦) ثمّ قال : « وإنما تهيأ وأمكن الحاكية لجميع مخارج الامم ،لما أعطي الإنسان من الاستطاعة والتمكين . وحين فضله على جميع الحيوان بالمنطق والعقل والاستطاعة . فبطول استعمال التكلف . ذلّت جوارحه لذلك »(٣٧) .

ولكن الانسان ــ كما يقول ــ (متى ترك شمائله على حالها ، ولسانه على سجيته . كان مقصوراً بعادة المنشأ على الشكل الذي لم يزل فيه . .. ألا ترى

(٣٦) الحيوان ٦٩/١ .

(٣٧) المصدر نفسه .

أن السّنـدي اذا جلب كبيراً ، فانه لا يستطيع الا أن يجعل الجيم زاياً ، ولو أقام في عليا تـميم وفي سُفلى قَيْس ، وبين عـجـُز هـوازِن ، خمسين عاماً . وكذلك النبطي القُحّ خلاف المغلاق الذي نشأ في بلاد النبط ، لأن النبطيّ القُحّ يجعل الزّاي سيناً ، فاذا أراد ان يقول : زورق ، قال : : سورق ، ويجعل العين همزة ، فاذا أراد أن يقول ، مشمعل ، قال : مشمئل . والنخاس يمتحن لسان الجارية اذا ظن أنـّها روميّة ، وأهلها يزعمون أنها مولدة ، بأن تقول : « ناعمة » (٣٨) ، لأنها اذا كانت رومية ستقول : « نائمة » ، اذ لا تستطيع أن تلفظ العين ، فتقلبها همزة .

والامم يتأثر بعضها ببعض ، ويسرى الى أي أمة شيء مما عند الأمم الأخرى التي تختلط بها ، ومن هنا وجدنا قسماً من الاصوات الشائعة في غير العربية ، قد انتقلت الى العرب منذ زمن بعيد ، بسبب الجوار أو الاحتكاك ، فقد ذكر سيبويه أن هناك أصواتاً غير مستحسنة ربما نطق بها قسم من العرب ، مثل : الجيم التي كالشين ، والباء التي كالفـاء ، والكاف التي بين الجيم والكاف (٣٩) ، وهذه الأصوات شائعة بين كثير من لغات الأمم الأعجمية التي اختلط العرب بها قبل الإسلام وبعده ، ومن ثـَمّ انتقلت الى لسان قسم من العرب ، ولا سيما العامّة منهم ، أما خاصة العرب ، فقد نفوا هذه الأصوات من لغتهم . ومن هنا جاء وصف سيبويه لها بأنها « رديئة ، وغير مستحسنة ، ولا كثيرة في لغة من ترضى عربيته ، ولا تستحسن في قراءة القرآن ، ولا في الشعر» (٤٠) .

(٣٨) المصدر نفسه ١/٧٠ ـ ٧١ .
(٣٩) الكتاب ٢/٤٠٤ .
(٤٠) الكتاب ٢/٤٠٤ .

وقد حذا ابن جِنّي حَذْوَ سيبويه ، فتحدث عن هذه الأصوات ، ووصفها بأنها مستقبحة ، وأنها لا توجد إلا في لغة ضعيفة مرذولة ، غير متقبلة (٤١) . وقد نص كل منهما على أن هذه الأصوات لا تعرف الا بالسمع والمشافهة (٤٢) ، وذلك لأنها ليست من الأصوات التي تواضع العرب على أن يضعوا لها رموزاً كتابية ، على حد الرموز التي وضعوها لأصواتهم ، التي نقلوا بها كلامهم ، من ألفاظ منطوقة الى أوضاع مرسومة ، على وَفْقِ أسلوب خاص بهم ، يفرق خطهم من خطوط غيرهم من الأمم .

وقد توصل الإنسان منذ أمد بعيد الى نقل الأصوات اللغوية من أصوات منطوقة الى رموز مرئية ومقروءة ، فوضعت كل أمة رمزاً كتابياً لكل صوت من أصواتها اللغوية ، وكان لهذا الأمر اكبر الأثر في نموّ الحضارات الانسانية ، وحفظها ، ونقلها من أمة الى أمة ، (٤٣) فكان القلم الذي هو رمز الكتابة من أعظم نعم الله على البشر . ومن هنا جاء تمجيده في القرآن الكريم ، فأقسم الله تعالى به ، فقال : (ن . والقَلَم وما يسطُرون) (٤٤) ، وكانت القراءة التي هي ثمرة القلم من منن الله العظيمة التي أنعم بها على الانسان . ومن هنا كان أول ما نزل من القرآن على نبينا محمد ـ صلّى الله عليه وسلّم ، قوله تعالى : (إقرأ باسم ربك الذي خَلَقَ . خَلَقَ الإنْسانَ مِنْ عَلَقٍ . إقْرَأْ وربُكَ الأَكْرَمُ الذي عَلَم بالقَلَم) (٤٥) .

لقد أصبحت الكتابة سمةً من سِمات الإنسان ، التي تميّزه من غيره من أجناس الكائنات التي تشاركه في طبيعته الحيوانية . فصارت رديفة النطق

---

(٤١) سر صناعة الاعراب ١/٥١ .
(٤٢) الكتاب ٢/٤٠٤ . سر صناعة الاعراب ١/٥١ .
(٤٣) الحيوان ١/٤٧ ـ ٤٨ . كتاب الحروف ١٤٤ .
(٤٤) القلم ١ ، وانظر الحيوان ١/٤٨ .
(٤٥) العلق ١ ـ ٤ .

فيما يميّز الإنسان من غيره من الحيوانات ، إلا أن الكتابة قائمة على التطبع ، أما النطق فهو جزء من طبيعة الإنسان الذاتية ، فكل إنسان ناطق بأصل خلقته التي تضم جهاز النطق المهيأ لإصدار الأصوات بصورة ارادية وغير ارادية ، وبقصد أو بغير قصد ، كالأصوات الصادرة عن الناس في حالات ردّ الفعل عند الفزع والخوف ، فغالباً مّا تكون هذه الأصوات غير إراديّة ، بخلاف الكلام ، فهو قائم على القصد والإرادة ، في جلّ الأمر وعامته .

وقد أسهم تدوين اللغة في حفظها واستقرارها ونقلها من طبقة الى طبقة ، ومن أمة الى أمة ، ومن مكان الى مكان آخر (٤٦) ، ولاسيما اذا ما ارتبطت اللغة بنصّ ديني ، وكان هذا الارتباط قائماً على البيان اللغوي الذي اتّسم به ذلك النص (٤٧) ، ومن هنا كان لارتباط العربية بالقرآن الكريم أكبر الأثر في حفظها واستقرارها وانتشارها .

واختلاف الرموز الكتابية بين الأمم المختلفة ، لا علاقة له باختلاف الأصوات اللغوية . فالاصوات غالباً مّا تكون متشابهة عند الأمم المختلفة ، وما وقع من اختلاف بينها في الرموز الدالّة على الأصوات ، أمر قائم على اصطلاح وقع ، أو تواضُع اتُّفق عليه عند أهل كل لغة (٤٨) ، في مرحلة من مراحل التطور الحضاري الذي مرّ به الناطقون باللغة . ومن المحال أن يتصور أن العقل قد اقتضى أن يختص كل صوت من أصوات اللغة بصورة معينة من صور الخط الذي جعلت أشكاله أمارات لأَجراس الأصْوات المنطوقة (٤٩) .

واذا كانت الالفاظ دالّة على المعاني عن طريق النطق ، فإن الخط يدّل على المعاني بتصوير تلك الألفاظ على هيأة رسوم . وقد مكنت هذه الرسوم

---

(٤٦) كتاب الحروف ١٤٤ .
(٤٧) الطراز للعلوى ١/٣٣ .
(٤٨) الحيوان ١/٦٨ ، ٧١ .
(٤٩) اسرار البلاغة ٣٧٧ ـ ٣٧٨ .

الإنسان ، الذي لم يتهيأ له سماع الألفاظ ، من أن يفهمها ويدرك معانيها .

فالخط اذن هو أحد الدوالّ (٥٠) ، لأنه يقيم صور الألفاظ التي نطق بها الإنسان ، أو خطرت في ذهنه ، او طرقت سمعه .

لقد ارتبط الخط بالأصوات اللغوية ارتباط الدالّ بالمدلول ، اذْ جُعل لكل صوت رمز اختص به اختصاص الألفاظ بالمعاني الموضوعة لها . وهذا الاختصاص قائم على الاعتياط والمجازفة في كل من وضع الخط واللفظ ، إذ لا سبيل الى معرفة الحكمة من وضع رمزٍ ما من رموز الخط ، دالاً على ما دلّ عليه من صوت اختص به دون سائر الأصوات اللغوية ، كما لا سبيل الى معرفة الحكمة من وضع أصول الألفاظ بإزاء المعاني الدالّة عليها .

فالخط إذنْ هو أداة من أدوات التعبير اللغوي ، وهو قسيم اللفظ في ذلك ، بل ربما كان إسـهام الخط في هذا الباب أعظم من اسهام اللفظ ، لأنه أقدر منه على نقل أغراض الإنسان وأفكاره خلال الأزمنة والامكنة المتباعدة (٥١) ، ولاسيما قبل أن يتوصل الإنسان الى اكتشاف وسائل حديثة تسهم في نقل الأصوات من مكان الى مكان آخر ، وذلك ببثّها عن طريق الهواء ، أو تسجيلها على رقائق خاصّة .

وكان لتوصل الإنسان الى نقل اللغة من أصوات منطوقة الى رموز كتابية مقروءة ، أكبر الأثر في رقيّة وتقدمه ؛ لأن ذلك مكنه من أن ينتفع بكل تجارب الجنس البشري ، التي جاءتنا محفوظة على شكل مخطوطات أو نقوش، دوّنها يراع الإنسان منذ أقدم العصور الى عصرنا هذا .

واختلاف الرموز الكتابية لأصوات اللغات المتباينة ، لا يعدّ نتيجة لازمة

(٥٠) البيان والتبيين ١/٧٦ .
(٥١) كتاب الحروف ١٤٤ .

لِما وقع بين هذه اللغات من اختلاف في الألفاظ والتراكيب ؛ لأن اختصاص خط ٍ مّا بلغة ٍ مّا لم يقع بسبب منطقي حتّم أن تختص أي لغة بالخط الذي تواضع أهلها عليه ، لأن أي لغة يمكن أن تدون بأي نَمَط من أنماط الرموز الكتابية المتداولة بين الامم . ومّما يؤكد هذا ، أننا مازلنا نرى لغات كثيرة ، قد استعارت رموزاً كتابية من لغات أخرى تختلف عنها في مفرداتها وتراكيبها ، ولهذه الاستعارة مسوغات ، ويأتي الدين والتفوق الحضاري في مقدمة تلك المسوّغات . ولعلّ خير مثال على ذلك انتشارُ الخط العربي بين كثير من الأمم الإسلامية في الماضي والحاضر .

واذا كانت اللغة – أي لغة كانت – إنما هي مفردات وتراكيب ، فان المادة الأصلية لهذه المفردات والتراكيب هي الأصوات اللغوية ؛ لأن الكلام الذي هو الجزء المتعارف من اللغة بين الناس ، انما هو أصوات متقطعة أو مترابطة ، ينطقها الإنسان للدلالة على ما يختلج في ذهنه من المعاني ، التي يريد أن يعبر عنها في محاورته من يشاركه في الخطاب .

فالصوت – كما يقول الجاحظ « هو آلة اللفظ ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع ، وبه يوجد التأليف ، ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً ، الا بظهور الصوت ، ولا تكون الحروف كلاماً الا بالتقطيع والتأليف » (٥٢) .

فآلة التخاطب اذن ، هي الأصوات اللغوية ، واختيار هذه الأصوات ، لتكون آلة التفاهم بين الناس ، أمر قائم على حكمة بالغة . وقد عبر الرئيس ابن سينا عن هذه الحكمة فقال : « لمّا كانت الطبيعة الإنسانية محتاجة الى المحاورة لاضطرارها الى المشاركة والمحاورة ، انبعثت الى اختراع شيء يتوصل به الى ذلك ... ولم يكن أخف من أن يكون فعلاً ، ولم يكن أخف

---

(٥٢) البيان والتبيين ١/٧٩ .

من أن يكون بالتصويت ، وخصوصاً والصوت لا يثبت ولا يستقر ولا يزدحم ، فتكون فيه مع خفته فائدة وجود الإعلام به ، مع فائدة انمحائه .. فمالت الطبيعة الى استعمال الصوت ، ووفّقت من عند الخالق بآلات تقطيع الحروف وتركيبها معا ، ليدل بها على ما في النفس من أثر » (٥٣) .

فاللغة اذن ، هي اصوات مقطعة ، والصوت – كما يقول ابن منظور – جَرس (٥٤) . وهو « عَرَض يخرُجُ مع النفس مستطيلاً متصلاً ، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته » (٥٥)، و « تختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها » (٥٦) .

فالصوت المذكور في حدّ اللغة ، هو الصوت المعتمِد على أحد مخارج النطق ، لأنه مرتبط بالتعبير عن الأغراض الإنسانية ، فلا يدخل ضمنه كل صوت . لأن الصوت جنس يشمل صوت الإنسان وغير الإنسان (٥٧) ، كصوت الحيوان والأصوات المنبثقة عن الطبيعة . وقد يكون الصوت صادراً عن الإنسان نفسه ، أو يكون أثراً من آثاره ، ولكنه لا يدخل ضمن مفهوم اللغة . مثل قسم من الأصوات الصادرة عن الإنسان عند الراحة او الألم (٥٨) او الحزن أو الفرح . فالصراخ والعويل والبكاء والضحك والأنين ، أصوات لها مدلولات عرفية ، يفهمها الإنسان عند سماعها ، ولكنها لا تُعَدُّ جزءاً من اللغة . وكذلك الأصوات التي يحدثها الإنسان او غيره من الموجودات او المؤثرات الطبيعية . فالطرق على الباب صوت وله مدلول ، ولكنه لا يدخل

---

(٥٣) الشفاء – المنطق – العبارة ٢ .
(٥٤) اللسان (صوت) .
(٥٥) سر صناعة الاعراب ٦/١ .
(٥٦) المصدر نفسه .
(٥٧) اللسان (صوت) .
(٥٨) التفسير الكبير ١٨/١ .

ضمن مدلول اللغة الحقيقي ، ومثل ذلك صهيل الخيل وحفيف الشجر وصرير القلم ، وغيرها من الأصوات المسموعة المنبعثة من الطبيعة الحية او الجامدة ، المحيطة بالإنسان والمكتنفة حياته ، فكل هذه الأصوات لا تُعَدُّ جزءاً من مفهوم اللغة ، وان شاركت اللغة في كونها أصواتاً دالّة على معان ، يدركها الإنسان عند سماعه اياها .

والدوالّ في الوجود ، كثيرة ، وهي لا تنحصر بالأصوات أصلاً ، فقد تكون إشارات أو علامات منصوبة ، أو رموزاً مخطوطة ، أو صوراً مرسومة (٥٨ أ) ، وقد تكون تغيرات تطرأ على الإنسان في لونه أو شكله ، فتدلّ على حالة من أحواله النفسية او الجسدية ، ولكنها لا تُعَدُّ في أيّ حال من الأحوال من الدلالات اللغوية ؛ لأن دلالتها طبيعية ، وليست دلالة وضعية (٥٩) ، والمعتبر هنا هو الدلالة الوضعية (٦٠) . فاللغة اذن تنحصر في الأصوات الصادرة عن جهاز النطق ، والموضوعة بإزاء معانٍ مفردة او مركبة ، تَواطَأ عليها الناطقون بها طبقةً بعد طبقة ، فلا يدخل ضمن مفهوم اللغة كل صوت صادر عن الإنسان ، ناهيك عن الأصوات الصادرة عن غير الإنسان ، كالأصوات المنبعثة عن الظواهر الطبيعية أو الحيوانات .

وربما يكون للصوت مدلول عرفي ارتبط بذهن الانسان ، ولكنه لا يدخل ضمن مفهوم الأصوات اللغوية ، كصوت جرس المدرسة ، أو صوت مِدْفَع الإفطار ، أو الأصوات المنبعثة من آلات التنبيه المنذرة بالخطر ، كهذه الأصوات ، لها مدلولات مرتبطة بالذهن مثل ارتباط الألفاظ اللغوية بمدلولاتها ، الا أنها لا تُعَدُّ جزءاً من اللغة في مفهومها الاصطلاحي ، وذلك لأن أصل اللغة ألفاظ موضوعة بازاء معانٍ ، وهذه الألفاظ التي تقوم عليها اللغة عبارة

(٥٨أ) المغني لابن فلاح م ٢/٢٢ .
(٥٩) التفسير الكبير ١/١٨ .
(٦٠) المغني لابن فلاح اليمني م ٢/٢٣ — ٢٤ .

عن أصوات مؤتلفة فيما بينها ، مشكلة وحدة صوتية متصلة زمنياً ، وموضوعة بإزاء معنى معين (٦١) تواضع عليه أهل اللغة .

فمادة اللغة اذن قائمة على الأصوات ، ولكن ليس كل صوت لفظاً لغوياً دالاً على جزئية من جزئيات اللغة (٦٢) ، وإن دلّ على معنى من المعاني المتعارف عليها عند مختلف الأقوام .

والأصوات اللغوية وغير اللغوية ، مُحْدَثة ، فلابد لها من سبب أحدثها . ويعزو الرئيس ابن سينا سبب حدوث الأصوات الى « تموج الهواء دفعة وبقوة وبسرعة من أي سبب كان » (٦٣) . ولهذا التموج علتان ، هما ؛ القرع والقلع ، والقرع هو « تقريب جِرْم مّا الى جِرْم مقاوم لمزاحمته تقريباً ، تتبعه مماسّة عنيفة لسرعة حركة التقريب وقوتها » (٦٤) . والقلع هو « تبعيد جِرْمٍ مّا عن جِرْم آخر ، مماسّ له منطبق أحدهما على الآخر ، تبعيداً ينقلع عن مماسّه انقلاعاً عنيفاً ، لسرعة حركة التبعيد » (٦٥) ، « وهذا القلع – كما يقول ابن سينا ايضاً – يتبعه صوت من غير أن يكون هنا قرع »(٦٦)

وابن سينا في حديثه هنا عن أسباب حدوث الأصوات ، لا يعني بذلك الأصوات اللغوية وحدَها ، بل يعني جميع الأصوات ، لغوية وغير لغوية . ولو لم يكن قصده ذلك ، لما ذكر (القلع) ؛ لانه لا علاقة له بالأصوات اللغوية ، فسببها منحصر بالقرع فقط ، ومن هنا وجدنا الفارابي المتوفى سنة (٣٣٩ هـ) ، وهو اسبق من ابن سينا ، لا يذكر القلع في حديثه عن أسباب حدوث أصوات اللغة ، بل يكتفي يذكر القرع وحَدهُ (٦٧) .

والأصوات التي تعنينا في مجال اللغة ، هي الأصوات التي تأتلف منها

---

(٦١) المصدر نفسه م ٢/٢٢ .
(٦٢) المصدر نفسه .
(٦٣) اسباب حدوث الحروف ٨ .
(٦٤) المصدر نفسه .
(٦٥) المصدر نفسه .
(٦٦) المصدر نفسه .
(٦٧) كتاب الحروف ١٣٦ .

مفردات الكلام ، لأن الكلام انما هو وحدات مستقلة مؤتلفة فيما بينها، وكل وحدة من هذه الوحدات دالّة على معنى مرتسم في الذهن ، اقترنت به اقتران أي دالّ بمدلوله ، وهذه الوَحَدات مؤلفة من أصوات تنطلق من جهاز النطق على وَفْقِ الإيعازات التي يصدرها الذهن بسرعة تنسجم مع الرغبة في طريقة التعبير ، وبكيفية تتلاءم والغرض الذي يريد الناطق أن يعبّر عنه .

ولما كانت الأصوات اللغوية تخرج من الفم ، وكأنها قد رميت منه رمياً ، أُطلق على هذه الأصوات مصطلح (الألفاظ) (٦٨) . قال ابن فلاح اليمني : « وانّما سميت الحروف ألفاظاً ، لأنها تحدث بسبب رمي النَّفَس الممدود من قبل الطبيعة للهواء الجاري من الرئة ، المعتمد على أجزاء الفم واللهوات وقصبة الرئة ، إذِ اللفظ في اللغة عبارة عن الرمي » (٦٩) .

فتسمية الأصوات اللغوية ألفاظاً ، أمر مرتبط بالعملية التي تجري للنفس في جهاز النطق ، والتي تؤدي الى رميه خارج الفم ، على شكل موجات صوتية ، يلتقطها جهاز السمع ، ومن ثَمَّ يقوم الذهن بتفسيرها على وَفْق ما استقر فيه من اقتران ذلك اللفظ بما دلّ عليه من معنى .

والاصوات اعني كل الاصوات من المسموعات ، فهي ماهية محسوسة مدركة (٧٠) ، ومنفذها الى مركز الإدراك هو السمع ، فهو كما يقول ابن خلدون ، (ابو الملكات اللسانية) (٧١) ، وعليه الاعتماد في إدراك الأصوات اللغوية وغيرها ، وكلما اعتاد الإنسان سماع الأصوات ، قويت قدرته على التلفظ بها ومن هنا وجدنا تعلم اللغات قد ارتبط بالسماع أشدّ ارتباط ، لأنه هو السبيل القويم الذي يَسَّرَ للانسان إتقان اللغة ، ومكنه من

---

(٦٨) اللسان (لفظ) .

(٦٩) المغني لابن فلاح م ٢/ ١٤ .

(٧٠) التفسير الكبير ١/ ٢٩ .

(٧١) المقدمة ٥٤٦ .

التحدث بها ، ولا سيما اذا كان ذلك السماع في مرحلة مبكرة من مراحل عمره .

والانسان قد يستطيع أن يتعلم لغة من اللغات عن طريق القراءة والمقابلة بين الفاظ لغته ، وألفاظ اللغة التي يريد أن يتعلمها ، ولكنه لايمكن أن ينطِق ألفاظ اللغة الجديدة النطقَ الصحيحَ مالم يسمعها ممن يجيد التحدث بها لأن الخط لايستطيع دائما أن يصور الألفاظ التصوير الدقيق (٧٢) ، فضلاً عن أن هناك أصواتاً في لغة مّا ليست موجودة في لغة أخرى ، فكيف يتسنى للانسان معرفة نطق أصوات غير موجودة في لغته ، ما لم يسمعها من الناطقين بها ، او ممن اخذهم عنهم ، فمثلاً الصوت المرموز له بـ (ch) في الإنكليزية ، لايوجد صوت يقابله في العربية، فاذا جاء هذا الصوت في كلمة فهل يستطيع العربي أن ينطِق هذا اللفظَ ، ما لم يكن قد سمعه ممن يعرف نطقه ؟ وينطبق هذا الأمر على غير العربي ، ممن لا وجود في لغته لكثير من الأصوات العربية ، كالضاد ، والظاء ، والقاف ، والخاء ، والطاء ، كيف يستطيع أن ينطق هذه الأصوات النطق الصحيح ما لم يكن قد سمعها من أهلها ، أو من ذوى الخبِرة والدراية بطرق نطقها ؟ .

والإنسان يمتلك قدرة عظيمة على محاكاة الاصوات مهما كان نوعها لأن الله وهب له آلات نطق قادرة على صياغة أصوات متباينة ومتنوعة ، بسبب تباين مخارج النطق عنده ، وتنوعها ، بخلاف غيره من الحيوانات التي غالباً ما تكون أصواتها « رتيبة » ومحدودة وغير معتمدة على مخارج أو مقاطع كثيرة (٤) ، وإن جاءت أصواتها مختلفة باختلاف نوع الحيوان ، فعُواء الذئب غير زئير الأسد ، ونُباح الكلب غير مُواء القط ، وصهيل الفرس غير نهيق الحِمار .

(٧٢) البيان والتبيين ٣٤/١ .
(٧٣) الحيوان ٢١٣/١ .
(٧٤) المغني لابن فلاح م٢٠/١١ .

ومخارج الصوت عند الحيوان محدودة ، ولهذا جاءت أصواته محدودة أيضاً ، وتنوعها لايرقى في أي حال من الأحوال الى تنوع أصوات الإنسان ، والمنصت الى أي حيوان وهو يصوت قد لا يسمع أكثر من نمطين ، أو ثلاثة انماط من الأصوات تتردد منه ، مشكلة مقاطع متشابهة ، تتكرر « برتابة » متصلة ، وهي لاتخلو في غالب الأمر من أصوات تشبه أصوات المد : الألف ، والياء ، والواو .

وأصوات أفراد أي نوع من أنواع الحيوان لاتختلف باختلاف البيئات ، أو الأصقاع التي يعيش فيها ذلك الحيوان ، فعُواء الذئب هو هو في أي مكان من الدنيا وكذلك مُواء القط ، أو نباح الكلب أو صهيل الخيل ، هذا حكم عام يخضع له الحيوان بأنواعه المختلفة ، وليس من السهل التمييز بين صوت حيوان وصوت حيوان آخَرَ من نوعه . أما صوت الإنسان ، فيختلف من فرد إلى فرد آخر ، فلكل إنسان نغمة صوتية تميّزه من صوت الآخرين وليس من الصعب علينا أن نميّز صوت أي إنسان من بين أصوات الآخرين اذا ما سبق لنا أن ألفْنا صوته ، ومن هنا صرنا قادرين أن نعرف الأشخاص عند سماع أصواتهم ، وإن كانوا في منأى عنا ومَعزِل عن اعيننا ومشاهدتنا .

وهناك عوامل كثيرة تتصل بهذا التمايز(٧٥) ، مثل الجنس والمهنة والبيئة والثقافة ، فصوت الرجل يختلف عن صوت المرأة ، وصوت البدوي أو الريفي يختلف عن صوت الحضري . وهناك عوامل خلقية ، تؤثر أيضاً في اختلاف الأصوات بين أفراد الجنس البشري . فقد يخضع اثنان لبيئة معيشية وثقافية واحدة ، الا أننا نجد اختلافاً ظاهراً بينهما في نَبَرات الصوت ونغماته ، فقد نرى — مثلاً — توأمين متشابهين تماماً ، ولانفرق بينهما الا بنبرات الصوت ونغماته .

(٧٥) انظر علم اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٧٨ .

وكما كان لكلّ فرد من أفراد البشر في وجه عام نغمة صوتية تميزه من غيره ، كان أيضاً لكل قوم نغمة تميزهم من غيرهم من الأقوام ، وهذا التمايز لا يقتصر على الذين يتكلمون لغات مختلفة ، بل يشمل كذلك أولئك الذين يتكلمون لغة واحدة (٧٦) ، فالعرب مثلاً امة واحدة ويجمعهم لسان واحد ، الا أن لكل شعب منهم لحناً خاصاً ، يتضح من حديث ابنائه ، ويجرى على ألْسِنة عامتهم وخاصتهم ، فللعراقي لحن يختلف عن لحن المصري ، وكل منهما يختلف في لحنه عن لحن أبناء الشام ، او أبناء المغرب العربي ، بل نجد هذا الاختلاف بيّناً عند ابناء الشعب الواحد ، الخاضعين لأساليب حيوية متقاربة ، والمتأثرين بعوامل ثقافية موحدة فلكل صقع أو إقليم لحن خاص ينفرد به أبناؤه ، بل ربما كان اختلاف اللحن مشاهداً بين أبناء المدن المتقاربة ، التي لاتفصل بينها الامسافات قليلة ، وقد تدعو الفروق الاجتماعية أو الثقافية أو الانحدار الطبقي أو القبلي أو الإقليمي الى اختلاف اللحن والنغمة بين أبناء المدينة الواحدة .

والنغمة الصوتية التي يطبع عليها الإنسان تبقى عالقة به ومهيمنة على لسانه ، فان تكلم لغة غير لغته شابَ كلاَمه شيء من لحنه الذي درج عليه وليس من الصعب علينا ان نميز – مثلاً – غير العربي اذا تكلم العربية من العربي القُحّ ، وان تفاصح بها ، وحاكى اهلها في طرائق كلامهم وحذا حذوهم في إخراج أصواتهم . وصاغ حديثه على وفق قواعدهم وأساليبهم . ونزه لسانه من لحن القول وخطئه . اذ تبقى في حديثه نغمة بعيدة عن العربية ، تشير الى لسانه الأصلي الذي كان يتكلم به(٧٦) .

(٧٦) البيان والتبيين ١/٧٩ .

والانسان قد يستطيع أن يكتب مايشاء بلغة هي غير لغته ، ويكون مجيداً في ذلك أيما اجادة ، ولكنه اذا تحدث بتلك اللغة صعب عليه ذلك ، وشانَ لسانَهُ شيء من لغته التي نشأ عليها ، وقديماً قيل عن سيبويه ، إن قلمه أبلغُ من لسانه ، وأنه مات وفي لسانه لُكْنَة من أثر العجمة ، ولكنه ترك لنا كتاباً عظيماً ضم قوانين العربية وأصولها الكلية والجزئية . وكان كتابه هذا مثار الإعجاب والإكبار من لدن القدماء والمحدثين . وقد وصفه اسلافنا بأنه قرآن النحو (٧٧) .

فاللغة اذن أصوات منطوقة قبل أن تكون خطوطاً مكتوبة ، وهذه الأصوات تعتمد على مخارج مختلفة ينقطع عندها النفس ، فينطلق عند ذاك الصوت ، وباختلاف المخارج تختلف الأصوات(٧٨) ، وقد تتفق مجموعة من الأصوات بمخرج عام واحد ، الا أنها تختلف من حيث الصفة (٧٩) ، وهذا الاختلاف في الصفة هو الذي جعل الأصوات من حيث الكمية العددية تزيد على مخارج النطق عند الإنسان .

وقد استقرى علماء اللغة مخارج الأصوات العربية ، فذهب جمهورهم الى أنها ستة عشر مخرجاً (٨٠) ، ابتداءاً من الحلق وانتهاءاً بالشفتين ، وتشترك الخياشيم في مخرج النون والميم الساكنتين ، لما فيهما من غُنّة(٨١) ، وإن كان الأصل في مخرجهما أن النون من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا ، ومخرج الميم من بين الشفتين (٨٢) .

---

(٧٧) مراتب النحويين واللغويين ٨٨ ، انباه الرواة على انباه النحاة ٣٤٩/٢ ، معجم الادباء ٨٢/٦ ، وفيات الاعيان ٤٦٣/٣ .
(٧٨) الكتاب ٤٠٥/٢ .
(٧٩) الكتاب ٤٠٥/٢ ، سر صناعة الاعراب ٥٢/١ .
(٨٠) الكتاب ٤٠٥/٢ .
(٨١) الكتاب ٤٠٥/٢ ، سر صناعة الاعراب ٥٣/١ .
(٨٢) الكتاب ٤٠٥/٢ ، سر صناعة الاعراب ٥٢/١ .

وتتم معرفة مخرج الصوت بأن ينطق به ساكناً مسبوقاً بهمزة الوصل . وأول من نص على هذه الطريقة في اعتبار مخارج الاصوات ، هو الخليل ابن أحمد الفراهيدي (٨٣) . وقد عقد ابن جنّي مبحثاً يتصل بذوق أصوات الحروف . اعتمد فيه على ما أورده الخليل في معرفة النطق بالصوت على حقيقته ، حيث قال : « وسبيلك اذا أردت اعتبار صدى الحرف أن تأتي به ساكناً لامتحركاً ، لأن الحركة تقلق الحرف عن موضعه . . ثم تدخل عليه همزة الوصل مكسورة من قبله ، لأن الساكن لايمكن الابتداء به (٨٤) .

وقد أمكن حصر الأصوات العربية ، فكانت تسعة وعشرين صوتاً (٨٥) ، وقد جُعِلَ بإزاء كل صوت من هذه الأصوات حرف من حروف الهجاء العربي (٨٦) . ومن هنا كانت حروف الهجاء تسعة وعشرين حرفاً ، تمثل الألفبائية العربية ، الا أن أبا العباس المبرد المتوفّى سنة (٢٨٥ هـ) عدها ثمانية وعشرين حرفاً (٨٧) ، اذ أسقط الهمزة ، فلم يعدها حرفاً مستقلاً ، بل جعلها مع الألف حرفاً واحداً ، وقد عوّل في ذلك على أن الهمزة صورتها غير مستقرة ، فهي لاتثبت على صورة واحدة ، وفاته أن الأصل هو اللفظ لا الرسم والخط . قال ابن جني ، (فأما إخراج أبي العباس الهمزة من جملة الحروف . واحتجاجه في ذلك أنها لاتثبت صورتها ، فليس بشيء ، وذلك أن جميع هذه الحروف إنما وجب إثباتها واعتدادها ، لما كانت في اللفظ الذي هو قبل الخط ، والهمزة أيضاً موجودة في اللفظ »(٨٨) مثلها في ذلك مثل سائر الحروف العربية التي تأتلف منها مفردات الكلام .

---

(٨٣) الكتاب ٢/٦١ – ٦٢ .   (٨٤) سر صناعة الاعراب ١/٧ .

(٨٥) الكتاب ٢/٤٠٤ . سر صناعة الاعراب ١/٤٦ .

(٨٦) كتاب الحروف ١٣٧ .

(٨٧) سر صناعة الاعراب ١/٤٦ .   (٨٨) سر صناعة الاعراب ١/٤٨ .

وعلماء العربية يعبرون عن الاصوات بالحروف . وهذا شائع في عباراتهم ، يستوي في ذلك قدماؤهم ومتأخروهم (٨٩) . وقد جعلوا لكل حرف من حروف هجائهم اسماً ، مبدوءاً بالصوت الذي يعبر عنه بذلك الحرف (٩٠) ، مثل ، الصاد ، والسين ، والميم ، والدال ، والعين ، والقاف ، ولم يخرجوا عن هذا السبيل الا في تسمية صوتين هما : الهمزة والألف . وإذا ما أخذنا بنظر الاعتبار تسمية اكثر العلماء الهمزة ألفاً ، ولا سيما قدماؤهم (٩١) ، تكون تسميتهم هذه قد ابتدأت بالصوت الذي يدلّ عليه هذا الحرف (٩٢) . ويبقى الألف وحدَه ، لا يرتبط بالصوت الذي يرمز له . ولعل سبب ذلك هو أن هذا الصوت لايمكن أن يلفظ به في ابتداء الكلام (٩٣) ، بخلاف جميع الأصوات الأخرى ، ولهذا لما ارادوا أن يلفظوا صوته ، ضمن أصوات هجائهم ، جعلوا قبله صوت اللام ، ورسموه في خطهم متصلاً به ، على نحو ما يأتي ، (لا) (٩٤) ، وما زال صوت معلمي الكتاتيب يرنّ في آذاننا ، وهم يرددون حروف الهجاء لطلبتهم ، فاذا ما وصلوا الى هذا الحرف قالوا ، (لام ألف لا » ، ويبدو أن هذه الطريقة في لفظ الألف قديمة ، قِدَمَ تعلم الهجاء العربي (٩٥) .

وهناك علماء فرقوا بين الصوت والحرف ، منهم ابن جني ، فقد عقد لذلك مبحثاً في « سر صناعة الاعراب » ، سمّاهُ : « فرق مابين الصوت

(٨٩) الكتاب ٢/٤٠٤ ، ٤٠٥ ، الموجز في النحو ١٦٦ ، ١٦٧ ، شرح مختصر التصريف العزي ٩٦ ، ٩٧ .
(٩٠) سر صناعة الاعراب ١/٤٧ .
(٩١) الكتاب ٢/٣ ، ٤ ، ٥ ، ١٩ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ .
(٩٢) سر صناعة الاعراب ١/٤٧ .
(٩٣) المصدر نفسه ١/٤٨ .
(٩٤) المصدر نفسه ١/٤٩ .
(٩٥) المصدر نفسه ١/٤٨ .

والحرف » (٩٦) ، ذكر فيه : « أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلاً ، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته » (٩٧) فيسمى الصوت اينما عرض له المقطع حرفاً ، « وتختلف أجراس الحروف بحَسَب اختلاف مقاطعها ، واذا تفطنت لذلك وجدته على ما ذكرته لك ، ألا ترى أنك تبتدىء الصوت من أقصى حلقك ، ثم تبلغ به أي المقاطع شئت ، فتجد له جرساً ما ، فان انتقلت عنه راجعاً منه ، أو متجاوزاً له ، ثم قطعت ، احسست عند ذاك صدى غير الصدى الأول ، وذاك نحو : الكاف ، فانك اذا قطعت بها سمعت هنا صدى مّا ، فان رجعت الى القاف سمعت غيره ، وإن جزت الى الجيم سمعت غير ذينك الأولين » (٩٨) .

والناظر في كلام ابن سينا في « اسباب حدوث الحروف » يجده أيضاً يفرق بين الحرف والصوت . فالحرف عنده هو ، « هيئة للصوت عارضة له ، يتميز بها عن صوت آخر مثله في الحدة والثقل تميزاً في المسموع »(٩٩) ، والذي يفعل الحرف عنده . هو « حال التموج من جهة الهيئات التي يستفيدها من المخارج والمحابس في مسلكه – أي :مسلك التموج – » (١٠٠) أما الصوت فهو عنده « كيفية تحدث من تموج الهواء المنضغط بين قارع ومقروع »(١٠١) . والقارع هو . النفس الخارج على هيئة تموج (١٠٢) ، والمقروع هو المقطع أو المحبس الذي الذي ينتهي عنده النفس ، فيحدث الصوت الخاص المتميز بصفاته من سائر أصوات النطق الأخرى ، والذي يفعل الصوت « هو نفس التموج » (١٠٣) . وهذا التفريق

(٩٦) المصدر نفسه ٦/١ .
(٩٧) المصدر نفسه .
(٩٨) سر صناعة الاعراب ٦/١ .
(٩٩) اسباب حدوث الحروف ١٠ .
(١٠٠) المصدر نفسه .
(١٠١) التفسير الكبير ٢٩/١ .
(١٠٢) اسباب حدوث الحروف ١٠ .
(١٠٣) المصدر نفسه .

بين الصوت والحرف ، تفريق سديد . فالحرف هو الصوت المعتمد على المخارج والمحابس ، فهو صوت خاص لاينطبق إلاّ على الأصوات الصادرة من آلات النطق(١٠٤) ، التي هي الحروف . أما الصوت فهو عام يشمل الحروف وغيرها من الأصوات .

وأسباب اختلاف الحروف ، لا تعود الى اختلاف الصوت ؛ لأن الصوت في أصله ساذَج ، وهو تموج غير مخالف بعضه بعضاً في الحقيقة ، وهذا الصوت ، يمثل المادة الساذجة للحرف ، (١٠٥) ، وتمثل الحروف الهيئة العارضة له(١٠٦) ، التي تلتقطها الأسماع ، أما الذي يؤدي الى اختلاف الحرف ، فهو اختلاف آلاتها ، فلولا اختلاف آلات الحروف ، لما اختلفت الحروف ، إذْ لا شيء هناك يمكن أن يؤدي الى اختلافها الاّ مادتها وآلاتها ، فاذا كانت مادتها واحدة ، وهي الصوت الذي يسببه التموج كانت آلة النطق هي وحدَها سبب اختلاف الحروف (١٠٧) ، ونعني بآلات النطق مواضع تكون الحروف في الحلق واللسان والاسنان والنطع وأصول الثنايا والشفة ، وهي المسماة بالمخارج(١٠٨).

واللغة – اي لغة كانت – انما تتمثل بالمفردات أولاً ، ثم بالتراكيب ثانياً ، والتركيب هي محط الفائدة(١٠٩) التي يتوخاها المتكلم ، ويتطلبها المتلقي ، والكلام الذي هو الجزء المتحدث به من اللغة ، لا يمكن أن يقع في أي لغة الا على هيئة مركبة من أكثر من مفرد لفظاً أو تقديراً ، لأن الكلام المفيد فائدة تامة يحسن السكوت عليها لابد أن يكون متشملاً على إسناد ، الإسناد تركيب مؤلف من ركنين ، هما المسند والمسند اليه . وهذا قانون عام ، تخضع له كل اللغات

(١٠٤) المغني لابن فلاح م ٢/١٣ .
(١٠٥) شرح الشافية للرضي الاستربادي ٣/٢٥٠ .
(١٠٦) اسباب حدوث الحروف ١٠ .
(١٠٧) شرح الشافية للرضي الاستربادي ٣/٢٥١ .
(١٠٨) المصدر نفسه .
(١٠٩) نهاية الايجاز ودراية الاعجاز ٧١ .

الانسانية . وقد نص عليه سيبويه حيث قال : « هذا باب المسند والمسند اليه وهما ما لا يستغني واحد منهما عن الآخر ، ولايجد المتكلم منه بُدا »(١١٠آ) .

والغرض الأصلي من وضع المفردات بإزاء المعاني الدالّة عليها — كما يقول الرازي — هو ان يُضم بعضها الى بعض لتحصل منها الفوائد المركبة (١١١) . فذكر المفرد وحدَه منفصلاً عن التركيب ، لا يؤدى فائدة ذات بال يمكن أن يضيفها المتلقي الى ما تحصل في ذهنه من معرفة تتصل بالمفرد .

فالمفرد خارج التركيب اشبه مايكون بلبنه ملقاة خارج البناء ، فهي مجرد لبنة لا تشكل قيمة يعبأ بها ، لان قيمتها الحقيقية إنما تكون اذا أخذت موضعاً مّا من البناء ؛ وكذلك اللفظ المفرد خارج التركيب ، لا يؤدي قيمة دلالية زائدة على قيمته المقترنة به في أصل الوضع ، والتي تميزه من غيره من المفردات . فلفظة (كتاب) — مثلا — لها مدلول مستقر في ذهن المتكلم والمتاقي ، يميزها من غيرها من المفردات ، ولا تؤدي غرضاً زائداً على هذا المدلول فيما لو صوّت بها المتحدث وحدها ، أما اذا جاءت في تركيب تام يحسن السكوت عليه . فانها تؤدي دلالة أخرى تكتسبها من وظيفتها النحوية في التركيب . وذلك مثل : الفاعلية والمفعولية والإضافة والوصفية والحالية ، وغير ذلك من المعاني التي تعتور المفردات في أثناء التركيب . وهذه المعاني كلها مبنية على علاقة المفرد بما ضم اليه من مفردات اخرى . وهذه العلاقة ، يجب أن تقوم على مناسبة معنوية مشتركة يرتبط بها المفرد مع غيره من المفردات ارتباطاً حقيقياً او مجازياً . فإن لم تتوفر هذه المناسبة ، امتنع تركيب المفردات ، فمثلا الفعل « يقرأ » . لا يمكن أن يركب تركيب إسنادٍ الا مع اسم تصح القراءة منه .

---

(١١٠) الكتاب ٧/١ .
(١١١) نهاية الايجاز ودراية الاعجاز ٧١ . وانظر دلائل الاعجاز ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ .

وقد لمح سيبويه الى وجوب توفر العلاقة المعنوية بين المفردات التي يتألف منها التركيب ، اذ وصف نمطاً من تأليف الكلام بأنه محال ، لأن فيه لفظين ينقض أحدهما الاخر . جاء ذلك في باب من أبواب كتابه القيم ، سماه « باب الاستقامة من الكلام والإحالة » ، قال فيه : « وأما المحال » ، فان تنقض أول كلامك بآخره ، فتقول : أتيتك غداً ، وسآتيك أمس » (١١٢) ؛ لأن الفعل « أتى » ماضٍ ، فلا يصح أن يقترن بلفظة « غد » الدالة على الاستقبال ، والفعل « آتي » مصروف للاستقبال ، لاتصاله بالسين ، فلا يصح أن يأتلف في التركيب مع لفظة « أمسِ » الدالة على المضي .

فلابد اذن من وجود علاقة منطقية بين مفردات أي تركيب ليكون كلاماً تاما ، يعبر به المتكلم عن معنى من المعاني التي تختلج في ذهنه أو تتردد في نفسه .

والمعاني التي تدل على أغراض المتكلم ، لا تكون مفردة ابداً ، بل هي معانٍ مركبة . وقد ترتب على هذا أن يكون التعبير عنها إنما يتم بالألفاظ المركبة . ومن هنا امتنع أن يقع المفرد في الكلام مجرداً من التركيب حقيقة وتقديراً .

وربما عُبِّر عن المعنى المركب بلفظ ظاهره أنه مفرد ، وهو في حقيقة الأمر لفظ مركب ، وذلك لأن المتكلم قد يضمر جزءاً من الكلام ، اعتماداً على أن المتلقي يدرك أن في الحديث شيئاً مضمراً ، لم يظهره المتحدث ، ايجازاً منه واتساعاً ، وقد شاع مثل هذا الاضمار في أبواب متفرقة من الكلام ، مثل : النداء ، والأمر ، والتحذير ، والجواب .

فاللغة — أي لغة كانت — إنما هي تراكيب مؤلفة من مفردات ضُمّ بعضها الى بعض ، على شكل قوالب لفظية ، تتحكم بها قوانين ونظم نحوية

---

(١١٢) الكتاب ١/٨ .

ولغوية وأسلوبية ، تواضع عليها أهل كل لغة ، وأخذها اللاحق منهم عن السابق بطريق التلقي والمحاكاة .

واللغة مرتبطة بالمعاني التي يحس بها الإنسان ويدركها ، وهذه المعاني إنما تقع بادىء ذي بدء مفردةً ، وبعد أن تستقر في الذهن يطرأ عليها التركيب . ولما كانت الالفاظ تابعة للمعاني ، لأنها قوالبها (١١٣) ، كان وضع الألفاظ المفردة سابقاً لوضع الألفاظ المركبة .

فالمفرد سابق للمركب ، سواء أكان هذا المفرد معنى أم كان لفظاً ، وذلك لأن المفرد بسيط ، والبسيط سابق للمركب في حكم العقل والمنطق (١١٤)

ويسمي علماء العربية المفرد « كلمة » ، وهي كل لفظ موضوع بازاء معنى مستقل تواضع عليه أهل اللغة ، فكل كلمة لفظ ، ولكن ليس كل لفظ كلمة (١١٥) ؛ لأن هناك ألفاظاً لا معاني لها ، سمّاها علماء العربية الألفاظ المهملة (١١٦) ، ومثلوا لها بلفظة « ديز » التي هي مقلوب لفظة « زيد » . ومثلها كل لفظ لا يدل على معنى من المعاني المدركة والمستقرة في ذهن الناطقين باللغة .

والكلمة المفردة . هي الأساس الذي قامت عليه اللغات جميعاً ، وعليها بنَى علماء اللغة معاجمهم . ومن لم يدرك معاني الكلمات المفردة ، لا يستطيع أن يدرك فحوى الكلام ومدلوله تمام الإدراك . وقد يُعين السياق على معرفة معاني قسم من الكلمات المفردة . الا أن الأصل هو أن يلم المتحدث بأي لغة بمعاني الكلمات المفردة ، قبل أن يكلف نفسه التحدث بتلك اللغة . وكلما ازدادت معرفة المتكلم بمعاني المفردات وازداد محفوظه منها ، ازدادت قدرته على التعبير عما يدركه من معانٍ او يحس به من أفكار .

---

(١١٣) المقولات ٧٨ .

(١١٤) الحروف ٦٤ ، ٧٣ ، وانظر التفسير الكبير ١/١٠ .

(١١٥) المغني لابن فلاح م ٢/٢٢ . (١١٦) المغني لابن فلاح م ٢/٢١ .

والكلمة المفردة في العربية وغيرها من اللغات ، تتألف من نوعين من الأصوات ، مصوتة وصامتة (١١٧) ، وتنحصر الأصوات المصوتة في العربية بالواو والياء والالف ، وما يتفرع منها من أصوات قصيرة سماها علماء العربية « الحركات » ، وهي : الضمة والكسرة والفتحة . أما الأصوات الصامتة ، فتشمل سائر الأصوات العربية عدا الاصوات المصوتة المذكورة آنفاً ، ويسمى هذا النمط من الأصوات « الاصوات الساكنة » (١١٨) ايضاً . ويطلق عليها كذلك « الحروف الصحيحة » . وهذا المصطلح الأخير ، هو المصطلح الشائع في تسمية هذه الأصوات عند علماء العربية من نحاة وصرفيين ولغويين (١١٩) .

والأصوات الصامتة هي أكثر عدداً من المصوتات ، وعليها يقوم بناء أصول المفردات العربية (١٢٠) .

ويطلق علماء العربية على « الواو والياء والالف » أحرف العلة واللين والمد ، ولكل تسمية من هذه التسميات سبب . فالعلة لأنها ضعيفة معرضة للحذف والتغيير (٢١) ، وسميت أحرف لِين ، لأنها لينة ، وليس فيها صلابة الأصوات الصامتة (١٢٢) ، وسميت أحرف مَدّ ، لأن الصوت يمد بها ، قال سيبويه : « وحروف اللين هي حروف المَدّ التي يمد بها الصوت » (١٢٣)

ولا تسمى هذه الأصوات أصوات مَدّ ، الا اذا كانت ساكنة وقبلها حركة من جنسها ، وفي ضوء هذين القيدين ، تكون الألف دائماً صوت مدّ ،

(١١٧) التفسير الكبير ١/٢٩ ، ٤٨ .
(١١٨) علم اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي ٣٠٠ .
(١١٩) جمهرة اللغة ١/٧ ، سر صناعة الاعراب ١/٧١ .
(١٢٠) فقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي ١٧ ــ ٢٠ .
(١٢١) الخصائص ٢/٢٩١ ، شرح مختصر التصريف العزى ١٠٥ .
(١٢٢) شرح مختصر التصريف العزى ١٠٦ .
(١٢٣) الكتاب ٢/١١ .

لأن « الألف لابد لها من حرف قبلها مفتوح » (١٢٤) . ولكونها لا تقبل الحركة (١٢٥) ابداً ، فهي ساكنة لزوماً واضطرراً ، ومن هنا سماها سيبويه حرفا ميتا (١٢٦) .

اما الواو والياء ، فقد يأتيان حرفي مَدّ ، وقد لا يأتيان . فان جاءا ساكنين ومسبوقين بحركة من جنسهما ، فهما حرفا مدّ ، أما اذا جاءا متحركين أو مسبوقين بسكون او حركة ليست من جنسهما ، فلا يعدّان حرفي مدّ ، مثل الواو والياء في كل من : يوم ، وصوم ، وظبي ، ودلو ، وقِيَم (جمع قيمة) ، واستحوذ ، ورضي ، ووعد ، وقاوم ، وعور . ويكون حكم الواو والياء في مثل هذه الالفاظ حكم أيّ صوت صامت (١٢٧) « اي حرف صحيح » ، ويجرى عليهما الحكم النحوي او الصرفي الذي يجري على الاصوات الصامتة . ومن هنا سمى النحاة الأسماء المنتهية بالواو او الياء المسبوقين بسكون اسماءاً معتلة جارية مجرى الصحيح (١٢٨) ، ولهذا ، تظهر على أواخرها الحركات كما تظهر على آخر أي اسم منتهٍ بصوت صامت « أي : حرف صحيح » .

والاصوات التي تأتلف منها مفردات العربية لاتنحصر بالحروف الصامتة والمصوتة بل تشمل أيضاً الحركات . والحركات في حقيقة أمرها لا تعدو أن تكون نوعاً من أنواع المصوتات . فلا تختلف عن اصوات المد الأصلية ، الا بكونها أقصر منها . ومن هنا جاءت تسمية بعض الباحثين لها « أصوات مدّ قصيرة » (١٢٩) .

---

(١٢٤) المصدر نفسه ٢/٢٨٦ .
(١٢٥) المصدر نفسه ٢/٣٥٧ .
(١٢٦) المصدر نفسه ٢/٧٨ .
(١٢٧) المصدر نفسه ٢/٢٩٣ ، ٢٨٩ ، ٢٨١ .
(١٢٨) المصدر نفسه ٢/٥٧ ، ١٣٢ .
(١٢٩) انظر فقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي ١٩ .

وقد تنبه علماء اللغة الأوائل للعلاقة الصوتية بين الحركات وأحرف المد ، فنصوا على أن الحركات أبعاض أحرف المَدّ ، فالضمة بعض الواو ، والكسرة بعض الياء ، والفتحة بعض الالف (١٣٠) . والذي يدّل على أن الحركات أبعاض لهذه الاحرف – كما يقول ابن جِنّي – « أنك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه » (١٣١) .

وقد نقل ابن جِنّي عن بعض متقدمي النحاة أنه كان يسمي الضمة واواً صغيرة ، والكسرة ياءاً صغيرة ، والفتحة ألفاً صغيرة (١٣٢) . وما نقله ابن جني ، يشبه الى حد كبير ما اورده أبو علي في مسائله البغدادية ، حيث قال : « وهذا الذي يسميه أهل العربية حركة حقيقية انه حرف . فالفتحة كالألف ، والضمة كالواو ، والكسرة كالياء ، في أنهن حروف ، كما أنهن حروف ، الا أن الصوت بهن أقل من الصوت بالألف وأختيها ، وقلة الصوت بهن ليس يخرجهن عن أن يَكُنّ حروفا ، لأن من الحروف ما هو أكثر صوتاً من حروف ، كـ « الصاد » و « النون » الساكنة . فكما أن النون عندنا حرف وإن كان اقل صوتاً من الصاد ، كذلك يجب أن تكون هذه عندنا حروفاً ، وان كان الصوت بهن أقل من الصوت بما هن منه » (١٣٣) ، ثم قال : « فالمسمى حركة والحرف الذي معه ، هما في الحقيقة حركتان للناطق ، وكلّ واحد منهما حرف ، ويدلك على ما ذكرناه من هذا قيام كل واحد من الحرف والمسمى حركة مقام صاحبه » (١٣٤) .

فكل من الحركة والحرف صوت ، والصوت عرض . ولما كانت « الحركة لا توجد الا عند وجود الحرف ، صارت كأنها قد حلته ، وصار هو كأنه

---

(١٣٠) الكتاب ٢/٣١٥ .
(١٣١) سر صناعة الاعراب ١/٢٠ .
(١٣٢) المصدر نفسه .
(١٣٣) المسائل البغدادية ٤٨٧ – ٤٨٨ .
(١٣٤) المسائل البغدادية ٤٨٨ .

قد تضمنها ، تجوزا لا حقيقة » (١٣٥) ، لأن العرض لا يحل العرض على الحقيقة .

وتردد المصوتات – حروفاً كانت أو حركات – في الكلام ، أكثر من تردد غيرهن من الأصوات ، وقد تنبه سيبويه الى هذه الحقيقة اللغوية ، فقال : « فأما الأحرف الثلاثة – يعني : الواو ، والياء ، والالف – فإنهن يكثرن في كل موضع ، ولا يخلو منهن حرف ، او من بعضهن . ، ... هن لكل مد ، ومنهن كل حركة » (١٣٧) .

وأحسب ان تردد هذه الاصوات الكثير في المفردات ، مُتَأَتٍّ من وظيفتها الصوتية المتمثلة في ربط أجزاء المفرد . فبناء المفرد في أصله قائم على الاصوات الصامتة التي يسميها النحاة والصرفيون « الحروف الصحيحة » ، وهي في الأصل أصوات ساكنة ، والحركة زائدة عليها ، وتوالي السواكن يؤدي الى الثقل ، بل ربما كان ذلك متعذراً ، ولاسيما اذا ما كثرت السواكن المتوالية ، فأحدثت هذه الأصوات اضطراراً ، لتربط اجزاء المفرد ، بعضها ببعض . ولعل الخليل بن أحمد الفراهيدي هو أول من تنبه الى هذه الحقيقة اللغوية ، التي لا تصدق على العربية وحدها ، بل تشمل سائر اللغات ، فقد نقل عنه سيبويه انه قال : « الفتحة والكسرة والضمة زوائد ، وهن يلحقن الحرف ليوصل الى التكلم به ، والبناء هو الساكن الذي لا زيادة فيه ، فالفتحة من الألف ، والكسرة من الياء ، والضمة من الواو » (١٣٨) .

وقد جاءت قيمة المصوتات : « الحركات وحروف المدّ » من كونها أصواتاً لينة . وليونتها هذه هي التي أهلتها للقيام بوظيفة ربط الأصوات

---

(١٣٥) سر صناعة الاعراب ٣٧ .
(١٣٦) سر صناعة الاعراب ٣٦ .
(١٣٧) الكتاب ٣٤٩/٢ .
(١٣٨) الكتاب ٣١٥/٢ .

الصامتة ولولاها ما استطاع الإنسان أن يربط بين الأصوات المنطوقة ليؤلف المفردات الدالة على المعاني التي يريد أن يعبّر عنها .

فوظيفة المصوتات – ولا سيما الحركات – اذن لا تنحصر فيما تؤديه من دلالة نحوية في التركيب بل تتجاوز ذلك لتقوم بوظيفة صوتية أخرى تتصل بربط الاصوات الصامتة لتأتلف منها المفردات قبل التركيب .

وليس قيام المصوتات بربط المفردات أمراً اختصت به العربية وحدها بل هو أمر عام ؛ يشمل – فيما أحسب – كل اللغات الإنسانية . فوجود هذه الأصوات في الالفاظ المنطوقة بمثابة قانون عام يخضع له كل لفظ منطوق سواء أكان ذلك اللفظ دالا على معنى أم كان لفظاً مهملاً لا معنى له فليس هناك لفظ في الدنيا خالٍ من صوت أو أكثر من هذه الأصوات اللينة التي يطلق عليها في العربية الحركات وحروف العلة والتي تقابل في اللغات الأوربية ما يطلق عليه بالإنكليزية مصطلح (Vowels) والدي يشمل الأصوات المرموز لها بهذه الرموز الخطية (A. E. I. O.U.) وما يتصل بها من علامات توضح طريقة نطق هذه الاصوات مما هو شائع في المعاجم التي تعنى بمفردات اللغات الاوربية .

وربط أجزاء المفردات اللغوية في العربية لا يقتصر على الحركات وأصوات المد الطويلة بل يسهم فيه السكون أيضاً وهو في حقيقة أمره انتفاء الحركة . ولهذا سمي سكونا ليقابل الحركة في حقيقتها اللغوية ومعناها الاصطلاحي . وقد تنبه قُطْرُب النحويّ (تلميذ سيبويه) الى قيمة كل من الحركة والسكون في ربط أجزاء الكلام فذهب الى أن حركات الإعراب لا تفيد معنى نحوياً في الكلام وانما جيء بها ليعتدل الكلام لأن الاسم في حال الوقف يلزمه السكون ، فلو جعلوا وصله بالسكون ايضاً لكان يلزمه الاسكان في الوقف والوصل وكانوا يبطئون عند الإدراج ، فلما وصلوا وأمنكهم

التحريك جعلوا التحريك معاقباً للإِسكان ليعتدل الكلام ، ألا تراهم بنوا كلامهم على متحرك وساكن ومتحركين وساكن ولم يجمعوا بين ساكنين في حشو الكلمة ولا في حشو بيت ، ولا بين أربعة أحرف لانهم في اجتماع الساكنين يبطئون ، وفي كثرة الحروف المتحركة يستعجلون وتذهب المهلة في كلامهم ، فجعلوا الحركة عقب الاسكان » (١٣٩) .

فالغرض من الحركات عند قُطْرُب اذن ، هو تيسير النطق من حيث الخفة والثقل ، وليس الغرض منها إبانة المعاني النحوية ، كما هو مذهب جمهور النحاة (١٤٠) .

ولما كان ابتداء الكلام انما هو ابتداء خروج الأصوات من آلة النطق ، تحتم أن يكون الصوت المنطلق في بَدْءِ الكلام صوتاً متحركاً ، ولمّا كان السكوت انقطاعاً عن الكلام ، لزم أن يكون الجزء الأخير من المفرد ، الذي يوقف عليه صوتاً ساكناً ، لاحركة فيه . ومن هنا وجدنا جميع المفردات العربية تبدأ بصوت متحرك ووجدنا أيضاً أن العرب لاتقف إلا على صوت ساكن . وقد تنبه ابن جنّي – رحمه الله – الى هذه الحقيقة الاستقرائية ، فقال : « ألا ترى أن الابتداء لمّا كان أخذاً في القول ، لم يكن الحرف المبدوء به الامتحركاً ، ولما كان الانتهاء اخذاً في السكوت لم يكن الحرف الموقوف عليه الاساكناً »(١٤١) .

والسكون الذي هو انتفاء الحركة ، لا ينحصر في أواخر الكلمات ، بل يأتي ايضاً داخل بناء الكلمة . وربما كان ذلك حكما لازماً ، تيسيراً للنطق ، لأن توالي الأصوات المتحركة في اللفظ الواحد ، أو ما كان في

(١٣٩) الايضاح في علل النحو ٧٠ – ٧١ .
(١٤٠) انظر الاصول في النحو ١/٤٥ ، الايضاح في علل النحو ٦٩ ، الخصائص ١/٣٥ .
(١٤١) الخصائص ١/٥ .

عداد اللفظ الواحد ، قد يؤدي الى الثقـل في النطق . ومن هنـا وجدنا العرب يَفِرُّون من توالي الحركات (١٤٢) ، فيسكنون بعضا من أصوات الكلمة اذا كثرت حركاتها . وقد يأتي ذلك على شكل قانون صرفي عام تخضع له بنية قسم من مفردات اللغة ، فقد جاءت – مثلا – فاء الأفعال الماضية الثلاثية والرباعية المجردة « فعل – فعلل » متحركة ، ولكن العرب عند تصريف هذين الفعلين الى المضارع ، يعمدون الى تسكين « فاء » الثلاثي أما الرباعي ، فيبقون (فاءه) متحركة ، استصحاباً لأصلها في الماضي . وسرُّ هذا يكمن في أنهم لو ابقوا (فاء) الثلاثي متحركة على أصلها في الماضي ، ثم زادوا عليه حرف المضارعة ، وهو متحرك اضـطراراً ، لاجتمعت في المضـارع أربعة أصـوات متحركة ، وهذا ثقيل عليهـم في النطم ، فسكنوا « فاءه» فراراً من الثقل ، اما مضارع الرباعي، فقد أبقوا « فاءه » متحركة على أصلها في الماضي ، لأن إبقاءها متحركة لايؤدى الى اجتماع أربعة أصوات متحركة متتابعة ، وذلك لأن « عين » الفعل الرباعي ساكنة في الماضي في أصل الوضع ، وسكونها هذاهو الذي يسر النطق بهذا النمط من الأفعال في الماضي ، وهو الذي حافظ على إبقاء حركة « الفاء » في المضارع ، لانه لم تجتمع فيه أربعة أصوات متحركة ، لا في الماضي ، ولا في المضارع .

والأصل في آخر الماضي الثلاثي انه مبني على الفتح ، ولكن اذا اتصل به ضمير رفع متحرك مثل « تاء الفاعل » بني على السـكون ، وذلك لئلا تتوالى أربعة أصوات متحركة في لفظ صار كأنه كلمة واحدة(١٤٣) ، لِشدة اتصال الفعل بالفاعل (١٤٤) ، ولو أبقي الفعل على أصله مبنياً على

---

(١٤٢) الكتاب ٢/٣٣٥ .
(١٤٣) الاصول في النحو ١/٤٩ – ٥٠ .
(١٤٤) اسرار العربية ٧٩ – ٨٣ .

الحركة ، لأدّى ذلك الى الثقل في النطق ، وقد حملوا غير الثلاثي المتصل بضمير رفع متحرك على الثلاثي ، وان لم تجتمع فيه أربعة أصوات متحركة متوالية ، وذلك طرداً للباب ، ويتمثل هذا الامر ، في الرباعي والسداسي ، نحو : دحرجت واستخرجت .

وهذه التغيرات الصوتية ، التي تتصل بالحركة والسكون ، تدل على عظيم عناية العرب بألفاظهم ، وحرصهم على انسجام أصوات أبنيتهم ، وشدة رغبتهم في توخي الخفة في النطق والفرار من الثقل . ولكن هذا ، لايعني في أي حال من الأحوال أنهم غير قادرين على نطق الأصوات الثيقلة أو القوية فهم يمتلكون جهازاً صوتياً يؤهلهم للنطق بأي صوت أو لفظ مَهْما كان ثقيلا وذلك بسبب طول الدُّرْبَة على التلفظ بأصوات قوية مثل العين والحاء والخاء والغين التي خلت منها أومنها أو من بعضها كثير من اللغات الإنسانية .

فاللغة اذن هي مفردات وتراكيب موضوعة بإزاء معان لها دلالة مستقرة في الذهن وخارجه . وهذه الدلالة مفردة أو مركبة والكلام الذي هو الجزء المستعمل من اللغة مركب من ألفاظ مفردة متآلفة فيما بينها على وَفْقِ أساليب ، غالباً ماتكون مستقرة على شكل نظام لغوي موروث ، والمفردات التي تشكل أجزاء الكلام هي أصوات مترابطة على شكل وحدات مستقلة ، كل وحدة موضوعة للدلالة على معنى مستقل . وهذه الوحدات التي هي الكلمات مؤلفة من نوعين من الأصوات : اصوات صامتة ، وأصوات مصوتة . وتشكل الأصوات الصامتة عمدة كل كلمة ، وتسهم الأصوات المصوتة في ربط تلك الأصوات الصامتة ، التي هي في الأصل أصوات ساكنة ، وتتمثل الأصوات المصوتة في العربية بالحركات وأحرف المدّ واللين ، وتشمل الأصوات الصامتة سائر حروف الهجاء الأخرى .

فحقيقة اللغة في مفرداتها وتراكيبها ، أنها أصوات معتمدة على مخارج ، موزعة على جهاز النطق . وقد وهب الله للانسان القدرة على تأليف هذه هذه الأصوات ، ليجعل منها أداة يعبر بها عن أغراضه ، وما أصدق ابنَ جِنّي عندما حدّ اللغة فقال : « انها أصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم »(١٤٥) .



(١٤٥) الخصائص ٣٣/١ .

قصيدة قحطانية نادرة

دراسة وتحقيق
المهندس حاتم غنيم
الاردن ـ عمان

كانَ الشِّعْرُ عندَ العَربِ في جاهليَّتهِم وسيلةَ الإعلامِ الأولى ، وكانَ للقبيلةِ على شاعرِها أن يدافعَ عن مواقِفِها وتَصرُّفاتِها ، وينشُرَ مفاخِرَها ومناقِبَها ويُشيدَ بذكرِ أيّامِها ومآثرِها ، ويمدَحَ سادتَها وفُرسانَها ، وكان عليه أن يتعرَّضَ لأعدائِها بالمذَمَّةِ والعَيْب ، ويَغُضَّ منهم ويتهدَّدَهُم ويندِّدَ بهِمْ ، ويسخَرَ مِنْ زُعمائِهم ورجالِهِم يتَنَقَّصَهُم. كما كانَ عليه أنْ يسعى في خيرِ قبيلته ممُهِّداً لهُم طريقَ السِّلْمِ إن جنحوا للسِّلْم ، وناشِداً لهُم الأحلافَ إن ابتغوا التَّحالُف ، مرغِّباً فيهِم ، محرِّضاً على أعدائهِم ، ومُثَبِّطاً هِمَمَ المتربِّصينَ بِهِمْ . فلاغَرْوَ إذنْ أنْ نجِدَ الشّاعرَ الجاهليَّ يفخرُ ويَمْدَحُ ، ويُهدِّدُ ويَهجو ، لكنّنا رأيناه يَفْخَرُ عادةً بنفسِهِ وعَشيرتِهِ وقبيلتِهِ الدُّنيا ، ويذمُّ الأفرادَ أو البطونَ من القبائلِ التي كانت بَيْنَه - أو بَيْنَ قبيلتِه - وبينَهُم عداوةُ وشَنَآن . وقلّما وَجَدْناهُ يعمُّ بالهجاءِ القبيلة الأُمَّ ، فهوَ إن هجا شَيْبانَ لايهجو وائِل ، وإن غَضَّ مِن بَكْرَ لا يَنْتَقِصُ ربيعةَ ، وقَدْ يذمُّ يَرْبوعَ ويمدَحُ دارِمَ . ويتعرَّضُ لتميمَ ولا يذكُرُ خندفَ ، فإنَّ الوُدَّ لَمْ يكُنْ ليدوم بينَ الحلفاءِ ، ولا الشَّحْناءَ بينَ الأعداءِ . وكَمْ وقَعَتْ مِن حَرْب بيْنَ أخوَيْن . وكَمْ أُبْرِمَ مِنْ حِلْفٍ بينَ مُتباعِدَيْن ، فكان مِنَ الأسْلَمِ ألاّ يتَعَرَّضَ الشاعِرُ إلا لمنْ ناصَبَه

العداءَ وحده تَوَقّياً وحيطَةً . لذلكَ كانَتْ قصيدَةَ الأَفْوَهِ الأوديِّ التّي مَطْلَعُها (١) :

إِنْ تَرَيْ رَأْسِيَ فيها قَزَعٌ وَشَواتي خَلَّةً فيها دُوارُ

والتّي يقول فيها :

يا بَني هاجَرَ ساءَتْ خُطَّةً أَنْ تَروموا النِّصْفَ مِنّاوَنُجارُ
سُنَّةٌ أَوْرَثَناها مَذْحِجٌ قَبْلَ أَنْ يُنْسَبَ لِلنّاسِ نِزارُ

ونَقيضَتُها للفِنْدِ الزِّمّانيِّ (٢) التي مطلَعُها :

أَشَجاكَ الرَّبْعُ أَقْوى وَالدِّيارُ وَبُكاءُ المَرْءِ للرَّبْعِ خَسارُ

والتّي يقولُ فيها :

لَمْ تَزَلْ قَحْطانُ عَنْزاً باحِثاً عَنْ مُدىً فيها لِقَحْطانَ بَوارُ
رَفَعَ اللهُ نِزاراً فَعَلَتْ بالعلى النّاسَ فَلِلباغي الصَّغارُ
إِنَّما قَحْطانُ فينا حَطَبٌ وَنِزارٌ في بَني قَحْطانَ نارُ
لَنْ تَنالوا مِنْ نِزارٍ مِثْلما مِنكمٌ نالَتْ مِنَ الذُّلِّ نِزارُ
نَحْنُ أَولادُ مَعَدٍّ ذي الحَصى وَلَنا مِنْ هاجَرَ المَجْدُ الكُبارُ

ظاهِرةً غَريبةً على الشِّعْرِ الجاهِليِّ لَمْ نَرَ لَها مَثيلاً ، على كَثْرَةِ ما كانَ بَيْنَ القَحطانيّينَ والعَدنانيّين من وَقائِعَ . فإنَّ ما جاءَ من الشِّعرِ في يَوْمِ خَزازَ(٣) ، وهوَ يومٌ لمَعَدٍّ على مَذْحِج ، ويومِ الكُلابِ

(١) ديوان الأفوه الأودي ـ ضمن كتاب « الطرائف الأدبية » ـ ص ١١ ـ ١٣ .
(٢) شعر الفند الزماني ص ١٠ ـ ١٧ .
(٣) لحديث يوم خزار ـ أو خزازى ـ انظر كتاب « أيام العرب قبل الاسلام » لابي عبيدة ج٢ ص ٢٩ ـ ٣٤ .

الثّاني (٤) ، لتَميمَ على مَذْحِج ، ويوم فَيْفِ الرِّيح (٥) ، بينَ مَذْحِج وبني عامرٍ ، وغيرها مِنَ الأَيّامِ ، لم نعرفْ فيه ذَمّاً أو مدحاً لمعَدَ أو قحطانَ عامّةً ، بل إقْتَصرَ الذِّكرُ فيه على أفرادٍ وقبائلَ بِعَيْنِهِم ، لم يتَعَدَّ ذلك إلى ما هوَ أَشْمَلُ . وقد كانَ للشّاعرِ الجاهلِيِّ في التَّخصيصِ والتَّحديدِ مَنْدُوحَةٌ عن الشمولِ والإحاطةِ ، مِمّا تَركَ المجالَ لرأْبِ الصُّدوعِ وساعَدَ على أن يسودَ حسنُ الجِوارِ بين قبائلَ من مَعَدّ وأخرى مِنْ قَحْطانَ ، بل عرَفْنا بينَهُم أَحْلافاً نَشأَتْ في الجاهِليَّةِ واستمرَّتْ في الإسلامِ إلى أوائلِ الدَّولةِ الأُمويَّة .

لذلكَ يمكنُنا القولُ إنَّ التفاخُرَ والتَّهاجي بينَ عدنانَ وقحطانَ كانَ مِنَ المواضيع السِّياسيَّةِ الجَديدَةِ التّي تناولَهـا الشِّعرُ العَرَبيُّ أيّامَ الدَّولةِ الأُمويّةِ وما بعد ذلكَ ، ولم يسبقْ أنْ طَرقَتْ أيّام الجاهليَّةِ إلاّ ما كان مِنْ قصيدتَي الأَفْوَهِ والفِنْدِ ، والأُولى يُنْكرُها الجاحظ (٦) ويؤكِّد أنَّها مصنوعة ، ممّا يدعو إلى الشَّك في الثّانيةِ أيضاً . ولنتأمَّلْ ما ذَكرَ المسعوديُّ في « المرُوجِ » (٧) عنْ طلبِ عبدِ الله بنِ معاويةَ بن جعفرِ بنِ أبي طالبٍ مِنَ الكُمَيْتِ بنِ زَيْدٍ أن يقولَ شعراً ، وكيفَ استجابَ الكُمَيْتُ لهذهِ الرَّغْبَةِ فقال قَصيدَتَه الطَّويلةَ التّي أوّلُها (٨) :

---

(٤) المصدر نفسه ج٢ ص ٧١ – ٩٤ .
(٥) المصدر نفسه ج٢ ص ٤٦٥ – ٤٧٠ .
(٦) كتاب « الحيوان » ج٦ ص ٢٨٠ – ٢٨١ ، غير ان ابا العلاء المعري يثبت القصيدة للافوه في « رسالة الغفران » ص ٢٩٧ . ويرى الاستاذ الميمني (الطرائف الادبية ص ٣) ان الجاحظ « كأنه خرق الاجماع » ..
(٧) « مروج الذهب » ج٣ ص ٢٣٠ .
(٨) القصيدة بشرح أبي رياش في « هاشميات الكميت » ص ٢٣٧ – ٣١٥ ملحقة بشرحه للهاشميات .

ألا حُيِّيتِ عَنّا يا مَدينا وَهَلْ بَأْسٌ بِقَوْلِ مُسَلِّمينا

وفَخرَ فيها بنِزارٍ وفضَّلَها على قَحطانَ وعَمَّ قبائلَ اليمَنِ فيها بالهِجاءِ والانتقاصِ ، فكانَ لها ما كانَ من أثَرٍ في إثارةِ الأَضغانِ بينَ معَدّ واليمن . فإذا قَرَنّا ذلكَ بما وصلَ إلينا (٩) من نَهْيِ الرّسولِ (ص) عنْ إنشادِ رائيَّةِ الأَفوهِ لما فيها من ذِكْرِ إسماعيلَ عليهِ السّلام ، فقَد نرى أَنّ من أسبابِ نَهْيِ الرّسول (ص) — إن صحَّ — تجنب إثارة الفتنة بين المسلمين ، إذ أنّ المهاجرين كانوا من العدنانيين ، والأنصار من القحطانيين .

وتحقَّقَ ما تَوخّى عبدُ اللهِ بن معاويةَ وتوقَّعَ ، فقد انبرى جماعةٌ منَ الشُّعراءِ اليمانينَ يردُّونَ على الكُمَيْتِ ، منهم المعاصرونُ لهُ ومنهم المتأَخِّرونَ ، ولمَ يُعْدِمِ الكُمَيْتُ مَنْ يُعاضِدُهُ ويناصرُهُ ويدافعُ عنه ، فانتَشَرَت القصائد الّتي تتعصَّبُ لعدنان ، ونقائضها الّتي تَحطِبُ في حبْلِ قحطانَ واليمنِ ، جاءَ شيءُ منها من بحرِ ورَوِيٍّ قَصيدةِ الكُمَيْتِ ، وجاء غيرُها من أوزانٍ وقوافٍ مخالفةٍ لها . ولسنا هُنا بصددِ تعدادِ هذه القصائدِ وتتبُّعِها ، بلْ إنَّ مايَعنينا من كُلِّ هذا قصيدةٌ قحطانيَّةٌ تُمجِّد اليمَنَ ، رائيَّةُ الرَّويِّ منَ البَحْرِ الكاملِ ، اختُلِفَ في قائلِها فقيلَ ابنُ المولى أَوْ حسانُ بن ثابتٍ أَو عبدُ الملكِ بنِ مُعاويةَ — أَو ابنِ عبدِ الرّحيمِ — الحارثيّ أو حُجَيْن بنُ حِجْرٍ الغَسّانيّ ونُسِبَتْ أَبياتٌ منها إلى عليِّ بنِ مُحَمَّدِ البَصْريِّ صاحِب الزَّنْجِ وإلى أعرابيٍّ . . . . ومطلَع هذه القَصيدَةِ :

أَنَسيمُ رِيقِكِ أُخْتَ آلِ العَنْبَرِ هـذا أَمِ اسْتِنْشاقَةٌ مِنْ عَنْبَرِ

---

(٩) « معاهد التنصيص » ج٤ ص ٩٥ .

وهي نادِرَةُ الوُجودِ لم يكُنْ يُحفَظ منها سِوى أبياتٍ مُتَفَرِّقة ، وسعى العلاّمة عبدُ العزيزِ الميمنيُّ رحمه الله باحثاً عنها فما وجد منها - على سَعةِ اطّلاعه - سوى أَحَدَ عَشَرَ بيتاً منثورات في المظانّ . وقد أرشَدَني الصَّديقُ الأُستاذ العالِمُ السَّيد إبراهيمُ شَبُّوح - من تونس الشَّقيق - إلى وُجودِ هذه القصيدةِ ضمنَ مجموعٍ مخطوطٍ في دارِ الكُتُبِ الوطنيَّةِ في تُونس يحملُ الرقمَ ١٥٨٨٨ ، وتكرَّمَ مشكوراً بتصويرِها وإرسالِها إليَّ ، كما هداني إلى وُجودِ هذهِ القصيدة أيضاً في « رِحْلَةِ العَبْدَرِيِّ » (١٠) ، فلهُ الفضلُ في نَشْرِ هذهِ القَصيدةِ الَّتي لولاهُ ما قُيض لها الظُّهورُ .

ولعلَّ أوَّلَ من نَظَمَ شِعْراً يتَغنّى بمفاخِرِ اليمنِ عامَّةً على وزنِ هذهِ القَصيدة ورويِّها كانَ علقَمَةَ بنَ ذي جَدَنٍ الحميريِّ (١١) ، فإنَّ له قصيدةً ذكر فيها ملوكَ قحطانَ وتبابعة اليمنِ منها :

أَيْنَ الذَّي بَلَغَ المَشارِقَ كُلَّها ... وَمَغارِبَ الأَرْضِ التَّي لَمْ تَعْمُرِ
وَبَنى عَلى يَأْجُوجَ رَدْماً رَصَّهُ ... بِالقِطْرِ لَمْ يُنْقَبْ وَلَمَّا يُظْهرِ
فَتَناوَلَتْهُ مَنِيَّةٌ قَصَدَتْ لَهُ ... فَأَجابَها وَمَضى كَأَنْ لَمْ يُذْكَرِ

* * *

أَوَما سَمِعْتَ بِقَيْلِ حِمْيَرَ يوسفٍ ... أَكَلَ الثَّعالِبُ لَحْمَهُ لَمْ يُقْبرِ
وَرَأى بِأَنَّ المَوْتَ خَيْرٌ عِنْدَهُ ... مِنْ أَنْ يَدِينَ لأَسْوَدٍ أَوْ أَحْمَرِ

---

(١٠) كتاب « رحلة العبدري » من تحقيق محمد الفاسي ومطبوعات جامعة محمد الخامس في الرباط سنة ١٩٦٨ .

(١١) هو علقمة ذو جدن او ابن ذي جدن الحميري ، وانظر عنه كتاب « ملوك حمير واقيال اليمن » هامش الصفحة الثانية .

(١٢) « ملوك حمير واقيال اليمن » لنشوان بن سعيد الحميري - ص ١٠٢ .

(١٣) المصدر نفسه - ص ١٤٩ .

وَلَمِيسُ كانتْ مِنْ ذُؤابةِ ناعِطٍ   يَجْبي إليْها الخَرْجَ ساكِنُ بربرِ
وَالصّامِخُ المَلِكُ المُتَوَّجُ بَعْلُها   ذُو التّاجِ حينَ يَلُوثُه والمِخْصَرِ

* * *

وعلقَمة بنُ ذي جَدَنٍ هذا كانَ يُسمّى « النَّوّاحة » أيضاً لأنّ شعرَه كلَّه مَراثٍ في حِمْيَرَ وقصورِها وملوكها ، وكانَ مُخَضْرَماً أدركَ الإِسلامَ . وقصيدتُه اقتصرَتْ على ذِكْرِ أمجادِ اليمنِ وملوكها ، لم يتعرَّضْ فيها لِنِزارَ ولا ذَكرها بخيرٍ أو بشرٍّ .

وقد تَبِعَ الشُّعراءُ اليمانيُّونَ خُطا علْقَمَةَ هذا فنظموا على وزنِ قصيدتِه ورويِّها ، فرَأَينا في « تَهْذيبِ اللُّغَةِ »(١٥) بيتاً غيرَ منسوبٍ يُوحي أنَّهُ مِنْ كلمةٍ على هذا النَّمَطَ هو :

قَحْطانُ تضْرِبُ رأْسَ كُل متوجٍ   وَعَلى بَصائِرِها وإنْ لَمْ تُبصْرِ

ولِنَشْوانَ بن سعيدٍ الحمْيَري ، وهو متأخِّر (١٦) ، قصيدةٌ مُماثِلةٌ يقولُ فيها :

مِنّا التَّبابِعَةُ اليْمانُونَ الأُلى   مَلكوا البسيطَةَ سَلْ بِذلك تُخْبَرِ
مِنْ كُلِّ مَرْهُوبِ اللِّقاءِ مُعَصَّبٍ   بِالتّاجِ غازٍ بالْجُيوشِ مُظَفَّرِ
تَعْنُو الوُجوهُ لِسَيْفِهِ وَلِرُمْحِهِ   بَعْدَ السُّجُودِ لِتاجِهِ والمْغفرِ
يا ربَّ مُفْتَخِرٍ ، وَلَوْلا سَعيُنا   وَقيامُنا مَعَ جَدِّهِ لَمْ يَفْخَرِ

---

(١٤) المصدر نفسه ــ ص ١٧٩ ، و « الاكليل » للهمداني ــ الكتاب العاشر ــ ص ٤٣ .

(١٥) « تهذيب اللغة » للأزهري مطابع سجل العرب ــ القاهرة ٦٤ ــ ١٩٦٨ ، ج ١٢ ص ١٧٨ ، والبيت في «لسان العرب» (بصر) أيضا .

(١٦) توفي نشوان سنة ٥٧٣هـ ، وانظر « دراسات عربية واسلامية » التي أهديت الى محمود محمد شاكر بمناسبة بلوغة السبعين .

فافْخَر بقَحْطانٍ على كُلِّ الورى ... فَالنّاسُ مِنْ صَدَفٍ وهم من جوهر
وَخِلافَةَ الُخلفاءِ نَحْنُ عِمادُهـا ... فَمتى نَهِمَّ بِعزْلٍ والٍ نَقْدِرِ
مِثْل الأمينِ أو الرشيد وَفَتْكِنا ... بِهِما،وَمِثْلَ ابْنِ الزُّبَيْرِ القَسْور
وإذا غَضِبْنا غَضْبَةً يَمَنِيَّةً ... قَطَرَتْ صَوارِمُنا بموْتٍ أَحْمرِ(١٧)

وكلُّ هذهِ القصائِد قيلَتْ بعدَ ظهور العصبيَّةِ والتّهاجي بينَ مَعَدٍّ واليَمن ، أيْ بعدَ أنْ قال الكُمَيْتُ قصيدتَهُ النُونيَّةَ المشهورة ، فلهذا نَجِدُ أنّها تطرّقَتْ ـ بشكلٍ مباشرٍ أو غير مُباشرٍ ـ إلى الشُمولِ في المدْح والذّمّ . ولعلّنا يمكننا القول إنَّ هذهِ القافيةَ وهذا البحرَ كانا مَطِيَّةَ شُعراء عِدَّة قالوا في التّفاخُرِ والمنافَرَةِ بينَ قَحطانَ وعَدْنانَ ، ولعلّنا يمكننا أنْ نَعُدَّ قصيدتَنا مِنْ جُملةِ هذا الّذي قالوه ، أيْ أنّها ليسَتْ ذاتَ تميُّزٍ وتفرُّدٍ كَقصيدَتَي آلأفْوَهِ والفِنْد ، بلْ هي مِنْ هذهِ القصائدِ التي شاعَتْ في العصرِ الأمويِّ وما بعدَهُ واستمرَّتْ إلى أواخرِ القرنِ الهجريِّ الماضي ، وقيلت انتصاراً لقحطان أو لعدنان .

والقصيدَةُ ـ كما أسلَفْنا ـ اختُلِفَ في قائلها ، فمخطوطة دار الكتب الوطنية في تونس تَنْسِبُها إلى « حُجَيْنِ بنِ حِجْرٍ الغَسّانيِّ » ، وقد جاءَ في « الحَماسَةِ البَصْرِيَّة » (١٨) أنَّ القصيدةَ تُرْوى لِحُجَيْنِ ابنِ حِجْرٍ الغَسّانيِّ أيضاً . ولَمْ أقَعْ على خبرٍ لِحُجَيْنِ بنِ حِجْرٍ هذا

(١٧) تسمى قصيدته هذه « الدامغة » ونشرها القاضي اسماعيل بن الأكوع في المرجع السابق (ص ١١٧ ـ ١٢٠) وهي ٧٤ بيتا ونشر نقيضتها للداعي الحسن بن ادريس بن علي بن ادريس الاسماعيلي المعروف بالأنف (ص ١٢١) وأول هذه النقيضة :
نشوان مفتخر بقحطان على ... عدنان جهلا بالعلى والمفخر
(١٨) « الحماسة البصرية » لصدرالدين بن ابي الفرج البصري ـ ج ١ ص ٢٠ .

مَعَ طولِ ما بحثْتُ عنْهُ وسألْتُ ، إلاّ أنَّ مخطوطَةَ تونُسَ تُشيرُ إلى أنَّ القصيدةَ مِنْ إنْشادِ « الصّاحِبِ رحمهُ الله » . والصّاحبُ إسماعيلُ ابنُ عبّادٍ تُوفِّيَ سنةَ ٣٨٥هـ . على أنَّ أوائلَ مَنْ وصَلَتْ إلينا عنهم روايَةٌ لبعضِ أبياتِ القصيدةِ أقْدَمُ مِنَ الصّاحبِ ، أوّلُهُم ابنُ دُرَيْد المتوفّى سنة ٣٢١ هـ ، الذّي نقَلَ القالي في أماليهِ (١٩) أنَّه قرأَ بعضَ أبياتِها عليْهِ ، وكانَتْ رِحلةُ القالي إلى الأندلُسِ سنة ٣٣٠ هـ ، أي بعدَ وفاةِ ابن دُرَيْد . فإنْ صحَّت القصيدةُ كُلُّها لِحُجَيْنٍ ، فهو ممَّنْ عاشوا قبلَ أوائل القرن الرابع الهجريِّ ، وانْ لَمْ تَصِحَّ لهُ كُلُّها ، فقدْ عاشَ — دون شكٍّ — قبل وفاةِ الصّاحبِ .

أمّا العَبْدَرِيُّ فيقولُ في « رِحلَتِهِ » (٢٠) : « وأنشدني (٢١) مِنْ حفظِهِ قصيدةً لم أقِفْ عليْها تامَّةً ، وأنشدَ مِنها أبو عليٍّ في نَوادِرِهِ (٢٢) أبياتاً ولم ينسبْها هي قولُه .

يلْقى السُّيوفَ بِوَجْهِهِ وبنحره ...

الأربعةُ الأبياتُ . وكذلك أنشدَها أبو عُبَيْدٍ البَكْرِيُّ في كتابِ « التَّدْريبِ » (٢٣) غيرَ منْسوبَةٍ إلاّ لإنشادِ العُتْبِيِّ . ووصَلَها بأبياتٍ ونسبها في كتابِهِ « اللآلي »(٢٤) لابنِ المَوْلى وهوَ مُحَمَّدُ بنُ عبد الله مُسْلِمٍ مولى بني عمرو بن عَوْفٍ ... » — (الأنصاريِّينَ) . ثُمَّ يذكر أنه أثبت القصيدةَ بجملتِها لحسنِها وإعوازِها ...

(١٩) « الأمالي » لأبي علي القالي — ج ١ ص ٤٣ .
(٢٠) رحلة العبدري — ص ٢٠ .
(٢١) يفهم من نص الرحلة أن المنشد هو الشاعر ابن خميس التلمساني .
(٢٢) الأبيات الأربعة مذكورة في أمالي القالي ، وليست في نوادره .
(٢٣) « كتاب التدريب والتهذيب ، في ضروب أحوال الحروب » للبكري ، ذكره في « معجم ما استعجم » ص ٦٣٧ .
(٢٤) « اللآلي في شرح أمالي القالي » لأبي عبيد البكري — ص ١٨٢ .

وابنُ المَوْلى منْ شُعراءِ الدَّوْلَتَينِ ، وتجوزُ لهُ القَصيدةُ بكامِلِها ، فهوَ متقدِّمٌ ومِنْ مَوالي القَحطانيِّينَ . وقد نَسَبَ القصيدَةَ إليه أَيضاً كلٌ من ابن هُذَيْلٍ الأنْدَلُسِيِّ في « حِلْيَةِ الفُرْسانِ » (٢٥) وصاحب « تمثالِ الأمْثالِ » (٢٦) .

كما أنّنا نَجِدُ أَحد أبياتِ هذهِ القَصيدَةِ في كتاب « وَفَياتِ الأَعْيانِ » (٢٧) منسوباً إلى ابن المَوْلى مِنْ ضمن كَلِمَةٍ لهُ في مدْحِ يَزيدَ بنِ حاتِمٍ . ممّا يجعلُنا نَقِفُ متأمِّلينَ قبلَ أَنْ نعزُوَ كاملَ القَصيدَةِ إلَيْهِ .

وإذا أَعدنا النظر في القصيدة وفي شعرِ ابنِ المَوْلى الذي يرْويهِ لنا الأصفهانيُّ في « أَغانيهِ » (٢٨) ازدادَ شكُّنا في أَن تكونَ القصيدةُ بكامِلِها له . فشِعْرُهُ أَشدُّ أَسراً وأقلُّ مُحسِّناتٍ لفظيَّةً من معظم أَبياتِها .

ثُمَّ نرى أنَّ أبياتاً منها نُسِبَتْ إلى عَليِّ بنِ مُحَمَّدٍ البَصْرِيِّ صاحب الزِّنْجِ في « البَصائِرِ والذَّخائِرِ » (٢٩) و« صُبْحِ الأَعْشى » (٣٠) و « مَجْوعَةِ المعاني » (٣١) . والقصيدةُ لا تجوزُ له بكامِلِها ، فهي فخْرٌ بقحطانَ . وصاحبُ الزِّنْجِ قُرَشِيٌّ عَلَويٌّ كما كان يدَّعي .

---

(٢٥) ص ٢٣٠ . وفيها : وقال محمد بن مسلم يمدح رجلا .

(٢٦) كتاب « تمثال الأمثال » لأبي المحاسن العبدري الشيبي — ج ١ ص ٣٠٤ — ٣٠٥ .

(٢٧) « وفيات الأعيان » لابن خلكان — ج ٦ ص ٣٢٥ — ٣٢٦ .

(٢٨) « الأغاني » لأبي الفرج الأصفهاني — ج ٣ ص ٢٨١ — ٢٩٨ .

(٢٩) « البصائر والذخائر » للتوحيدي — ج ٤ ص ٦٦ .

(٣٠) « صبح الأعشى في صناعة الانشا » للقلقشندي — ج ١٣ ص ٢٠٥ .

(٣١) « مجموعة المعاني » لمجهول — ص ٣٤ — ٣٨ .

ونجدُ صاحبَ « الحماسَةِ البَصْرِيَّة » (٣٢) ينسبُ بعضَها إلى عَبْدِ المَلِكِ بنِ مُعاوِيَةَ الحارِثيِّ (أمويّ الشعر ؟) ، ولم أعرِفْه . ويعزو صاحبُ « الفَوائدِ المَحْصورَةِ » (٣٣) بيتاً منها إلى عَبْدِ المَلِكِ بنِ عَبْدِ الرَّحيمِ الحارِثيِّ ، فلعلَّ ما جاءَ في « البَصْرِيَّة» وَهْمٌ .

وفي « نِهايَةِ الأربِ » (٣٤) أحدَ عشرَ بيتاً من هذه القصيدة عزاها النُّوَيْرِيُّ إلى بعض الشُّعراءِ ، وقال إنّها تُروى لحسّان . ومعظُمها ليس منْ نِجارِهِ ، على أنَّ هُناك بيتَيْنِ منها في ديوانه (٣٥) أثبتهما الجامعُ من مصادرَ متعدِّدَةٍ ، كلُّها تَرويهما لحسّان .

أمّا بقيَّة المظانِّ التي حوتْ شيئاً مِنْ أبياتِ هذهِ القصيدةِ فلَمْ تعزُها إلى أحدٍ أو عزَتْها إلى أعرابيٍّ ، فلا فائدَةَ منها في تحديد قائلِ القصيدة ، إلاّ ما جاءَ في كتاب « المحاسِنِ والمساوِىء » (٣٦) ، فهوَ من أقدم المصادر التي احتوتْ على أبياتٍ منها ، فالبَيْهَقيُّ عاشَ زمنَ المقتدرِ (٢٩٥ — ٣٢٠ هـ) . وإذا أمْعَنّا النّظر في القصيدة وتركيبها وأسلوبها وألفاظها ، كِدْنا نجزم — كما جزَمَ مِنْ قَبْلُ العلامَةُ الميمَنيُّ ، رحمه الله — (٣٧) أنّها ليستْ لابنِ المولَى ولا لأعرابي ولا لحسّان ولا للعلَوِيِّ ، — وأُضيفُ : ولا لعبْدِ الملكِ بنِ عبد الرَّحيم الحارِثيِّ — فإنْ صحَّ شيءٌ منها لأحدِ هؤلاء ، فإنَّما هي أبياتٌ مُلْحقَةٌ بالقصيدة اصْطَرَفَها قائلُها المتأخِّرُ زمناً ، ولعلَّه حُجَيْنُ بنُ حِجْرٍ المذكورُ أو غيرُهُ من الشُّعراءِ الذينَ حطَبوا في حَبْلِ قَحطانَ واليَمَنِ .

(٣٢) « الحماسة البصرية » — ج ١ ص ٢٠ .
(٣٣) الفوائد المحصورة في شرح المقصورة » لابن هشام اللخمي — ص ٢٣٦ .
(٣٤) « نهاية الأرب في فنون الأدب » للنويري — ج ٣ ص ٢٠٣ .
(٣٥) « ديوان حسان بن ثابت » تحقيق د. وليد عرفات — ج ١ ص ٤٨٢ .
(٣٦) « المحاسن والمساوىء » لابراهيم بن محمد البيهقي — ج ٢ ص ٢٦٠ .
(٣٧) «اللآلي في شرح أمالي القالي» ص ٢٨٧ — الحاشية .

أمّا الرِّوايتان الكامِلتان للقَصيدَةِ اللتانِ وَصَلَتا إلينا ، فَبينهما اختلافٌ في عددِ الأبياتِ وروايةِ الأبياتِ ، فَهيَ في المخطوطَةِ مِن اثْنَيْنِ وثلاثين بيتاً ، وفي رحلة العَبْدَرِيِّ من خَمسةٍ وثَلاثينَ ، بينها أربعةٌ وعشرون بيتاً مشتركاً ، فيكون مجموعُ أبياتِ القصيدة التي بينَ أيدينا ثلاثةً واربعين بيتاً ، لذلك لَمْ أَعتمِدْ أيّاً من الرِّوايتَيْنِ على أنّها الأصلُ ، وفضَّلْتُ أنْ أَتّبِعَ أُسلوبَ (الأَصْلِ المختار) مُنْتقياً خيرَ الرِّوايات في نظري ، مع ذكر الخِلاف في الرِّواية – إنْ وُجِد – ، واستعنتُ كثيراً في اختياري بالرِّواياتِ المتعدِّدَةِ للأبياتِ التي وقَعْتُ علَيْها من هذه القصيدةِ في المظانِّ ، ورُبّما فضَّلْتُ إحداها على نصِّ الرِّوايتَيْنِ الكاملَتَيْنِ ، وقد بيَّنْتُ ذلك كُلَّهُ في الحواشي ، مع تعاليق توضيحيةٍ أرجو أَنْ أكون خدمْتُ النّصَّ بها بما يزيدُ في المنفعَةِ وييسّرُ الإفادة منه .

وصف المخطوط التونسي :

المخطوطُ مجموعٌ نفيسٌ من مخطوطات المكتبة الأحمديّةِ ، كان رقمُهُ القديمُ ٤٥٦١ ويحملُ حالياً في دار الكتب الوطنية التونسيَّةِ رقم ١٥٨٨٨ .

وهو مجلّدٌ يحتوي على ثلاثةِ كُتُبٍ ، أوّلُها « الواضحُ في مشكلات شِعْرِ أبي الطَّيِّب المتنبيِّ » لأبي القاسم عبدِالله بنِ عبدِالرَّحمنِ الأصفهانيِّ ، ويشملُ الأوراق التّسْعَ والعشرين الأُولى ، وثانيها مُنْتَخباتٌ أدبيَّةٌ مِنَ الشِّعْرِ والنَّثْرِ بخطِّ ناسخِ الكتابِ الأوّل ، لعلّها من اختيارِ أبي القاسم أيضاً ، وتقع هذهِ المختارات في تسعٍ وتسعينَ ورقةً (من الورقة ٣٠ – ١٢٨) ، وثالثُها كتابٌ بخطّ مخالفٍ هو « سِرُّ الصِّناعةِ » (في الانشاء والتَّرسُّلِ) لأبي منصورِ عبد القاهرِ بنِ طاهرِ التَّميميِّ البغداديِّ ، ويشتَمِلُ على الأوراق التّسْعِ والعشرين الأخيرَةِ مِنْ هذا المجلَّدِ .

ومقياسُ المخطوطةِ ٢٠ × ١١ سم ، ومسطَرةُ الجزْءِ الأَوَّلِ والثّاني منها ٢٨ سطراً في الصَّفحةِ الواحدةِ ، أَمَّا الجزءُ الثّالثُ فمسطرتُهُ ٢٢ سطراً . وخطُّها نسخيٌّ مشكولٌ ، تغلبُ عليهِ الصَّحّةُ ، لعلَّهُ من خُطوطِ القرنِ الخامسِ الهجريِّ .

وتقع القصيدة المحقَّقَةُ في الورقةِ الثّالثَةِ والسَّبْعينَ من هذا السِّفرِ – وجهاً وظهراً – أيْ في الجزءِ الثَّاني منهُ – المنتَخباتُ الأدبيَّة .

وفيما يلي صورتان لوجه الورقة ٧٣ وظهرها من المخطوطةِ ، وفيهما نصُّ القصيدة .



[illegible]

حلا [illegible] ولنبلغه ما ذكرنا [illegible]

كتب ابو بكر الخوارزمي الى [illegible]

[illegible] ولقد كنت [illegible]

[illegible]

أو دعتنو تحمالة مهج مخوفة أو كنت جمتها بطرف أحور

ونشرن فرعا فوق بدر زاهر وطوين دملج خشية مضمر

فولي الطرف أن يرد حسن الحسناء طوان يرى آن الهوى كم المحور

ان كنت جاهلة بما في وجهه خدي من ابتل اللظى فانظري

والهوى حما الدار بعد منازل فنال فوقك سطوة من معشر

ان من النفر الذين جيادهم طلعت على يثرب وفتح صحصر

ننشر نسعا ما النوف اثاره حتى تنشف فوق هامة قيصر

وسلبن تاج الملك غصبا بالقنا واخرن باب الدرب درب الأصفر

لنا من كهلان ارباب العلى سبوا الملوك عموم منى من حمير

فدنا من اليمن الجياد لما استشجى اخبون بالصين مهجة يعفر

فتهيت بلاد الصين البيض التي ضربت ها كسرى صبيحة شمر

وطوين ما بين الشام وما بين الحارث الحراب وابن المنذر

وطوت سم قنا بكل منقف لهم باحشاء النوافر اسمر

وطوين يوم للفتح شرها ماهرا ونشرن رايات الهدى بخيبر

وطلعن من رهو وحنين بلوما تحملن كل اسلل حرب مسعر

ما ان يريد اذا الرماح شجرنه درعا سوى سربال طيب العنصر

سلق السيوف بصدره وبنحره وبلبنه هامته مقام المغفر

ويكون للطرف امتطى لنبا القنا بعفر مذ لان المحذار من تعفر

واذا انا ما تحص منيف منبل منشر لا اتى ام يحمل العنبر

اوما الى الكوماء منا المارق لحرشي الاعدا ان يجرر

هنا ان نوم ما عهدت معالمنا الا منتت على نابت المحجر

فاذا اردت فما لنا اسد الشرى ندع الرماح للاتي والاشعر

مثل الحبيبة الزرق انا حافرا هلا بانذا اسطر لطعنة مستهر

كم قد تكلنا من شنئوفنشور كرام الاطيان كورببع مهنطر

شك كنف انامله نشام من كنعبتس ما بكن ذروة منبر

قسمت فسير اجرينا عزه لرماه تكشف ارماحنا جعفر

ولقد اتيناه ذكر حرب غمار فجئت واكرهنا القنا عن يعفر

عطاب الرناه هو دعد ما بنا اعنينا عن ولاده تبسم

ولنا ببعض مسلكة من بحر ما يدعون حضورها تحضر

واذا اردت بان تعد ستعا بيننا فمثل النواظر بالسماك الأزهر

عمل
عيسى الرماح العاملي مدح الوالد على المكين علي

تخريجُ القصيدة :

الأبياتُ ١–٥ ، ١٩–٢٣ ، ٢٥ – ٣١ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٤١ – ٤٣ في المخطوطة التونُسيَّةِ (ق ٧٣) لحُجَيْنِ بنِ حِجْرٍ الغسّانيّ .

والأبياتُ ١ – ٣ ، ٥ ، ٧ – ١١ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٦ – ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٠ – ٣٥ ، ٣٧ – ٤٢ في رِحلَةِ العبدَريّ (٢٠ . ٢١) لابنِ المَوْلى .

والأبياتُ ١ ، ٥ ، ٧ ، ٨ ، ١٠ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ في نِهايَةِ الأرَبِ (٣ – ٤٠٣) لبعض الشعراء وتُروى لحسّان

والأبياتُ ٣٠ ، ٣١ ، ٢١ – ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ في زَهرِ الآدابِ (٨٤٥) لأعرابيٍّ . وفي المخُتار مِنْ شِعْرِ بَشّارِ (١٧٩) دون عزوٍ ، وفي طِراز المجالِسِ (١١٨) دونَ عزو .

والأبياتُ ٣١ . ٢٢ . ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ في ديوان المعاني (١ – ٤٧ ، ٢ – ٦٥ – ٦٦) لبعض الإسلاميّين

والأبياتُ ٢٢ – ٢١ . ٢٣ . ٢٥ ، ٢٦ في الحماسة البصريَّة (١ – ٢٠ – ٢١) لعبدالملك بنِ مُعاوية الحارثيّ او لُحجَيْنِ بنِ حِجْرٍ الغَسّانيّ .

والأبياتُ ٢٢ – ٢٣ . ٢٥ . ٢٦ ، ٢٤ في تمثال الأمْثالِ (٣٠٤ – ٣٠٥) لابنِ المَوْلى والاولان له في حلية الفرسان (٢٣٠)

والأبياتُ ٢٢ . ٢٣ . ٢٥ . ٢٦ في أَمالي القالي (١–٤٣) دونَ عزوٍ ، والمستطرَفِ (١ – ٢٣٢) دونَ عزو .

والأبيـاتُ ٣١ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٦ في المحاسِنِ المساوِىء (٢–٢٦٠) دونَ عزو .

والأبياتُ ٢٢ . ٢١ ٢٣ في الغُرَر والعُرَرِ (٣٢٦) دون عزو .

والأبياتُ ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ في صُبْحِ الأَعْشى (١٣ ـ ٢٠٥) للعَلَوِيِّ البَصْرِيِّ صاحب الزَّنْجِ .

والبيتانِ ٢٢ ـ ٢٣ في مَجْوعَةِ المعاني (٣٨) للعَلَوِيِّ البَصْرِيِّ ، وفي الصِّناعَتَيْنِ (٢٣٧) دونَ عزو .

والبيتانِ ٢٥ ـ ٢٦ في ديوانِ حَسّان (١ ـ ٤٨٢) له ، وفي مَجْموعةِ المعَاني (٣٤) للعَلَوِيِّ البَصْرِيِّ ، والمصباْحِ (٩) دونَ عزو ، واللالىء (٢٨٧) دونَ عزو .

والبيتانِ ٢٢ ، ٢٤ في اللالىء (١٨٢) لأبنِ المَوْلى .

والبيتُ ٢٢ في الفَوائِدِ المحْصورَةِ (٢٣٦) لعبدالملك بنِ عَبْدِالرَّحيم الحارثيِّ .

والبيتُ ٢٦ في شَفاءِ الغَليل (٣٩) دونَ عزو .

والبيتُ ٢٤ في وَفياتِ الأَعْيانِ (٦ـ٣٢٦) لابنِ المَوْلى آخر أبياتٍ اربعةٍ في مدحِ يزيدَ بن حاتِمٍ ليستْ من القصيدة .



القصيدة :

١ـ أَنَسيمُ رِيقِكِ أُخْتَ آل العنبرِ هذا أَم استِنْشاقَةٌ مِنْ عَنْبَرِ
٢ـ وَنِظامُ ثَغْرٍ ما أرى أمْ لَمْحَةٌ مِنْ بارِقٍ أَمْ مَعْدِنٌ مِنْ جوهرِ
٣ـ أَوْدَعْتِني وَجمالُ وجْهك حرقةً أذْكَيْتِ جَمْرَتَها بِطَرْفٍ أَحورِ
٤ـ ونَشَرْتِ فَرْعاً فوْقَ بَدْرٍ زاهرٍ وطوَيت وصْلكِ تحتَ كشحٍ مضمرِ
٥ـ قُولي لِطَرْفكِ أن يرد عن الحشا سَطَواتِ نيران الهَوى ثم اهجري
٦ـ إن كنتِ جاهلةً بِما في جسْمِهِ فَخُذِي سَرابِيلَ الضَّنا ثم انظري
٧ـ وانْهيْ جمالكِ أن يصيبَ مقاتلي فتَنال قوْمكِ سطْوَةٌ منْ معشري
٨ـ إنّي منَ النفرِ الذين جِيادُهُمْ طَلَعَتْ على بُصْرى بريحٍ صَرْصَرِ
٩ـ فأثَرْنَ نَقْعاً ما انْثنتْ أَثْناؤُه حتّى تَثَنَّتْ فوق هامة قَيصَرِ

---

١ ـ في نهاية الأرب :
انسيم ريك أم خيار العنبر ياهذه أم ريح مسك اذفر
٢ ـ في الرحلة : ثغرك ، نرى ، لمعة ، وفي المخطوطة : انظام .
٣ ـ في الرحلة : الهبت .
٥ ـ في الرحلة : لدغات (ولعل صوابها : لذعات) ، اهجر (هكذا دون ياء . والرحلة تحذف جميع الياءات في نهاية الأبيات من هذه القصيدة ، وهي كتابة جائزة) . وفي نهاية الأرب : لطيفك ان يصد ،نيران الأسى .
٧ ـ في الرحلة : فتصيب قومك . وفي نهاية الأرب : وانهي رماتك أن يصبن ، فينال .
٨ ـ في الرحلة : من القوم ، هبت ، كسرى . وفي نهاية الارب : انا ، كسرى . واخترت بصرى لأن مايلي مباشرة يتناول الروم . وفتح بصرى الشام خالد بن الوليد في مقاتلته الذين جاء بهم من العراق (الكامل ٤٠٩/٢) ، ولا فخر لقحطان خاصة في فتح بصرى ولا في حرب كسرى ، فقد شارك القحطانيون والعدنانيون فيهما ، وكانت القيادة للعدنانيين في الغالب .
٩ ـ في المخطوطة : فنشرن نقعا ما التوت ـ واخترت : فأثرن لكونها في التنزيل (فأثرن نقعا) ، واخترت : انثنت أثناؤه لزيادة الجناس في البيت لما رأيت للشاعر من تتبع للمحسنات اللفظية في كثير من أبيات هذه القصيدة . وما ذكرت في تعليقي على حرب كسرى يسري على حرب قيصر ايضا .

١٠– وسلَبْنَ تاج الملكِ غصْباً بالقَنا	وَأَجزْنَ بابَ الدَّرْبِ دَرْبَ الأَصْفَرِ
١١– آباءِ منْ كهلانَ أَرْبابِ العُلى	وَبَنو المُلوكِ عُمومَتي مِنْ حِميرِ
١٢– قُدْنا من اليمن الجياد فما انثنتْ	حتّى احْتَوَتْ بالصِّين مهجة يعبُرِ
١٣– ضَرَبتْ بلاد الصِّين بالبيض التَّي	ضَرَبَتْ بها كِسْرى صَبيحة تسْترِ
١٤– وَطَوَيْن ما بَيْن الشَّآمَ وفارسٍ	بالحارثِ الحَرّابِ وَابْنِ المُنْذرِ
١٥– وَطَوَتْ سَمَرْقَنْداً بكل مثقَّف	لَهِج بأَحْشاءِ الفَوارِسِ أَسْمَرِ
١٦– أَوْلادُ جَفْنَةَ مَعْشَري وكأَنهمْ	آسادُ غِيلٍ فَوْقَ خَيْلٍ ضُمَّرِ
١٧– وَطئتْ ببدْرٍ منْ قريشٍ خَيْلُنا	ساداتها تَحْتَ القَنا المُتَكَسِّرِ

---

١٠ – في الرحلة : فسلبن ، آل الأصفر . وفى نهاية الأرب : وسلبن تاجي ملك قيصر بالقنا ، واجتزن ، لابن الأصفر والدرب جبل بين عمورية وطرطوس ذكره امرؤ القيس بقوله : « بكى صاحبى لما رأى الدرب دونه » . وما عرفت فخرا خاصا لقحطان متعلقا به .

١١ – في الرحلة : آبائي (ولا يستقيم بها الشعر) ، ارباب الورى . وآباء في البيت بحذف ياء المتكلم كما جاء في التنزيل : (ربي اكرمن) . ولم أفد من هذا البيت في ترجيح نسبة القصيدة ، لأن الأنصار وغسان وبني الحارث بن كعب كلهم من كهلان .

١٢ – يعبور اسم ملك الصين ومعناه ابن السماء (مروج الذهب ١٥٨/١) ، وهو يعفور في الكامل (٣١٩/٧) مع النص على وروده في نسخة لعمرو . وكان قائد العرب المنتصر على ملك الصين في معركة اطلس (أو طازار) يزيد بن صالح الحارثي ، فهذا فخره بغزو الصين .

١٣ – في الرحلة : ضربوا (في الموضعين) . وقد عرفنا فخر الشاعر بفتح الصين ، أما فخره بتستر فان ابا موسى الأشعري كان على البصرة ، فأمره عمر بارسال بعث الى تستر ففعل ، وكان هو مع البعث على أهل البصرة .

١٤ – في الرحلة : والامن (لعلها : لاءمن) بدلا من : وطوين . وفيه ايضا : بالحارث الجفني .

١٦ – اولاد جفنة غسانيون من ملوك الشام .

١٧ – يفخر بانتصار المسلمين على قريش يوم بدر ، وكان أكثر المسلمين من الأنصار ، غير أنه لم يكن لهم خيل في ذلك اليوم .

١٨– وَنصَرْنَ في الأحزاب حزب مُحَمَّدٍ وَكَسَوْنَ مُؤْتَةَ ثوبَ موْتٍ أَحْمَرِ
١٩– وَطَوَيْنَ يَوْم الفَتْحِ شرْكاً ظاهراً وَنشرْن أَثْوابَ الهُدى في خَيْبَرِ
٢٠– وَطلعنَ منْ رَجَوَيْ حنين شزَّباً يَحْمِلنَ كلَّ سليلِ حرْبٍ مسْعَرِ
٢١– ما إن يريدُ إذا الرِّماحُ شَجَرْنَهُ دِرْعاً سِوى سِرْبالِ طيبِ العُنْصُرِ
٢٢– يَلْقى السُّيوفَ بوَجْهِهِ وَبنحرْهِ وَيُقيمُ هامَتَهُ مَقامَ المِغْفَرِ
٢٣– وَيَقولُ للطِّرْفِ اصْطبرْ لشبا القنا فَعَقَرْتُ رُكْنَ المجد إن لمْ تُعْقَرِ
٢٤– وإذا الفَوارس عَدَّدَت أَبطالها عَدُّوه في أَبْطالِهِمْ بِالخِنْصَرِ
٢٥– وَإذا تَأَمَّلَ شَخْصَ ضَيفٍ مقبل مُتَسَرْبِلٍ أَثْوابَ مَحْلٍ أَغْبَرِ

---

١٨ – كان معظم المسلمين في غزوة الخندق (الأحزاب) من الأنصار . أما يوم مؤتة فكان عبدالله بن رواحة الانصارى ثالث الامراء الذين استشهدوا فيـه .

٢٠ – في الرحلة : من ارجا حنين شرفا .

٢١ – في الرحلة وزهر الآداب والمختار : تشاجرت . وفي المحاسن والمساوىء: ما ان يزال ، متسربلاً سربال .

٢٢ – في المخطوطة والمستطرف : بصدره . وفي المختار : الرماح . وفي المحاسن والمساوىء : الرماح بصدره . وفي ديوان المعاني ونهاية الأرب: الرماح بوجهه وبصدره .

٢٣ – في الصناعتين وديوان المعاني ونهاية الارب وصبح الاعشى : فهدمت ركن .

٢٤ – في وفيات الاعيان – من شعر لابن المولى في مدح يزيد بن حاتم لا علاقة له بالقصيدة هذه – عدوك .

٢٥ – في ديوان المعاني والمختار والمصباح : سربال ليل . وفي القالي : اثواب عيش (وفي نسخة : محل) . وفي صبح الاعشى : طارفا متسربلا سربال ليل . وفي نهاية الارب : سربال ثوب . وفي ديوان حسان : محل مقفر . وفي زهر الآداب وتمثال الامثال : سربال محل . وفي المستطرف: واذا تراءى شخص . .

٢٦– أَوْما إلى الكَوْماءِ هـذا طـارِقٌ نَـحَرَتْنِـيَ الأعْداءُ إنْ لَـمْ تُنْحَري

٢٧– غَسّان قَوْمي ما عَدَدت فعالهُـمْ إلاّ مَشَيْتُ عَلى رِقابِ المَفْخَرِ

٢٨– فإذا أَرَدْتَ بأَن ترى أُسد الشَّرى فَدَعِ الرِّماحَ لِطَيِّءٍ والأشْعَـرِ

٢٩– سائِل بِفَيْفِ الرِّيحِ عنّا عامِراً هَلْ باتَ ذا سَهَرٍ لطَعْنةِ مُسْهِرِ

٣٠– كَمْ قَدْ وَلَدْنا من رئيس قسورٍ دامي الأَظافِرِ أَوْ رَبيعٍ مُمْطِرِ

٣١– سَدَكَتْ أَنامله بِقائمِ مرْهفٍ وَبِنَشْرِ فائِدَةٍ وَذرْوَةِ مِنبَـرِ

٣٢– إنْ مَرَّ يَوْمٌ لَمْ يفدْ أُكرومـةً يَعْلو الأَنامَ بِبعْضِها لَمْ يُعْذَرِ

٣٣– نَحْن الذين نُذِلُّ أَعْناق العِدى وَنُعِزُّ بِالمَعْروفِ ذُلَّ المُعْسِرِ

٣٤– نرْعى الجوارَ ولا نجور على الورى وَيَبيت فينا الوَفْرُ غَيْرَ مُوَفَّـرِ

---

٢٦ – في الرحلة وزهر الآداب والمحاسن والمساوىء والمستطرف وديوان المعاني والمصباح ونهاية الارب : تنحر . وفي اللآلىء (٢٨٧) فعقرت ركن المجد ان لم تعقري (وهو عجز البيت ٢٣) . وجاء في الرحلة : الى الكرماء ، وهو خطأ طباعة .

٢٨ – في الرحلة : فدع الصدام لمذحج . ومذحج وطيء والاشعر من قبائل قحطان .

٢٩ – كان يوم فيف الريح بين بني عامر وبني الحارث بن كعب واحلافهم من مذحج وخثعم ، وانتصف القوم بعضهم من بعض . وفي هذا اليوم عار مسهر بن يزيد بن عبد يغوث عين عامر بن الطفيل . (وانظر : أيام العرب ٢/٤٦٥) .

٣٠ – في المخطوطة : من شتيم قسور . وفي زهر الآداب : قد ولدتم ، في الخميس الممطر . وفي نهاية الارب : من كريم ماجد .

٣١ – في الرحلة : في يوم ملحمة وذروة منبر . وفي ديوان المعاني ونهاية الارب : خلقت انامله لقائم . وفي المحاسن والمساوىء : بقائم سيفه. وفى المختار : بنشر فضيلة وببث فائدة . وفي ديوان المعاني (ج١) ولبث فائدة ، و (ج٢) : ولبث عارفة . وفي نهاية الارب : ولبذل مكرمة . وفي زهر الآداب : وجذوة منبر

٣٥– قَشَرَتْ قُشَيْراً حَرْبُناعن دارِها ... وَتَكَسَّرَتْ أَرْماحُنا في جَعْفَرِ

٣٦– وَلَقَدْ أَنِفْنا ذِكْرَحربِ مُحارِبٍ ... فَنَجَتْ وأكْرَمْنا القنا عن يَعْصُرِ

٣٧– دُسْنا تَميماً في قَرارِ دِيارِها ... يَوْمَ الجِفارِ بِكُلِّ طِرْفٍ مُجْفَرِ

٣٨– نَقْرِي السَّريفَ ضُيوفَنا ورِماحُنا ... في الرَّوْعِ حاضِرَةُ القِرى لِلأَنْسُرِ

٣٩– وَإذا المُنى وَرَدَتْ على أَمْوالِنا ... آبَتْ مُحَمَّلَةً جَميلَ المَصْدَرِ

٤٠– لَوْ رامَتِ الجَوْزاءُ أَن تعلو على ... أَعْلى ذَوائِبِ مَجْدِنا لَمْ تَقْدِرِ

٤١– قَحطانُ والِدُنا وَهُودٌ جَدُّنا ... بِهِما غَنِينا عَنْ وِلادَةِ قَيْدَرِ

٤٢– وَلَنا بِيَعْرُبَ بَسْطَةٌ مِنْ مفْخَرٍ ... مَايَدْفَعونَ حُضورَها في مَحْضَرِ

٤٣– وَإذا أَرَدْتَ بِأَنْ تَرى مَسْعاتَنا ... فَصِلِ النواظِرَ بِالسِّماكِ الأَزْهَرِ

---

٣٥ – في الرحلة : خيلنا ، وتحطمت . وقشير وجعفر من بني عامر . وكانت بين عامر واليمن وقائع كثيرة منها ما انتصر فيه العامريون ومنها ما انهزموا فيه .

٣٦ – هناك عدة قبائل من معد تدعى محارب ، وارجح ان القبيلة المقصودة محارب بن خصفة بن قيس عيلان . قال صاحب نشوة الطرب (ص٢٥٦): « هي قبيلة محقورة عند العرب » أما يعصر – او أعصر – بن سعد ابن قيس عيلان فلها جذمان : غني وباهلة . ولم يكن لباهلة شأن كبير في الجاهلية .

٣٧ – في المطبوعة : يوم الجفان ، وهو تحريف اظنه من الطباعة . ويوم الجفار كان بين الأحاليف : بني أسد وطيء وغطفان ، وبين تميم ، وهزمت فيه تميم وقتلت قتلا شديدا . وجاء فخر الشاعر بيوم الجفار لمشاركة طيء فيه .

٤١ – يقول النسابون القحطانيون ان نبي الله هودا عليه السلام هو أبو العرب العاربة ، وان قحطان هو ابن هود . (وانظر : ملوك حمير واقيال اليمن ٣ ، ونشوة الطرب ٨٧) . وقيدر او قيذر هو ابن اسماعيل عليه السلام، واليه تنسب عدنان .

٤٢– في الرحلة : لا ينكرون حضورها . ويعرب هو ابن قحطان .

خطط البصرة ومنطقتها

الدكتور أحمد مطلوب
عضــو المجمع

اهتم الباحثون بالبصرة بعد تحضيرها ووضعت فيها كتب لم يصل منها الا مانقلته المصــادر المختلفة ، وعني الدارسون في هذا القرن بها وظهرت كتب وبحوث تتطرق الى خططها وحياتها الاجتماعية والاقتصادية والأدبية واللغوية ، وكان الدكتور صالح أحمد العلي قد شغف بها منذ وقت مبكر ووضع كتاباً عُدَّ من أهم ماصدر عنها وهو « التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة» . ولم يقف جهده ، عند هذا الكتاب وانما تابع البحث في تأريخ البصرة فنشر في عام ١٩٥٢ بحثين بعنوان « خطط البصرة » . وكان آخر ماصدر له عن المجمع العلمي العراقي كتاب « خطط البصرة ومنطقتها » وهو « دراسة في أحوالها العمرانية والمالية في العهود الاسلامية الاولى » . والكتاب الجديد ككتبه السابقة ، فيه الاستقصاء وتمحيص الروايات وتدقيقها والحكم السليم المبني على صحة المعلومات التأريخية ودقتها ، وهو منذ أن تتلمذتُ عليه قبل أكثر من ثلث قرن يعنى بمصــادر البحث ونقدها قبل الخوض في المادة العلمية ودراستها وتحليلها ، وهذه مسألة مهمة في الدراسة العلمية الجادة لانها توصل الى الحقيقة أو تقترب منها كثيراً .

يبدأ الكتاب بمقدمة تلقى ضوءً على موضوعه وتحدد أهدافه ، فهو «دراسة المعالم الخططية في البصرة ومنطقتها وما يتصل بذلك من المعالم

الأرضية ومواقع الاسكان والمنشآت العمرانية ابان العهود الاسلامية الأولى » وهو « يشمل توزيع السكان على خططها والمعالم العمرانية في كل خطة وفي المدينة وكذلك تحديد مواقع الانهار والمزارع في الجانب الغربي من نهر شط العرب في العهود الاسلامية الأولى » وما يتعلق بكور دجلة « المتصلة بالبصرة جغرافيا واداريا » ودراسة الجباية في هذه المناطق .

وكان الفصل الأول في مصادر البحث ، وقد قدم الدكتور صالح أوفى قائمة بالموضوع ، ولم يقف عند عرضها فحسب وانما صنفها وحللها وبيَّن قيمتها وأهميتها في الدراسة التأريخية ، واعتماد اللاحق على السابق ولو وصلت الكتب القديمة كلها لأعطت صورة جلية لمدينة البصرة التي كان لها تأثير في الحياة العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والأدبية . وقد استطاع المؤلف أن يصور هذه المدينة ويرسم منطقتها بما تيسر له من نصوص حفلت بها المصادر القديمة ، وكانت المراجع الحديثة ترفد ولا تحدد ، لانها اقتبست من القديم وهو ما أحاط به المؤلف احاطة العالم الخبير .

وكان لابدَّ من أن تحدد منطقة البصرة قبل البدء بدراسة خططها ، وتكفل الفصل الثاني برسمها ، فقد بنيت « في منطقة مستوية خالية من والمرتفعات الطبيعية » ولم « يعرف من المرتفعات فيها غير جبل سنام وسفوان » وهما « يبعدان عن موقع المدينة حوالي خمسين ميلا » والمنطقة « منخفضة لايزيد ارتفاعها عن سطح البحر اكثر من أربعة أمتار ، فهي بطيئة الانحدار ويبلغ معدل انحدار الأرض فيها حوالي ١ ــ ٢٠٠٠٠ ، غير أن الأراضي في اطرافها تزداد ارتفاعاً على ذلك » . وأدى هذا الموقع الى شحة المياه في البصرة ، وقد عبَّر الأحنف بن قيس عند ماوفد على الخليفة عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ فقال : « ان اخواننا من أهل الأمصار نزلوا منازل الأمم

الخالية بين المياه العذبة والجنان الملتفة ، وانا نزلنا سبخة نشاشة لايجف نداها ، ولا ينبت مرعاها ، ناحيتها من قبل المشرق البحر الأجاج ، ومن قبل المغرب الفلاة ، فليس لنا زرع ولاضرع ، تأتينا منافعنا وميرتنا في مثل مرىء النعامة ، يخرج الرجل الضعيف فيستعذب الماء من فرسخين ، وتخرج المرأة لذلك فتريق ولدها كما يريق العنز ، يخاف بادرة العدو وأكل السبع ، فإلاّ ترفع خسيستنا وتجبر فاقتنا نكن كقوم هلكوا » . واستجاب الخليفة لطلب الأحنف وأمر بايصال نهر الأبلة الى الرقعة التي بنيت عليها البصرة وهي على بعد اكثر من عشرين كيلو متراً عن دجلة البصرة ، ووفر مدّ هذا النهر الماء لمدينة البصرة وان لم يسد حاجة السكان بعد اتساع المدينة . إذ شقّ لها زياد نهر معقل شمالي نهر الأبلة مسلكا للسفن اليها ، ثم وصل النهرين بنهر ثالث ، فارتوت المدينة وبدأ الناس باستصلاح الأراضي السبخة وزراعتها ، وأخذت بساتين النخل والرارنج تتسع وبدأت الحقول تثمر ، وكان لذلك أثر كبير في اتساع النشاط التجاري ، وازدهار الاقتصاد ، وظهور الرفاهية في المجتمع البصري .

كان الفصلان ، الأول والثاني مقدمة لدراسة خطط البصرة ، وجاء الكتاب في ثلاثة أقسام :

الأول : خطط مدينة البصرة ومعالمها العمرانية .
الثاني : أطراف البصرة .
الثالث : كور دجلة وأرض البصرة وجبايتها .

وتكفلت الفصول الستة عشر بدراسة هذه الموضوعات إذ تحدث الثالث عن تأسيس البصرة ونموها ، وكان الهدف من تأسيسها أن تكون « قاعدة للجيوش الاسلامية التي توجهت في أول زمن خلافة عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — من جزيرة العرب للقضاء على الفرس وانهاء حكمهم وضم

البلاد الى الدولة الاسلامية » . وكان عتبة بن غزوان قد توجه الى منطقة البصرة وأقام بالخريبة على طرف الصحراء وهي اكثر أمانا للمقاتلة ثم اختار موقع البصرة وبنى فيها المسجد الجامع والرحبة ودار الامارة ، ثم قسمها الى خطط سكنت كلاً منها عشيرة وسميت باسم العشيرة التي سكنتها ، واحتفظت معظم هذه الخطط باسمائها بضعة قرون ، وأخذت البصرة تنمو وتنشأ في أطرافها القصور وتنتعش حياتها الاقتصادية بعد أن تحرر العراق وفتحت البلدان وتعاقبت القرون ، وهي تحمل لواء العلم والعرفان وتتحدى الغزاة وكان آخرها وقفتها الشامخة بوجه الغزو الفارسي الذي لم يحقق أهدافه على الرغم من امتداد الحرب ثمانية أعوام .

ومضى المؤلف بعد هذا التمهيد الى الحديث عن المسجد الجامع والرحبة ودار الامارة ، وعن الأخماس التي يمثلها أهل العالية وتميم وبكر وعبد القيس والأزد ، والى وصف المعالم العمرانية في الأطرف الغربية كالمربد الذي كان مدخل البصرة الغربي من جهة الصحراء .

وعقد الفصل الثامن للمعالم العمرانية في الاطراف الشمالية كالطفوف وفيها يقع قصر أنس بن مالك الصحابي الذي استوطن البصرة منذ بداية تأسيسها ، وكانت منطقة القصر نزهة وصفها الشعراء فقال الخليل بن أحمد :

زر بادي القصر نعم القصر والبادي
لابد من زورة في غير ميعاد
ترى به السفن كالطلحان واقفة
والضبّ والنون والملاح والحادي

وتحدث المؤلف عن بعض السكك ووقف طويلا عند الخريبة التي ظلت عامرة زمنا طويلا . وتلا ذلك الفصل التاسع وهو في المعالم العمرانية الأخرى كالسقوف والحمامات وسور البصرة ، وبانتهائه كان القسم الثاني من الكتاب في

أطراف البصرة ، وكان الكلام فيه وافيا على البطيحة ونهر عمر ، وانهار الجانب الغربي من دجلة ونهر معقل والكحلاء ، والانهار المتفرعة من نهر معقل ، ونهر الأبلة وشط عثمان ، والانهار الآخذة من الأبلة ، وأنهار الأطراف الجنوبية ، ونهر أبي الخصيب وما حوله . وتدل هذه الانهار وفروعها الكثيرة على عناية عظيمة بالري وحسن التدبير في انعاش اقتصاد البصرة ونموه . وقد لقيت هذه الانهار اهتماما كبيرا من الباحثين المحدثين ، وذكروا كثيرا من اسمائها مما كان قائما في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين وقد ذكر ابراهيم فصيح الحيدري في كتابه « عنوان المجد » مايجري في الجانب الغربي من العشار الى الفاو أسماء ثلاثة وثلاثين نهرا ، ومن العشار الى الهارثة تسعة أنهار ، وأشار الى عدد مما يتفرع من بعضها وذكر من الانهار التي تأخذ من شرقي شط العرب اسماء اثنين وعشرين ، وذكر أسماء عدد من الانهار التي تأخذ من الجانب الشرقي جنوبي عبادان ، وأشار الى بعض جزر شط العرب وعقد محمد النبهاني في كتابه « التحفة النبهانية » فصلاً عن أنهار البصرة وذكر أن شط العرب العرب يتفرع منه نحو (٤٧٠) نهرا في الجانب الغربي و (١٦٧) نهرا في الجانب الشرقي ، ثم ذكر اسماء (١٧٠) نهرا مما يأخذ من الجانب الغربي . واسماء (٣٨) من أنهار المقاطعات الشرقية من القرنة الى الجنوب . ونشر باش أعيان في مجلة « لغة العرب » عام ١٩١٣ م . أسماء أنهار شط العرب في جانبيه الغربي والشرقي وعدد اسماء (٤٧٠) نهرا في الجانب الغربي من القرنة الى الفاو ، و(١٦٤) نهرا في الجانب الشرقي الى المحمرة . ونقل الدكتور محمد طارق الكاتب في كتابه « شط العرب وشط البصرة » ماجاء في كتاب « فتوح البلدان » للبلاذري و « معجم البلدان » لياقوت الحموي عن أنهار البصرة ، وأضاف معلومات نافعة عن موقع نهر معقل والابلة . كانت هذه الانهار مثار عناية الباحثين ، وانتفع الدكتور صالح بالمصادر

القديمة والمراجع الحديثة وتكلم عليها كلاما علميا فيه التصنيف الدقيق والتحديد الواضح . وقد تكون دراسته للانهار دافعا الى الاهتمام بمنطقة البصرة واحياء أنهارها المهمة لتنشط الزراعة ، ويزدهر العمران ، ويعم الخير والرخاء .

وجاء القسم الثالث في كور دجلة وأطراف دجلة البصرة ، وقد تضمن فصلان منه بَحْثَ أرض الجانب الغربي من دجلة ، وكور دجلة وهو من سواد البصرة الذي يشمل الأحواز وفارس أيضاً . وانتهى بالفصل الثامن عشر وهو في جباية البصرة وأرضها ، وهو بحث مالي يلقي ضوءاً على التنظيمات الاقتصادية في العهود الاسلامية الاولى .

وختم المؤلف كتابه بضميمة ذكرت المعالم العمرانية في البصرة ، وهي يتيسر له تحديد مواقعها كبعض المساجد ، والقصور والدور والمحلات ، والانهار والقطائع . وهذا يدل على نزعته العلمية ودقته إذ أشار اليها ولم يخض في بحثها وتحديد مواقعها ، وتركها لمن تتيسر له المصادر والمعلومات الدقيقة .

هذه جولة في كتاب « خطط البصرة ومنطقتها » للاستاذ الدكتور صالح أحمد العلي رئيس المجمع العلمي العراقي ، وقد صدر عام ١٩٨٦ والبصرة تتعرض للعدوان الفارسي الغاشم . وهو وثيقة حية تشهد لما لهذه المدينة من أصالة . ومالها من أثر في الحياة العلمية في الوطن العربي والعالم الاسلامي . ولعله يكون دعوة للباحثين الى دراسة هذه المدينة في ضوء التنقيبات الأثرية . وفي ضوء التطور الذي مس جوانبها ، والمكتبة الجغرافية والتأريخية قد اغتنت بهذا الكتاب الا أن هناك دراسات كثيرة تنتظر من ينهض بها . ويقيم تخطيطا للبصـرة الحديثة كما أقامه القدماء والدكتور صالح . وفي ذلك ارساء لحركة علمية تكون امتدادا للماضي واستشرافا للمستقبل . وتخليدا لمدينة المدن .

مطبوعات المجمع العلمي العراقي لسنة ١٩٨٨

اعداد : صباح ياسين الاعظمي
مدير مكتبة المجمع العلمي العراقي

١ ـ الاَدِلّة الرسمية في التعابي الحربية .

تأليف ، محمد بن منكلي (٧٨٤ ـ ١٣٨٢م) ، حققه وكتب مقدمته اللواء الركن محمود شيت خطاب ، بغداد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٨٨ ، ٢٧٢ ص .

٢ ـ الدولة في عهد الرسول (ص) .

المجلد الاول ، يبحث في تكوين الدولة وتنظيمها .
تأليف ، الدكتور صالح احمد العلي ، بغداد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٨٨ ٢٤٧ ص .

٣ ـ الدولة فى عهد الرسول (ص) .

المجلد الثاني ، يبحث في تثبيت الدولة وتوطيدها في عهد الرسول (ص) وأبي بكر ، بغداد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٨٨ ، ٤٢٣ ـ ٦٢٧ ص .

٤ ـ الادوية والادواء فى معجم تاج العروس .

تأليف ، الدكتور هاشم طه شلاش ، بغداد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٨٧ ، ١٠٥ ص .

٥ ـ رحلة اوليفيه الى العراق (١٧٩٤ ـ ١٧٩٦م)

ترجمة ، الدكتور يوسف حبي ، بغداد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي .

١٩٨٨ ، ٢٧٨ ص •

٦ ـ **روضة المحاسن وعمدة المحاسن •**

ديوان أبي بكر يحيى بن محمد المعروف بـ (الجزار السرقسطي) وفصول من كتابه ـ بادرة العصر وفائدة المصر ، صنعة ابي عبدالله محمد بن عبدالله بن مطروح السرقسطي المتوفى سنة ٦٠٦هـ • تحقيق ودراسة الدكتور منجد مصطفى بهجة ، بغداد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٨٨ ، ٢٤٠ ص •

٧ ـ **فنون الافنان في عجائب علوم القرآن •**

تأليف ، أبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) تحقيق ، الدكتور رشيد عبدالرحمن العبيدي • بغداد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٨٨ ، ٣٦٤ ص •

٨ ـ **مصطلحات علم الري والبزل وعلم التربة ، انكليزى ـ عربي •**

اعداد ، لجنة الزراعة في المجمع العلمي ، أقرها مجلس المجمع • بغداد ـ مطبعة المجمع ١٩٨٧ ، ١٧٩ ص•

٩ ـ **مصطلحات علم البستنة ، انكليزى ـ عربي •**

اعداد ، لجنة الزراعة في المجمع العلمي العراقي ، أقرها مجلس المجمع • بغداد ـ مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٨٧ •

١٠ ـ **مصطلحات علم الغابات وعلم المراعي ، انكليزي ـ عربي •**

اعداد لجنة الزراعة في المجمع العلمي العراقي ، أقرها مجلس المجمع • بغداد ـ مطبعة المجمع ١٩٨٧ •

المجـــلات

١١ ـ مجلة المجمع العلمي العراقي ـ المجلد التاسع والثلاثون ، الجزء الاول •
آذار ١٩٨٨ • بغـداد مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ٣٢٥ ص •

١٢ ـ مجلة المجمع العلمي العراقي ـ المجلد التاسـع والثلاثون ـ الجزء
الثاني •
حزيران ١٩٨٨ • بغداد مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ٣٣٠ ص •

١٣ ـ مجلة المجمع العلمي العراقي ـ المجلد التاسع والثلاثون ـ الجـزء
الثالث •
١٩٨٨ ، بغـداد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ٣٦٨ ص •

١٤ ـ مجلة المجمع العلمي العراقي ـ الهيئة الكردية ـ المجلد السادس عشر
والسابع عشر مزدوج ، بغداد ـ مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٨٧ ،
٥٧٢ ص •

١٥ ـ مجلة المجمع العلمي العراقي ـ العدد الخاص بهيئة اللغة السريانية ،
المجلد الحادي عشر ، بغـداد ١٩٨٧ ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ،
٤٢٠ ص •

الفهرس

الصفحة

عرض الكتب

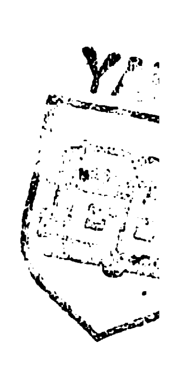
سعر النسخة دينار ونصف
وتضاف اليها اجرة البريـد

تدفع قيمة الاشتراك سلفاً

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٦٧٦ لسنة ١٩٨٨

JOURNAL
of the
IRAQ ACADEMY





Volume 39

Part (4)

PUBLISHED BY

THE IRAQ ACADEMY

BAGHDAD

1409 = 1988